علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

المجلد السادس | العدد الثانى | ٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

علــوم اللغــة

دراسات علمية مُحكَّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٦ ، ع٢ ، ٢٠٠٣

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ - ٧٨٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

تقديم

هـذا هو الـعدد الثانى والعشرون مـن سلسلة (علوم اللـغة) ، يصدر فى موعده وهى فى عامها السادس وهو يمثل العدد الثانى من المجلد السادس .

يضم هذا العدد بحوثًا لغوية جادة كتبـها متخصصون فى الدراسات اللغوية فى الجامعات المصرية والأردنية ، وكلها أعمال جديرة بالنشر .

و (علوم اللغة) تفتح مجال النشر لكل الدراسات اللغوية الجادة المتخصصة فى العربية والدراسات المقارنة .

وتخضع الـبحوث المنشورة فى هـذه السلسلة للتـحكيم العلمـى الذى ثبت جدواه ويلقى قبولاً وترحيبًا من الباحثين .

والله ولى التوفيق ،،،

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

الإشباع الصوتى فى المقاطع العربية

أوضاعه . وأهميته فى التعبير اللغوى

د. عبد الحميد الاقطش

جامعة اليرموك

فى هذا البحث تعـريجة على ظاهرة صوتية صرفيـة صغرى ، وغير مطردة فى العربية طبقاً لقوانين لغوية ثابتة ، وإنما على الرواية ، على أنها مهمة وذات فاعلـية ، فلا يَحسُنُ أن تُدفـع بنُكران ؛ إذ هى ثـابتة بنـقل موثوق مـن كلام العرب : الـفصيح مـنه والعامى عـلى سواء . والظـاهرة هى الموسـومة أعلاه بتسمية (الإشباع الصوتى فى المقاطع العربية) .

فقـد وسعتـها الفـصحى فـى بعض مـن مقـاماتهـا الشعـرية ، وأنثـارها الكلامـية، وفـى ضرب من المتواتر من قراءة القرآن الـكريم . وكذلك أرخت العامـية الحبل لهـا فى شئ من الأهازيج الـشعبية ، وفـى الوصلات اللهـجية المنبورة نبراً قوياً .

وجرى تقريب الكلام حول الظاهرة فـى شطرين : شطر يَبْسطُ من الأمثلة الموافقـة بما يُشَرِّع لها قبولاً أو رفـضاً ، وشطر يَبْسطُ مـن الشرح بما يستـكشف قواعدها ، ووظيفتها فى التعبير اللغوى .

وخلص البحث إلـى أن الإشباع فى العربية أسلوب عـمل مشروع ومُتأكِّد

جداً ، وهو قد يجئ اختياراً أو اضطراراً ، ويصيب المقطع المغلق أو المفتوح ، ويتكون من تضام حركتين : (حركة المقطع الأساسية + حركة الإشباع الثانوية)، بحيث تَنْجُمُ منهما معاً حركة مقطعية واحدة ، لكنها ممطولة مطلاً كمياً زائداً عن الحد الطبيعى لمثلها فى نفس موقعيتها . ويُؤثِّر الإشباع فى الأبنية الصرفية الموافقة ، فتصبح بدورها ثنائية التشكيل الصرفى (بنية الوضع الأصلية + بنية الإشباع الصورية) .

ويتجزأ تبعاً لملمح الكم فيه إلى (إشباع الحركة القصيرة) . هكذا : (يَنْبَع : يَنْباع ، طِحال : طيحال ، لُبان : لوبان ، و (إشباع الحركة الطويلة) هكذا : شُفَعاء : شُفَعآء ، سىء : سىٓء ، قروء : قروٓء) .

ويؤدى الإشباع وظائف متنوعة : تركيبية ، وفوق تركيبية ، فأما الأولى فأبرزها أنه يعمل بمثابة عامل من عوامل (التوليد اللغوى) التى تنمى اللغة بالزيادة فى ثروتها المعجمية . وأما الثانية فأبرزها أنه يعمل بمثابة عنصر من عناصر (التطريز الدلالى) التى تُشيع فى اللغة قدراً من اللطائف العروضية ، أو البيانية ، أو الإيقاعية ثم إن الإشباع الصوتى بعد سلوك لهجى قديم حديث معاً .

١ - المدخل :

يعرض هذا المدخل لمفاهيم عامة ، حول الثلاث قضايا الآتية وهى : نمطية الأبنية الصرفية العربية ، والصلات العضوية فيما بينها ، والعلاقة بين الحركات القصيرة وأصوات المدّ .

١/١ النمطية فى الأبنية الصرفية :

ميزة فى أسرة اللغات السامية ، وبضمنها العربية ، أنها تنتظم أشكالها فى

قوالب نمطية جاهزة ، وذات بناء مبسط ومنتظم ، وذلك ملحوظ فى فصائل : الأسماء ، والصفات ، والأفعال على سواء ؛ فأما بقية الفصائل ، مثل : الضمائر ، والحروف ، والأدوات ، فهى جامدة على حدِّها ، فضلاً عن كونها قليلة الكم أصلاً .

ولقد وضحت ميزة النمطية الجاهزة لدى فقهاء العربية ، منذ ابتدأ نشاطهم اللغوى فى القرن الثانى الهجرى . فقننوا لتلك القوالب الجاهزة وفق الآلية التى تعرف بالميزان الصرفى . وبها أمكن لهم أن يرسموا هيكلاً تنظيمياً لمفردات الفصحى ، حوالى ثمانين ألف كلمة ، باحصاءات معجم اللسان والتاج[١] . وقد صبوها فى زهاء ثمان وثمانين وثلاثمائة بناء صرفى ، أو ما يزيد قليلاً أو كثيراً ببعض الاستدراكات[٢] . وكل بناء مختلف بعض المخالفة عن البناء الآخر، ثم إنهم ناسبوا وظائفياً بين تلك الأبنية المتنوعة ، بعضها إلى بعض ، بالأصالة أو الفرعية ؛ مما أسفر بالمحصلة عن لوحات تنظيمية وإرشادية على مستوى راق .

وقد فرضت صناعة الأبنية الصرفية نفسها على السياسة التعليمية المتعلقة بمباحث العربية آنذاك ، واليوم أيضاً .

وكذلك فإن أصداء الأبنية الجاهزة متواترة فى لغة العرب الشعرية ؛ فشعر العرب شعر كمىّ صُرَاح ، وقوامه لا تفعيلة واحدة ، وإنما عدد من التفعيلات العروضية ، وكل تفعيلة مملوءة باستغراق صوتى وزمانى ثابتين وجبريين ، وذلك لكى تجئ القصيدة على بحر ما ، وإلا غدت قصيدة مُزاحِفة مكسورة[٣] .

(١) انظر : عبد الصبور شاهين : دراسة إحصائية لجذور معجم التاج ص ٧ .

(٢) انظر : الحديثى : خديجة : الأبنية الصرفية فى كتاب سيبويه ص ٢٠٧ ، الأقطش : الأبنية الصرفية فى شعر عنترة ص ١٥ ، وظافر يوسف : الأبنية المستدركة على كتاب سيبويه ص ٢٢ ، وعصام نور الدين : أبنية الفعل فى شافية ابن الحاجب ص ١٢٩ .

(٣) انظر : عونى عبد الرؤوف : بدايات الشعر العربى بين الكم والكيف ص ٢٥ .

وتدل البلورة المثانية لأشكال الأبنية العربية ، أنها غير متحاجزة ، ولا فرادى كل بنية على رأسها قائمة ، وإنما متداخلة متشابكة ، كما هى الدوائر المائية ، أو الأفرع الشجرية . ومن تعلق البحث أن يتصل به كلام عن الصلات العضوية بين الأبنية الصرفية .

٢/١ الصلات العضوية بين الأبنية الصرفية :

وقد كان طبيعياً أمام الاختلاف والتعدد فى أشكال الأبنية الصرفية ، وأمام التداخل والتماثل فى معامل الارتباط فيما بينها ، كان طبيعياً أن يدخل الفقه اللغوى في نقاش حول الصلات العضوية بين الأبنية بعضها إلى بعض . وهو نقاش لاشك صعب ، ولا سيما فى مقام لغة مثل العربية موغلة فى الوراء كثيراً ، وتاريخها اللغوى الأول غامض ، وعلاقة ما بينها والكتابة قصيرة العمر، ولا ترتفع إلى أبعد من القرن الرابع الميلادى مع نقش (امرئ القيس) ، فأما علاقة ما بينها والتدوين فأقصر عمراً ، منذ عصر بنى أمية[١] .

على أنه يحسن أن يشار إلى نوعين من المقاربات اللغوية النظرية فى هذا المنحى وهما :

- مقاربة (أصول الصيغ) .
- ومقاربة (التحويل الداخلى فى الصيغ) .

١/٢/١ أصول الصيغ :

وأهم قسمات مقاربة أصول الصيغ ، أنها منهج تصنيف وترتيب أكثر منها منهج تأصيل وتحليل . وهى تصدر فى فرز صور الأبنية عن مفهوم (الجذر)

---

(١) أنظر : ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٧٠ ، ونولدكه : اللغات السامية ص ٧ ، وظاظا حسن: الساميون ولغاتهم ص ١٦٣ ، والسامرائى ، ابراهيم : التطور اللغوى التاريخى ص ٥٩ .

المكون من صوامت وحركات قصيرة معاً ، فأيما بنية ، اشتملت على الاثنتين وحدهما ، فهى من الأبنية الأصول أو المجردة ، وبخلافه فهى الأبنية غير الأصول أو المزيدة .

وطالما لم ترتبط البنية بصيغة ارتباطاً قياسياً ملحوظاً ، فهى من الأبنية الجامدة على أصلها فى وضع الواضع ؛ المجردة والمزيدة فى هذا على سواء ؛ فإن كان لها ارتباط بالفعل فهى من فصيلة خاصة تسمى : المشتقات .

وعموماً تنتحى هذه المقاربة نحو مراعاة الكم العددى فى التصنيف ، والتسلسل التصاعدى فى الترتيب ، ثم إنها تَعُدّ البنية المجردة بمثابة الأصل المنطقى أو الفلسفى ، الذى تنحدر منه البنية المزيدة ، ورجح بعضهم أن يكون الأصل بنية فعلية (فعل ماض)، ورجح أخرون أن يكون بنية اسمية (مصدر) .

وكذلك تظهر خارطة الأبنية المتحصلة بهذه المقاربة متصدرة بالأبنية الأصول: الثلاثية ، فالرباعية ، فالخماسية . وليس باليد منها جميعاً سوى قدر ضئيل جداً من الأبنية ، ولا يعدو الثلاثة والعشرين بناء . وبَعْدَ الأبنية الأصول تتراسل الأبنية المزيدة ، بحرف ، فاثنين ، فثلاثة ، فأربعة . وهذه ذات عدد وفير ، بل إنها خزانة الأبنية الرسمية الكبرى . وما تنفك هذه الخارطة لليوم تُعَد مرجعية التثقيف الأوسع انتشاراً فى علم الأبنية الصرفية[1] . وبالمحصلة فمقاربة أصول الصيغ قلما تعكس معارف لغوية ركينة حول الصلات العضوية بين الأبنية بعضها إلى بعض ، اللهم إلا من وراء وراء .

٢/٢/١ التحويل الداخلى :

وأهم قسمات مقاربة التحويل الداخلى أنها منهج تأصيل وتحليل للبنية

(١) ابن جنى : المنصف ١/ ١٣ ، وابن عصفور : الممتع فى التصريف ١/ ٣١ والأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/ ١٤٤ ، وعصام نور الدين أبنية الفعل ص ٨٢.

الصرفية وتنعكس تجلياتها فى الأبحاث اللغوية المقارنة ، وهى تَصْدُرُ فى فهم نظام البنية عن تجزئتها لغوياً ، إلى مبانى صوامت ، ومبانى حركات ، وتَعُدّ الصوامت المعزولة عن الحركات بمثابة (الجذر) المنطقى ، أو الفلسفى لكل نسالاته من الأبنية الصرفية؛ لا فى العربية حسب ، بل فى كل الأفرع السامية.

وتتوجه هذه المقاربة بالكلية نحو تشريح داخلى لأظهر آلية من آليات تكوين المبانى الصرفية فى الساميات ، وهى الآلية المعروفة تقليدياً بـ (الاشتقاق) مع إطلاق المصطلح لكنها تتوقف من هذه الآلية عند ملمح النشاط الملازم لها ، فلا يبرحها ، حتى لصار علماً عليها ، وهو ملمح الاشتقاق بوسيلة إبقاء الجذر الصرفى ثابتاً كما هو من حيث العدد ، ومن حيث الرتبة ؛ علي حين تزاد حشوات لغوية داخلية بين عناصر الجذر نفسه ، وذات حرية فى المناقلة والتحويل بعد هذا العنصر أو ذاك من عناصر الجذر نفسه أيضاً .

وتحول حوزة البحث المحدودة دون التَّبسُّط بكلام عريض حول خواص هذه المقاربة[1] وتوجب حصر الكلام فى أقله ، فى الذى له صلة بمدار (الإشباع الصوتى) .

وكذلك يتقاصر الكلام على الأبنية الصرفية ، التى تشتمل على مجرد صوامت وحركات لاغير ، وتطال هذه الشريحة : الأبنية الصرفية : الأصول المجردة ، وأبنية الزيادة بحروف المد مع لزوم الاحتراز بأن مصطلح الزيادة فى هذا المقام متعلق بالناحية الشكلية الصوتية فى البنية ، وليس بالناحية المعجمية الدلالية فيها . وهو ما نص عليه ابن جنى بقوله ومعنى زائد أنه ليس بـ «فاء»، ولا «عين» ، ولا «لام» ، وليس يعنون بقولهم زائد أنه لو حذف من الكلمة

---

(1) انظر : فليش : العربية الفصحى ص ٥٤ ، وبرجستراسر : التطور النحوى ص ٦٢ وخليل نامى : دراسات فى اللغة العربية ص ٥٣ ، وشاهين : المنهج الصوتى ص ٤٣ .

لدلت بعد حذفه على ما كانت تدل عليه وهو فيها[1] .

ونستهل بأبسط النماذج الصرفية المجردة . وهذه تتجزأ إلى جذر ثلاثى الصوامت وحركة قصيرة واحدة ، وهى تجئ فى بنية أحادية المقطع من نمط (ص ح ص ص)[2] . وبمقتضى الخيارات المتاحة فى نطق الحركات القصيرة فى العربية فهذه البنية تَمْثُلُ فى ثلاث الصور الآتية (فَعْل : شَمْس ، وفِعْل : جِذْع، وفُعْل قفل) ، حتى إذا انضافت حركة قصيرة أخرى بعد الصامت الثانى من الجذر الثلاثى نفسه ، فعندئذ تنشأ بنية صرفية ثنائية التكوين المقطعى من نمط (ص ح + ص ح ص) ، وهذه يسمح نظام تقليب الحركات فيها بأن تَمْثُل فى تسعة الخيارات النطقية الآتية (فَعَل : فَرَس ، وفَعِل : كَتِف ، وفَعُل : رَجُل ، وفِعَل : عِنَب ، وفِعِل : إِبِل ، وفُعَل : رُطَب ، وفُعُل : عُنُق ، وفُعِل : مهمل ، وفِعُل : مهمل) . وعليه يكون باليد اثنتا عشرة بنية صرفية، وهى أقصى ما يمكن تشكيله من الجذر الثلاثى الصوامت ، والمستعمل منها عشرة فقط .

ومثل هذا العدد إنما يستوعب جزءاً يسيراً من مسميات المعانى العربية ، الأمر الذى حفز القوة الخلاقة فى اللغة باتجاه المكاثرة نحو الأبنية الأوسع كَمّاً ، سواء على مستوى الصوامت أو مستوى الحركات . وحسبنا من كل ذلك ما طرأ من المكاثرة فى متغير الحركات وعلى التعيين فى أبنية الجذر الثلاثى الصوامت السابقة .

وفى الطوق ، من الناحية النظرية البحتة ، أن تتحصل باليد هُنا عشرات الأبنية الصرفية ، جراء التحويل الحركى للحركات بداخل الجذر الثلاثى

(١) ابن جنى : المنصف ١/٧ .

(٢) الرمز (ص) : صامت ، والرمز (ح) : حركة .

الصوامت ، ولكن ذلك لم يجر كذلك ، إذ أن المستعمل من الخيارات الممكنة هنا زهيد ضئيل . واحصاءاته فى خارطة الأبنية تقع فقط فى نيف وعشرة أبنية. غير أن ذلك طبيعى وعادى ، من حيث إن اللغة أيما لغة كانت ليست قوالب جلمودية ، ولا هى مُصَنَعَّة بطريقة الحسبة المنطقية . وإنما هى ظاهرة اجتماعية قابلة للامتداد وللارتداد ، وعرضة للثبات والتغير .

ونعلم أن إمكانات التحويل المهملة ذات قيمة ، وتظل طاقة مخبوءة فى أعطاف اللغة لعوز الاحتياجات ، كجبائر عروضية فى حال الضرورة ، أو لطائف فنية فى حال السعة وشئ من هذا النحو سنعرض له فى القابل من صفحات البحث .

وقد جاءت الأبنية المستعملة على ثلاثة الأنماط المقطعية الآتية :

- نمط (ص ح + ص ح ح ص) وعليه (فَعَال : غزال ، وفِعَال : كِتاب ، وفُعال : غُلام ، فَعول : عَمود ، وفَعيل : رَغيف ؛ وفُعول : فلوس) .
- ونمط (ص ح ح + ص ح ص) ، وعليه (فاعِل : كاحِل ، وفاعَل : خاتَم) .
- نمط (ص ح ح + ص ح ح ص) ، وعليه (فاعال : ساباط ، وفاعول : ناقوس ، وفيعال : قيثار) .

وبآية ما يتضح من المقابلة البنيوية بين نوعى الأبنية المجردة والمزيدة بأعلاه يلحظ أن الفارق بينهما من حيث الشكل ، إنما هو فارق كمى محض ، وليس فى كم الصوامت ، وإنما فى كم الحركات (القصيرة بإزاء الطويلة) ومسألة فارق الكم الحركى هذه هى أيضاً من المقدمات المهمة التى يحتاج البحث أن يعمقها ببعض الشرح .

٣/١ العلاقة بين الحركات القصيرة واصوات المد :

ولقد نعلم أن الفقه اللغوى السامى ، وبالضرورة العربى يهمل الخوض فى بحث الحركات بعامة ، مقارنة ببحث الصوامت ، وباستثناء الأبجدية الحبشية فلم تتجسد فى غيرها رموز مستقلة للحركات القصيرة فى صلب البنية الصرفية، وتعامل الفقه اللغوى معها ، كما لو أنها جزء لا يتجزأ من الصوامت نفسها ، بالرغم من نطقهما المتجزئ والمختلف .

وبأَخَرَةٍ فى العصر الإسلامى الثانى حتى ضبط أبو الأسود الدؤلى الحركات القصيرة بالنقط ، ومن بعد أعقبه الخليل بن أحمد فاستبدل بالنقط الرموز الإشارية المتداولة حالياً . (ـَ ، ـِ ، ـُ) وهى الفتحة ، والكسرة ، والضمة .

وفى المقابل فقد تجسدت رموز مستقلة للحركات الطويلة من أصل الوضع، وجُعلت فى أصل البنية الصرفية ، على سواء هى ورموز الصوامت ، وعُدّت مثلها من ضمن حروف التهجى (الثمانية والعشرين) ، ودعيت بحروف المدّ ، وأحياناً بأصوات المدّ (ا ، ى ، و) ، وهى الألف ، والياء ، والواو(١) .

وإبان فورة النشاط اللغوى العربى فى القرن الثانى الهجرى حظيت أصوات المدّ دون الحركات القصيرة باهتمام فائق جداً من الصرفيين والقراء . وقد أنصب الاهتمام حول كشافها الوظيفى من الناحيتين الدلالية ، والتصريفية ، وأنتجت فى هذين المبحثين قولات معرفية ضافية ومعمقة . وهى ملحوظة فى أبواب مثل : معانى الزيادة ، والإعلال ، والوصل والوقف ، ونحو ذلك . وأما بخصوص كشافها الصوتى فالحال فيه كما هى الحال مع الحركات القصيرة،

---

(١) انظر : الجبورى ، سهيلة : الخط العربى وتطوره ص ٥٦ ، وايضاً ابراهيم انيس : الأصوات اللغوية ص ٣٢ ، وعبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ص ١٥٦ وكمال بشر : دراسات فى علم اللغة ص ٢٦ وابن يعيش : شرح المفصل ٨٧/١٠ والاسترابازى : شرح الشافية ٢١١/٢ .

كلتاهما لم ترشح فيهما عن علماء السلف إلا شذرات معرفية مبسطة ، وأحياناً غامضة ، ومن المُشْكل . ولا غرو فخواص الحركات كلها ليست فى وضوح خواص الصوامت ، فضلاً عن كون المعمل الصوتى عصرئذ هو أعضاء البدن حسب . ومثلها قد يُبيِّن الصفات الرئيسية ، وليس دقائق الصفات .

وفى عَمْر الحق أن يشار هنا إلى ملاحظات فرادى ذكرها عالم الصوتيات الماهر فى القرن الرابع الهجرى (ابن جنى) ؛ فلقد ناقش العلاقة بين الحركات القصيرة وأصوات المدّ وخلص فيها إلى أن الأولى أبعاض من الثانية ، والثانية إشباع عن الأولى ، وساق ، فى ذلك جملة من التقابلات منها «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين ، وهى الألف والياء والواو ؛ فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث وهى : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة»[1] . وبعد ذلك قال «ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه ، وذلك نحو فتحة عين (عَمِر) فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت (عَامِر) . وكذلك كسرة عين (عِنَب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة ، وذلك قولك : (عِينَب) . وكذلك ضمة عين (عُمَر) : لو اشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة ، وذلك قولك (عُوْمر) . فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها»[2] .

وتتردد أصداء رؤية ابن جنى فى جُلّ الفقه اللغوى القديم ، وأيضاً فى فقه الإقراء والقراءات . فقد أورد إمام التأليف فى هذين المبحثين (ابن الجزرى)،

(١) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ١/ ١٧ .

(٢) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ١/ ١٨ .

والجمهور على أن الفتحة من الألف ، والضمة من الواو ، والكسرة من الياء، فالحروف على هذا عندهم قبل الحركات ، وقيل عكس ذلك[1] .

ويتضح من النصوص أعلاه أن الفقه اللغوى الموروث يقابل بين الحركات القصيرة وأصوات المدّ (الحركات الطويلة) ، على أساس من ملاحظة (كمية الطول) فيهما . باعتبارها الملمح الأكثر وضوحاً ؛ سمعياً على مستوى النطق ، وبصرياً على مستوى الكتابة . غير أن المرء يلحظ ههنا نوعاً من التداخل المعرفى بين تحليل النظام الصوتى ، وتحليل النظام الكتابى ، والأصل هنا هو مراعاة الصوت فى صورته المسموعة لا المكتوبة ؛ فالكتابة ليست سوى دوال إشارية نحو المسموع ليس إلاّ .

وليس ثمة مشكل فى الطرح الذى يفسر كمية الطول فى الفتحة القصيرة مثلاً ، بأنها بعض من كمية الطول فى أصوات المدّ ؛ فهذا موضع تتلاقى فيه البعضية الصوتية والبعضية الكتابية على سواء ، وإنما المشكل فى الطرح الذى يُفهم بأن الفتحة القصيرة إذا ما أشبعت حدثت بعدها ألف ، وهو ما يعكسه النظام الكتابى من الجمع بينهما فى البنية المقطعية الواحدة (عَمِر : عَامِر) . وحق القياس وفقاً للنظام الصوتى السمعى أن لا تكون فتحة قصيرة قبل الألف، ولا علامة السكون الصفرية القيمة فوقها ، هكذا : (عَمِر : عامِر) وإلا تولد مشكل فى استنطاق المكتوب ، بالتقاء فتحة وألف مد التقاء مباشراً فى مقطع واحد ، وهذا مرفوض فى الساميات فضلاً عن العربية[2] ، ثم إن السكون فوق ألف المد لا موجب له أصلاً ، لأن السكون من خواص الصوامت ، لنفى الحركة عنها ، وألف المد هى أصلاً حركة .

---

(١) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ١/٢٠٤ .

(٢) انظر : بروكلمان : فقه اللغات السامية ص ٤٢ ، وفليش العربية الفصحى ص ٤٥ وشاهين : المنهج الصوتى ص ٤١ ، ويحى القاسم : أثر المقطع المرفوض فى بنية الكلمة العربية ص ١٥٥ .

على أنـه يعتب فى شرح المـشكل هنا اجـتهاد عريض ، والمهـم فيه ولادة التساؤل ؛ عما إذا كانت الخواص البنيوية فى ألف المدّ (الفتحة الطويلة) مطابقة لمثلها فـى الصامت المشدّد (المضعّف) أم لا ؟ ويـكاد الفقه اللغوى يـتواتر على تفسير الصوت المشدد ، بأنه وصلة صوتية محولة عن اندماج فلقتين صوتيتين ، متماثلتين ومتتاليتين ، بنطقهما دفعة واحدة ، وبنبوة لسان عن نقطة المخرج نبوة واحدة . وكثـيراً ما يطرد وصـفه ، أى الصوت المـضعف ، بأنه صـوت أشبع الاعتماد عليه فى مخرجه ، فانحبـس جرى الصوت معه مدة أطول من معتادها فيه قَبل التشديد[1] . ونحـسب أن الأمر سـواء كذلك فـى ألف المـدّ (الفتـحة الطويلة) ، فهى مثل الصامت المشدّد يصح فيها ، أنها وصلة صوتية محولة عن اندماج صوتين متماثـلين ومتتاليين ، ونطقهما دفعة واحدة ؛ فالـفتحة القصيرة تكون غير مديّة ، حتى إذا أشـبعت بزيادة الكمية الصوتية فيـها ، فعندئذ تجتاز حدّها الطـبيعى ، وتتحول بالـكميتين الأصليـة والإضافية إلى الوضعيـة المسماة بألف المدّ .

وعليه فثمة مطابقة بنيوية بين التشديد فى الصوامت ، والمدّ فى الحركات . ومثلما يحمل التشديد قيما وظيفية ؛ دلالية وتصريفية ، فكذلك المدّ الحركى ، وهذه مسألة تتجلى عند مراقبة التحولات الـصرفية ، التى تجئ عليها صيغهما ، ومن ذلك أن كليهما قد يؤدى وظيفة تمييزية دلالية كما هو فى (حَجَر : حَجَّار ، غزَل : غزَّال) وقد يـؤدى وظيـفة تصـريفيـة إحلاليـة تقـوم مقام غـيرهـا من الوحدات اللغوية . كما هو فى (ردّ : والقياس رَدَدَ ، قال : والقياس قوَلَ) .

وعموماً فيقرّ عـلم الصوتيات المعاصرة أن يكون فارق الكمـية الصوتية هو أبرز ما تمتاز به الحـركات القصيرة عن أصوات المدّ (الحركات الطـويلة) . وتبعاً لمقاييس المـعامل الصوتية ، فالحركات الـطويلة تقع فى ضعف زمـن القصيرة .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١/٥٣١ ، وعبابنة ، جعفر : حقيقة الإدغام ص ٤٧ .

ولقد يقال بعبارة أخرى : إن كل حركة طويلة تعادل قصيرتين . والذى يحدد الطول والقصر ههنا ، هو العرف السائد عند أصحاب اللغة ، وفى العادة فهو يقع فى مائة وخمسين وحدة تذبذب فى (حركة القلقَة) ، ولها وزن نصف حركة قصيرة ، وثلاثمائة وحدة تذبذب فى (الحركة القصيرة) ، وستمائة فى (الحركة الطويلة) ، وسبعمائة وخمسين وحدة تذبذب فى (الحركات المديدة) ذات الطول فوق زمن الحركات الطويلة[1] . وصفوة ما تقود إليه العلاقات بين الحركات بعضها إلى بعض أنها كلها تنبجس من معين واحدة ، لكنها تتفرع عند المصب إلى أنماط حركية متنوعة . وتتعاطى اللغة الفصحى بعدد محدود منها ، ممثلاً بست الحركات الأساسية السالف ذكرها . وتلك الست الحركات هى أدوات الفصحى لصناعة مفهوم الإشباع الصوتى فيها ؛ وذلك من خلال نظامين للإشباع وهما :

- نظام إشباع الحركات الطويلة .
- نظام إشباع الحركات القصيرة .

وبالضرورة أن يسرى إشباع الحركات بعامة ، على طبائع الصيغ الصرفية التى تحوز على تلك الحركات ؛ فإنما الصيغ الصرفية المحل لها ، وهى كالعرض فيها . وأياً كان الإشباع ؛ بالحركة القصيرة أم الطويلة فإنه يؤدى إلى ولادة تشكيلية فى الأبنية الصرفية التى يقع فيها ، مّا بين البنية فى صورتها على أصل الوضع ، وصورتها بعد عملية الإشباع . وفى معظم الأحيان فإن البنية الصرفية الإشباعية تبقى بنية فرعية وعارضة ثانوية بالمقارنة مع البنية الأساسية قبل الإشباع . على أنهما قد تتعايشان معاً ، وتحظى كلتاهما بالقبولية أو بالصحة

---

(١) أنظر : ستيتية ، سمير : تحليل الظواهر الصوتية ص ١٦ ، وعبده ، داود : ابحاث فى اللغة ص ٣٥ وعبد القادر عبد الجليل : علم اللسانيات الحديثة ص ٣١٦ ، وعلم الصرف الصوتى ص ٧٢ .

اللغوية ، بنحو ما سيتضح لاحقاً ، فأما تالياً فيخطو البحث نحو مناقشة الأمثلة الإشباعية الحية من خلال ما تفاوضت به ألسنة العرب فى أنثارهم وأشعارهم ، ومن خلال ما وقع منه فى لغة القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف . ونوالى الكلام بتقدم إشباع الحركة الطويلة على إشباع الحركة القصيرة ، من قبيل تقديم الإشباع المنتظم قياسياً على الإشباع المرتجل سماعياً .

٢ - مادة الإشباع :

١/٢ إشباع الحركات الطويلة المنتظم :

ويطرد هذا النمط من إشباع الحركات الطويلة بصورة منظمة قياسية فى لغة القرآن المجيد ، بحيث يصح فيه أنه إشباع (قرآنى) ومتصل بالتلاوة السليمة لآى القرآن . والمشروعية فيه تكمن فى تواتر نقله عن النبى ﷺ ، ولما ثبت «عن قتادة أنه قال : سألت أنس بن مالك ، كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان يمدّ صوتيه مداً»[١] ، وكذلك لما جاء «فى حديث ابن مسعود حينما كان يُقرأ رجلاً من سورة التوبة ، فقرأ الرجل كلمة (فقراء) مرسلة على القصر دون المدّ (إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ، فقال الرجل : كيف أقرأ كها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقر أنيها هكذا (للفقراء) ، ومدّها[٢] .

وفى معتاد علماء التجويد القرآنى أنهم يُلقّبون الإشباع هنا بإشباع (المدّ الفرعى) ويقدرون استغراقه الزمنى بمقدار ست حركات من حركات اصبع اليد، وهو ما يعادل سبعمائة وخمسين وحدة تذبذب[٣] ، وهم ينصون على أن سنته

---

(١) البخارى : صحيح البخارى ح ، رقم ٥٠٤٥ .

(٢) ابن الجزرى : النشر ١/ ٤٢٤ .

(٣) انظر : عطية قابل نصر : غاية المريد فى علم التجويد ص ٩٥ .

فى المشافهة ، وأن سبيله فى التلقى عن المقرئ ، لا من رؤيا العين فى المصحف . وبأخرة زمن أبى حاتم السجستانى ثبتت لإشباع المدّ فى رسم المصحف الشريف علامة إشارية دالة عليه فى هيئة خط متعرج هكذا (~) يوضع فوق محله[1] . (الحاقة : الحآقة ، سوء : سيٓء ، مفلحون : مفلحوٓن) . والأمثلة على ذلك وفيرة جداً ، ولا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات القرآن الكريم ، ونجتزئ منها بضعة أمثلة شارحة حسب ، وبأدناه كشافها التنميطى ، ومسرد بالأمثلة الموافقة[2] .

- **خطاطة إشباع الحركات الطويلة :**

م	نمطية الإشباع (ص ح ح ح ص)	النموذج			كمية الإشباع		اللقب
		الفى	يائى	واوى	حركة أصبع	ذبذبة	
١	صوت مدّ فى مقطع مقفل بصامت مشدد .	حآقة	--	أتحآجونى	٦ حركات	٧٥٠	مدّ لازم
٢	صوت مدّ فى مقطع مقفل بالهمزة .	سمآء	سيٓء	قروٓء	٤-٦ حركات	٤٠٠ - ٧٥٠	مدّ متصل
٣	صوت مدّ فى مقطع مقفل بصامت ساكن للوقف العارض .	رحمآن	نستعيٓن	مفلحوٓن	٤-٦ حركات	٤٠٠ - ٧٥٠	مدّ عارض
٤	صوت مدّ فى مقطع مقفل بصامت ساكن للوقف الدائم .	ق	يسٓ	نٓ	٦ حركات	٧٥٠	مدّ حرفى

(١) انظر : القطان ، مناع : مباحث فى علوم القرآن ص ١٥١ ، وصبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن ص ٩٤ .

(٢) توثيق الأمثلة سيذكر معها ، عقب المثال مباشرة ، وستخلو صفحة الحواشى إلا من توثيق الإحالات الشارحة .

الأمثلة :

١ - الحآقة ، ما الحآقة . ق ٦٩/ ١ ، فإذا جاءت الطآمة الكبرى ق ٧٩/ ٣٤ ، فاذكروا اسم الله عليها صوآفّ . ق ٢٢/ ٣٦ ، لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جآنّ . ق ٥٥/ ٣٩ ، آلله خير أما يشركون . ق ٢٧/ ٥٩ ، قال أتحآجّونّى فى الله . ٦/ ٨٠ .

٢ - ويا سمـآء أقلعى . ق ١١/ ٤٤ ، وسىٓ بهم . ق ١١/ ٧٧ ، فكلوه هـنٓيئاً مرٓيئاً . ق ٤/ ٤ ثلاثة قروء . ق ٢/ ٢٨ .

٣ - الرحـمآن ، عـلم الـقرآن . ق ٥٥/ ١ ، طوبـى لهـم وحسـن مآب ، ق ١٣/ ٢٩ إياك نـستعيٓن . ق ١/ ٥ ، يا بنـى اسرآئيل . ق ٢/ ٤ ، وأولئك هم المفلحون ، ق ٢/ ٥ .

٤ - قٓ ، والقرآن المجيد ، ق ٥٠/ ١ ، يسٓ ، والقرآن الحكيم . ق ٣٦/ ١ ، نٓ ، والقلم ما يسطرون . ق ٦٨/ ١ .

وفى حاق العلم فإن إشباع الحركة الطويـلة (إشباع المدّ) ليس مقصوراً على تلاوة القرآن الكريم ، فثـمة انتشار له فى أدبيات التراث الشعبـى الغنائية ، فى أهازيج (المواويل ، والهيهاويات) ، وأيضاً فى بعض الوصلات اللهجية المنبورة نبرة شدة أو ارتكاز .

وجلاء التمثيل هنا لا تكفله أسنـة الأقلام ، وإنما أشرطة السماع تماماً مثلما هى الحال فـى الإشباع القـرآنى ، ففى كـلتا الحالين يـتعذر ، وفقـاً للمعـيارية الصرفـية أو الإملائية المتـاحتين فى نظام الـفصحى ، أن يدون الإشبـاع برسم إملائى ، أو أن يضبط بميزان صرفى .

وعلى سبيل التـقريب الجزئى للظاهرة ، نشير إلى إشبـاع الحركات الطويلة

المميزة للهجة السكان بمدينة (الخليل) الفلسطينية ، وخاصة عند الوقف على المقطع الأخير من أبنية الكلمات ، حيث تزداد الكمية الصوتية عما هو معتاد فى ذاتها الأصلية .

- قال : قآل ، روح : روّح ، جيت :جيّت

وقد نقارب أيضاً بواحدة من أهاريج المديح الشعبى لدى الناس فى إقليم الأردن .

آويها يا تميمْ يا مَلَكْ يا بْنِ المْلآك   تْمنّيتْ لَكْ السّعْدْ وْدُورةْ الأفلاك
وتِرْوحْ لَدْيارْ اليَهودْ تْهدْها   وتْنِقِلْ حْجارْها مَعَكْ لأرضْ الكرآك

وفى المظنون أن إشباع الحركات الطويلة قد عرفته اللهجات العربية القديمة، وكذا اللغة الأدبية ، بيد أن مشكل الكتابة ، وأيضاً مشكل التدوين قد حالا دون وصول الأثرات المنبئة عن ذلك .

٢/٢ إشباع الحركات القصيرة المرتجل :

لا يمتنع مستوى من مستويات التعبير اللغوى عن أن تنزل بساحته حُمّى الإشباع الحركى بالحركات القصيرة الثلاث : الفتحة ، والكسرة ، والضمة ، وبخلاف ما هو الحال فى إشباع الحركات الطويلة ؛ فالإشباع هنا يسهل رصده وتدوينه ، إذ إنه يقع ضمن الإمكانات العادية المتاحة فى أنظمة العربية الصرفية، والإملائية معاً ، وبوسع العين أن تلمح النماذج الموافقة فى الأشكال اللغوية الكتابية ، مثلما بوسع الأذن أن تحسّها فى التفاوضات النطقية .

وكذلك حفلت المصنفات القديمة بهذا النمط الإشباعى ، ولا سيما مصنفات اللغة الشعرية ، ومصنفات اللغة الملحونة (لحن العامة) . وقد أمكن لنا أن نستنخل من تلك المصنفات ، ومن سواها قدراً وافراً من النماذج الحية

التى جرت بـهـا أقلام الكاتبـين حقاً ، وامتد التراسـل بها حتى وصلـت إلينا . وبالإمكـان إجراء المقايسة الـنظرية علـيها ، وتوسيـع العدد كثيراً ، وبـالإمكان توسيع العـدد بشئ من كلام الناس المسموع بـزماننا ، فالمسألة حيـة بعد ، ولها معايـشات واقعيـة فى لغة الكـلام الانفعالـى الخطابى خاصـة ، على أننـا نؤثر توضيحها من خلال الموروث المدون لا الصورى .

ونورد تالياً كشافاً بتوزيعات الإشباع هنا ، ومن ثم نعقبه بسرد الأمثلة .

● **خطاطة إشباع الحركات القصيرة :**

م	نماذج الإشباع (ص ح ح ص) (ص ح ح)	موضع المقطع المشبع			نهاية المقطع المشبع		هيئة البنية الصرفية		العدد
		الوقف	الحشو	الابتداء	مغلق	مفتوح	مفردة	مركبة	
١	عَقْراب ، قواريرا	٣٧	٥	٨	٢٢	٢٨	٣٨	١٢	٥٠
٢	دراهيم ، مُزَوَّدى	٣٣	٥	١٠	٢٥	٢٣	٣٢	١٤	٤٨
٣	بُرْقوع ، تَرْعاهمو	٢٢	١	٣	١٢	١٤	١٦	١٠	٢٦
		٩٢	١١	٢١	٥٩	٦٥	٨٨	٣٦	

الأمثلة :

١/٢/٢ إشباع حركة الفتحة القصيرة :

في لغة الشعر :

- و لَنِعْمَ مَاوى المُسْتَضيف إذا دعا   والخَيْلُ خارجَةٌ من القسْطال

«اوس بن حجر» الكامل

- كَأنّ جيادنا في رَعن زمٍّ   جَرادٌ قد أطاعَ له الوَرَاق

«اوس بن حجر» الوافر

- فَظَلاَّ يخيطان الورَاق عليهما   بأيْديهما من أكلِ شرٍّ طعام

«الفرزدق» الطويل

- فأنت من الغوائل حين تُرْمى   ومِن ذَمّ الرجالِ بمنتزاح

«ابن هرمة» الوافر

- وَقولُ المرْء يَنفَذُ بَعْدَ حين   مَواضعَ ليس ينْقَدُها الإبار

«القطامى» الوافر

- أقُولُ إذا خرّت على الكَلْكال   يا ناقتى ما جُلْتِ مِنْ مجال

«الموشح للمرزبانى ص ٨٧» الرجز

- لو أن عندى مائتَىْ دِرْهام   لا بْتعَتُ داراً فى بنى حرام

«الموشح ص ٨٧» الرجز

- وَأرْكَبُ حماراً بينَ سَرْج وفَرْوَة   وَأعْر من الخاتام صُغْرى شِماليا

«معانى القرآن للفراء ١/ ٦٧» الطويل

- أعوذ بالله من العَقْراب   الشائلات عُقَدَ الأذناب

«فصول لرمضان عبد التواب ص ١٨٥»

- أتَتْنا ريـاحُ الغَوْرُ من نـحو أرضـها   بـريح خَزَنْبـاش الـصـرائم والحـقـل

«الممتع فى التصريف ١/ ١٥٩» الطويل

- يَجْمَـعُ حُلْمـاً وانـاة مـعـاً   ثُمّتَ يَنْبـاعُ انبـيـاع الـشـجـاع

«الأشباه للسيوطى ١/ ٣٥٤» السريع

- يَنْبـاع مـن ذِفرى غَضـوب جَسـرة   زيّافَة مِثْلَ الـفـنـيـق المُقْرَم

«عنترة» الكامل

- قـريـنَيْن كـالـذئـبين يَبْتَدرِ انـنـى   وشَرَّ صَحـابـات الـرجـال ذئـابـهـا

«المغلس الأسدى» الطويل

- صـحـا قـلْبهُ مـن سُكـرهِ فـتَأمْلا   وكـانَ بـذكـرى أمِّ عَمْرو مُوكَلا

«أوس بن حجر» الطويل

- الـعـين تُظْهـر الحبّ والـبـغـضـا   وتـظـهـر الإبـرامَ والـنـقـضـا

«بكر بن النطاح» الرجز

- ألا يـا قـومَنـا ارتحلـوا وسـيـروا   فـلَوْ تُرِكَ الـقـطـا لـيـلاً لـنـامـا

«علياء الأسدى» الوافر

- تَحـاسَدَت البـلادُ حتـى لـو أنهـا   نفـوسٌ لسار الشـرق والغرب نحـوكا

«المتنبى» الطويل

- ظَبْيُ الحِمـى بـالله مـا ضَرّكـا   إذا رأَيْنـا فـى الـكـرى صَنـيـعـكـا

«حافظ إبراهيم» الرجز

- فـذاك الـقـصـاص وكـان الثّقـاص   فـرضـاً وحـتـمـاً عـلى المسـلـمـيـنـا

«الكامل للمبرد ١/ ١٧»

- بَيْنـا تَعَنُّقِهِ الـكُمـاة ورَوْغـه   يَوْمٌ أتـيـحَ لـه جـرىٌ سـلْـسَعُ

«الأشباه ١/ ٣٥٥» الكامل

- لــو أسنَدَتْ مَيْتــاً إلـــى نَحْرِهـــا عـــاشَ ولـــم يُنْقـــل إلـــى قَابِر

«الأعشى» الرجز

- وقـدْ عَلِمَتْ عِرْسـاك أنـك آيـبُ يُخـــبِرُهُـم عـــن جَيْشِهِم كُلَّ مَربَع

«اوس بن حجر» الطويل

- وتَضْحَك منـى شَيــخَةٌ عَبْشَمِيّة كَأنْ لَمْ تَرى قـبْلـى اسيــراً يمـانـيـا

«عبد يغوث» الطويل

- إذا الــعــجــوز غَضِبَتْ فَطــلِّق ولا تَرَضـــاهـــا ولا تَمَلَّـــقَ

«الانصاف ١/٢٦» الرجز

- حــتـى تَحــاجَزْن عـلـى الـروادى تَحــاجُزَ الــرِّىّ ولــم تــكـــادى

«القافية ، لمحمد عونى ص ١٥٣» الرجز

وفى مقطعات الأرجاز :

- فأعْطيه المرآة والمكحالا .

- فى كل يوم وليلاه .

- قد سمعنا صوت حاد جلجال ،

- فلا ترى بعلاً ولا حلائلا «القافية والأصوات اللغوية ص ١٥٣»

وفى لغة الحديث الشريف :

- من أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا «شرح التسهيل ١/٥٥»

- وحديث : متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادى

«البخارى، ح. رقم٦٤ مغازى»

- وحديـث : إذا الإنسان دفـن فتفـرق عنه أصـحابه ، جـاءه ملك فـى يده مطراق فاقعده «مسند احمد ٣/٧»

وفى تلاوة القرآن المجيد :

- قرئ (تَزْوارّ عن كَهْفِهِم ق ١٨/ ١٧) مثل تحمارّ «تفسير القرطبى ١٠/ ٣٦٨»

- وقرئ (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) ، وبالقصر فكهون بمنزلة حذرون «البيان فى غريب القرآن لابن الأنبارى ٢/ ١٦»

- وأيضاً الآية (أو لامستم النساء ق ٤/ ٤٣) وبالقصر «لمستم»

«حجة القراءات لأبى زرعة ص ٢٠٤»

- وأيضاً الآية (لكنّا هو الله ربى . ق ١٨/ ٣٨) وبالقصر لكنَّ

«شرح اللمع للعكبرى ص ٤٨٣»

- وآيات إشباع حركة الفتحة فى مقاطع الفواصل القرآنية ترى ، ونقتطف منها : (ولا تخاف دركاً ولا تخشى ق ٧٧/ ٢٠) ، (وأكواب كانت قواريرا . ق ٧٦/ ١٥) ، (وتظنون بالله الظنونا ق ١٠/ ٢٣)

وفى اللغة الملحونة :

- فقد سجل بعض متقدمى الكتاب فى حق العامة ، وألسنة الناس الشعبيين عن لهجة أهل اليمن من أنهم «يشبعون الفتحة عند إسناد الفعل الناقص إلى ضمير الرفع فيقولون : دَعاتَا فى َعتَا ، وليس إثبات الألف بالوجه القوى»

«التصريف للزنجانى ص ١٤٣»

- ومثله عن لهجة أهل الحجاز من أنهم يلتزمون بالإشباع مطلقاً فى كل ماهو حركة لحرف السروى ، وقفاً ، ووصلاً ، قصد الترنم أم لا ، فيقولون : «أقلى اللوم عاذل والعتابا» ، ويقرأون «وتظنون بالله الظنونا»

«معانى القرآن للأخفش ١/ ١٧٧»

- ومثله عن لهجة بعض قيس وربيعة من أنهم يشبعون الفتحة القصيرة وصلاً، وعليه قرئ بإثبات الألف فى «لكنّا هو الله ربى» «شرح اللمع ص ٤٨٣»
- ومثلـه ما ذكر عن عـامية أهل الأنـدلس وأقاليـمها ، فذكـر الزبيدى أنـهم يقولون : «عَرْعار ، وبَرْواق ، وقبار ، وكله بالقصر» «لحن العامة ص ١٧٠»
- وذكر ابن الجوزى أن عامة زمانه يقـولون «لمجمع الماء الحار : حامّة ، وإنما هى حَمّة على وزن فَعْلة» «المدخل إلى تقويم اللسان ص ٢٢٠»
- ومثله ما ذكـره ابن مكى عن عامية أهـل صقلية أنهم يقـولون : «قاتول ، وجاروف ، وغاسول ، وخالوق ، وقادوم ، ويُقحمون الألف فى قولهم «أنت فى حالّ ، وسرّ فى داعة الله ، وكله بالقصر» «لحن العامة ص ١٥٤»
- وإشباع حركة الـفتحة القصيرة ملـحوظ بعاميات زماننا فـى الإنشاد الحزين والموال ، وعنـد النبر علـى المقاطع الأحادية الـتكوين من نمـط : كام فى كَمْ، وجاد من جَدْ ، وغير ذلك .

٢/٢/٢ إشباع حركة الكسرة القصيرة :

فى لغة الشعر :

- قـرْحـاءُ حوّاءُ أشْراطِيّةٌ وَكَـنَتْ فـيها الذّهـابُ وحـفّتـها البـراعيـم
«علقمة بن عبدة» البسيط
- تنفى يداهـا الحصى من كُلِّ هاجرَة نَفْى الـدراهيـم تـنقـاد الـصـياريـف
«الفرزدق» البسيط
- وسـواعـيـد يَخْتـلـين اختـلاءً كـالمـغـالـى يَطرنْ كـلَّ مَطيـر
«عمرو بن الأهم» الخفيف
- أو فى السَّرارةِ من تَيْمٍ رضيتُ بهم أوْ مِنْ بـنى خَلَفِ الخُضْرِ الجـلاعيـد
«تميم بن مرة» البسيط

• أوْ الْخَشْرَمِ الْمَبْعوثِ حَثْحَثَ دَبْرَه   مــحابــيـضُ أرْداهُنّ ســامٌ مُعَسّل

«الشنفرى» الطويل

• أفـدى ظِباء فَلاة مـا عَرَفــنَ بـهـا   مَضْغَ الـكلام ولاَ صَبْـغ الحـواجيـب

«المتنبى» البسيط

• واغْضى واغْضَتْ واتّسى واتَّسَتْ به   مــرامــيـــلُ عــزّاهـا وعــزّتْه مَرْمِلُ

«الشنفرى» الطويل

• مـطـافـيل أبْكَارٌ حَديـثٌ نِتـاجُهـا   تُشـابُ بمـاءِ مِثْلَ مـاءِ المــفـاصــل

«ابو ذؤيب» الطويل

• لمـا نــزلـنـا نَصَبْنـا ظِلَّ اخْبـيـةٍ   وفـارَ لـلقـوم بـالـلحـم المراجـيـل

«عبدة بن الطيب» البسيط

• يَحِدْنَ بـنـا عَنْ كُلِّ حـىٍّ كـأنـنـا   أخاريـسُ عيـسوا بالـسلام وبـالـنسب

«معانى القرآن للفراء ١/ ٤١٢»

• إذا رَأونــى أطـالَ اللهُ غَيْظـهـم   عَضّوا مـن الـغَيْظ أطْرافَ الأباهـيـم

«القتال الجنابى» البسيط

• حتـى تراعـت فى الـنعـاج الخُذَّل   مـنـهـا المـطـافـيـل وغـيـر المُطْفـل

«أبو النجم العجلى» الرجز

• فـأرتـاح احْيـانـاً وحيـنـاً كـأنّمـا   عـلى كَبِـدى مـاضـى الشَّبـاة ذريـب

«ابن الدمينة» الطويل

• لا كَعَبْدِ الْمَلِيـك أو كـيــزيـد   أو سُلَيْمـــان بَعْدُ أو كــهـــشـــام

«الكميت» الخفيف

• تَلاقــيْنـــا بغَبْيَة ذى طـريـــف   وبَعْضُهُم عــلـــى بَعْض حَنـيـــق

«المفضل البشكرى» الوافر

- امِنْ آل مـيَّة رائـحٌ او مُغْتـدى   عـجـلانَ ذا زاد وغـيـر مـزودى

«النابغة الذبيانى» الكامل

- اغَرَّكِ مـنّى ان حبَّكِ قـاتـلـى   وأنكِ مـهـما تأمُرى الـقلـبَ يفْعَلـى

«امرؤ القيس» الطويل

- امِنْ ام اوفـى دِمنَة لـم تكَلَّمـى   بـحَوْمانـة الـدَّراج فـالمُتثـلَّمـى

«زهير» الطويل

- الا ايُّها الـليلُ الـطويـل الا انْجَلى   بـصُبْح ومـا الإصبْاحُ مِنكَ بـأمثَلـى

«أمرؤ القيس» الطويل

- فلَسْتُ وإنْ اضْحَوْ مَضَوْا لِسَبيـلهم   بـنـاسيـهـمُ طُولَ الحياةِ ولا سـالـى

«عبيد بن الأبرص» الطويل

- الـم يَأتـيـكَ والأنبـاءُ تَنْمـى   بمـا لاقـتْ لَبـونُ بـنـى زيـاد

«قيس بن زهير» الوافر

- اعـاذِلَ طـالَ لَيْلَكِ لـم تَنـامى   ونـامَ الـعـاذِلاتُ ولـم تُنـيـمـى

«جرير» الوافر

- ولَقَـدْ سَرّنـى صُدودُكِ عـنـى   فـى طـلابـيـكِ وامْتِاعِكِ مـنـى

«المثل السائر لابن الأثير ٣/ ٢٨٧»

- كَأنَّ الـعـين خالَطَهـا قـذاهـا   بـعُوّارٍ فَلَمْ تَقْضـى قـراهـا

«القافية تاج الإيقاع لكشك ص ١١٤»

- فـى رَأسِ مُشْرِفَةِ الـقذال كـأنـهـا   جَمْرٌ بَمْسهـكَةٍ تُشَبُّ لُمصـطَلـى

«ابو كبير الهذلى» الكامل

- كـانـى بـفَتْخـاءِ الجنـاحَيْن لَقْوَةَ   عـلى عَجَلٍ منّى أُطـاطئُ شيـمالـى

«امرؤ القيس» الطويل

ومن الأرجاز على إشباع حركة الكسرة قولهم :

- لا عَهْدَ لى بنيضالْ أصبحْتُ كَشَنٍّ البالْ «فصول فى فقه اللغة ١٨٣»

وفى لغة الحديث الشريف :

- «مروا أبا بكر فليصلى بالناس» «شرح التسهيل ١/ ٥٥»
- ومثله حديث : إن يَقُمْ مقامَكَ يبكى «البخارى ، رقم «١٠» الأذان»
- ومثلــه حديث : قالــت الأنصارية : إنــى نذرت يارسول الله إذ نجــانى الله عليها أن أنحرها ، قال : بئسما جـزيتيها ! ولا نذر لأحد فى ملك غيره

«العقد الفريد ٦/ ١٨٩»

وفى تلاوة القرآن الكريم :

- فإن حركة ضمير الغائب ، إذا سُبقَ بالجار ، أو الظرف ، أو اتصل به فعل أو اسم (عَلَيْهِمِ ، لَدَيْهِمِ ، كُتُبه) تُشْبَعُ بياء إشباعاً للكسرة قـبلها ، وهى قراءة ابن كثير الدارى ، تقوية لـلهاء ، وجرياً على الأصل ، فَيُقرأ : «ما يـفرقون بهى بين المرء وزوجه ق ٢/ ١٠٢» ، «وإن ربه كان بهى بصيرا ق ١٥/ ٨٤» ، وهو الإشباع الملقب لدى القراء (بمد الصلة)

«الحجة فى علل القراءات ، أبو على الفارسى ١٣٣/ ١»

وفى اللغة الملحونة التى تنسب إلى بعض اللهجات القديمة :

- ما وصف بأنه «لـغة رديئة فى لسان ربيـعة ، الذين يشبعون حـركة الكسرة القصيرة قبل ضمير التأنيث ، فيقولون ضربتيه ، أعطيتكيه»

«إرتشاف الضرب لأبى حيان ١/ ٤٦٣»

- ومثله ما قيل عن قوم من اليمن لـيسوا بفصحاء ، وهم أزد السراة ، حيث

يشبعون حركة الحرف الموقوف عليه بما يناسبه ، فيقولون مررت بعَمْرى بدلاً من بعَمْر «شرح الشافية للرضى ٢/ ٥٣١»

- وفى لسان عامة قيس «إشباع حركة الضمير البعدية بما يجانس ما قبلها فيقولون : فيهمى ، وعليهمى ، وهو بالسكون وقفاً»

«إرتشاف الضرب ١/ ٤٦٨»

- وفى لسان هذيل «وتميم أنهم يقولون : سميح وهذيل ، وقزيح فى سمح وهَذِل وقزح» «معانى القرآن للأخفش ١/ ٤٢١»
- وشئ من هذا الإشباع قد سُجّل عن أحوال العامة فى إقليم الخلافة الشرقى ببغداد وما جاورها إبان القرن الرابع الهجرى ، فذكر «أن من أغلاطهم الفاضحة ، أى أغلاط العوام قولهم : الخجيل ، والخشين ، والإيباء ، والسيوس ، وترك الياء هو الصواب» «درة الغواص للحريرى ص ٢١»
- وشئ من ذلك قد سجل حول لهجات الإقليم الغربى بالأندلس ، وما جاورها ، حيث سجل الزبيدى ولع العامة «بإقحام الياء فى بعض المواقع التى حقها القصر فيقولون : الطيحال ، والطيراز ، والإيكاف وهيشام ، والتيلاد ، والثيمار» «لحن العامة ص ١٠٧»
- وفى الحق إن ولع المغاربة بإشباع حركة الكسرة القصيرة مسموع جداً فى زماننا هذا الذى به نحيا ، ولا سيما فى المقطع الموقوف عليه فتسمعهم يقولون : حاميد فى حامد .

٣/٢/٢ إشباع حركة الضمة القصيرة :

فى لغة الشعر :

- وإنّنى حَيْثُما يَثنى الهوى بَصَرى ... من حيثما سَلَكوا أدْنو فأنْظور

«الممتع فى التصريف ١/١٥٦» البسيط

- لَوْ أن عَمْرا هَمَّ أنْ يَرْقودا ... فانْهَضْ فَشُدَّ المِئْزَرَ المَعْقودا

«فصول فى فقه اللغة ص ١٨٤» الرجز

- خَوْدٌ أناةٌ كالمَهاةِ عُطْبولُ ... كأنَّ فى أنيابها القرنْفول

«الممتع فى التصريف ١/١٥٦» البسيط

- وَخَدّ كبرقوع الفتاة مُلَمّع ... وَرَوْقَيْنِ لما يَعْدُوا أنْ يُقَشّرا

«النابغة الجعدى» الطويل

- ولى دُونَكم أهْلونَ سِيدٌ عَمِلّسٌ ... وأرْقَطُ زُهْلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأل

«الشنفرى» الطويل

- زَعَمَ البوارحُ أن رحلتنا غداً ... وبذاك خبّرَنا الغرابُ الأسْوَدو

«النابغة الذبيانى» الكامل

- كَرَبَ القلْبُ منْ جَواه يَذوبو ... حينَ قالَ الوشاةُ هِنْدٌ غضوبو

«شرح ابن عقيل ١/٢٨٧» الخفيف

- هَجَوتَ زبّانَ ثُمَّ جئْتَ مُعْتَذِراً ... مِنْ سَبِّ زبّانَ لم تَهْجو ولم تَدَعِ

«معانى الفراء ٢/١٨٨»

- فَظَلْتُ لدى البيْتِ العتيقِ أخيلُهُو ... وَمَطْوايَ مُشْتاقٌ لهُو أرقان

«لبيد» الطويل

- وما كُلّ ذى لُبّ بمؤتيك نُصْحُهو ... وما كُلُّ مُؤتٍ نُصْحُهو بلبيب

«موسيقى الشعر لشكرى عياد ص ٢٥٢»

- سَيُخبرُ ما أحْدَثْتُموا فى أخيكمُ رفاق من الآفاق شتّىً إيابها

«خزانة البغدادى ٤/ ١٦٠» الطويل

- هُنالِكُمو تَهدَّمَتْ الركايا وَضُمِّنَتْ الرَّجا فَهَوَتْ بزمى

«خزانة ٤/ ١٥٤» الوافر

- أصْبَحتَ راعى أهل الدين كُلّهِموُ فأنْتَ ترعاهُمو والله يرعاكا

«خزانة الأدب للبغدادى ٩/ ٣٧» البسيط

في تلاوة القرآن المجيد :

- قرئ بإشباع حركة الضمة القصيرة فى قوله تعالى : «إياك نعبدو ق. ١/ ٣»

«شرح التسهيل ١/ ١٩»

في اللهجات القديمة :

- أهل الحجاز ، وما جاورهم من أهل اليمن «يشبعون حركة الضمير ، ويصلونها بواو ، فيقولون مررت بهو ، ولديهو مال ، ويقرأون «فخسَفنا بهو وبدارهو الأرض ق. ٨١/ ٦٢» «معانى القرآن للأخفش ١/ ١٧٧»

- وزعم الكسائى «أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا يَنْفَعُنى ذلك وما يَضورُنى ، فلو قرئتَ «لا يَضُورُكم كيدهم . ق ٢٠/ ٣ «على هذه اللغة كان صوابا» «معانى القرآن للفراء ١/ ٢٣٢»

- وفى لسان العامة بالأندلس وما جاورها قولهم : «الدّمْلوج فى الدَّمْلُج ، وعوش الطائر فى عُشْ ، ولوبان فى لُبان ، وكورَة فى كُرَة»

«المدخل إلى تقويم اللسان لابن الجوزى ص ١٤٦»

٣ - قواعد التحليل :

يتناول التحليل بالنقاش ثلاث القضايا الآتية وهى : مشروعية الإشباع ، ونظام الإشباع ، وأهمية الإشباع .

١/٣ مشروعية الإشباع :

بأية ما أزجيناه بالفقرة قبل فقرتنا هذه من أمثلة إشباعية يتضح أنها ظاهرة لغوية موجودة فى العربية ، ومُتَأكَدَة جداً ، وعليها بينات موثوقة فى انتاجات أدباء غير ضَعَفَة ، وإنما لهم سَبْق وعُمْق ، وأيضاً عليها بينات فى نماذج من لغة القرآن المجيد ، وفى نماذج من لغة الحديث الشريف ، وفى مواضعات من لهجات الخطاب اليومية الحالية ، على أنها تبقى ظاهرة جزئية ، ومحدودة بنطاقها ، ووقوعها يبقى حالة ثانوية فى المسير اللغوى العام للعربية ، وليس حالة أساسية فيه . والمثاقفة حولها إنما هى مثاقفة تخصصية جداً بين ذوى البصائر فى اللغة ، أو من هم مقاربون لهم .

وقد كان من شان الأقران من علماء السلف الذين التفتوا إلى ظاهرة الإشباع هذه أنهم تناولوها تناولاً موضوعياً ؛ ففصّلوا فى هذا المقام بين وجود الظاهرة فى مستوى لغة القرآن المجيد ، ووجودها فى مستويات لغوية أخرى غير قرآنية ، وترتب على ذلك أن جاءت أحكامهم حول مشروعيتها مختلفة بين المستويين .

فأما فى حق القرآن الكريم فقد أوجبوا ثواباً وأجراً حسناً لكل قارئ يقرأ القرآن الكريم فيمد صوته فيه ، مشبعاً المواضع التى يجوز فيها الإشباع ، ورأوا فى ذلك سمة مؤثرة فى اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس ، حتى عَدوه مكروها إنْ استبدل قارئ بقراءة (الإشباع) قراءة القصر .

وبلغ من حرصهم على قبولية مبدأ الإشباع فى تلاوة آى القرآن المجيد أن جعلوه أى الإشباع على مراتب ، متفاوتة تبعاً لتفاوت مقدار الكمية الإشباعية اللازمة فى هذا الموضع أو ذاك .

ومن الأحكام المتداولة هنا ، وجود إشباعات يلزمها طول بقدر ست حركات من حركات أصبع اليد ، أو قدر خمسين وسبعمائة وحدة تذبذب فى الثانية ، على حين تقل الكمية الصوتية فى إشباعات أخرى لتكون بقدر أربع إلى ست حركات . والتفصيل موجود فى كتب علم التجويد . وعرضنا لمجمله فى الجدول الخاص بالإشباع القرآنى سابقاً . ولقد أسميناه بالإشباع القرآنى المنتظم ، إيذاناً بأنه قد غدا أنموذجاً يحفظ ومن ثم يقاس على منواله ، وأفردناه وأمثلته بفقرة مستقلة بنفسها ، فيمكن مطالعته فيها[1] .

وليس كذلك شأن الإشباع فى الموضوعات غير القرآنية ، فلم يحظ من ذوى العلم فيه بمشروعية ، ولا قبولية ، ونظروا إليه حيث وقع على أنه حركة شذوذ لغوية ، وضرب من ضروب التجوز ، واللحن فى مجال القول النثرى . ومن ضروب الضرورة وعيوب النظم فى مجال القول الشعرى .

والعادة فى صنيع ذوى العلم هؤلاء ، أنهم يكتفون على الأغلب الأعم بذكر بضعة أمثلة إشباعية ، ثم يرسلونها متناثرة بلا نظام معين ، ودون اعتناء حقيقى بالخوض فى تكوينها الداخلى ، ولا بمعرفة الأسباب وراءها ، مكتفين بلفت النظر إلى أنها ظاهرة قد نَدّتْ عن المألوف ، وحكمها عدم المشروعية ، وثمة تصريحات متنوعة تظهر فكرة الرفض لها مثل : (ومن أغلاطهم الفاضحة . . .) ، (وقد أولعت العامة . . .) ، (وليس بالوجه القوى) ، (ولغة

(١) انظر : الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ٦ ، وعطية قابل : غاية المريد فى التجويد ص ١١٢ .

رديئة فى لسان . . .) ، (لغة فى قوم ليسوا بفصحاء . . .) ، (وهو ضعيف فى القياس . . .) .

وفى المقامات الشعرية ترد تصريحات مثل: (وقد اضطرته الضرورة . . .)، (فقد أشبع الحركة للضرورة . . .) (وهذه ضرورة . . .) ، (أو عيب من عيوب إئتلاف اللفظ والوزن . . .) (واشبع للحاجة . . . .)[1] .

وعلى أية حال فإن معظم هذه التعليقات السلبية ذات مرجعية متعلقة بالثقافة السائدة عن مفهومى (النقد الشعرى ، والتصحيح اللغوى) ومعلوم أن دَيْدَن هؤلاء العلماء من نقاد أو نحاة أنهم ليسوا معنيين بالبحث فى عمق الظواهر اللغوية ، وإنما يعنيهم رصدها ، وتسجيل استعمالها ، ومن ثم إبداء الرأى فيها قبولاً أو رفضاً[2] .

حتى إذا كان المقام مقام علماء لغويين مهتمين باللغة نفسها أو علماء من القراء فهؤلاء شأنهم الوصف ، ومن ثم التعمق فى الظاهرة ببعض التحليل ، وبعض التعليل ، بما يشف عن الغائية من ورائها ، وخاصة أنها مرصودة فى لغة النثر والشعر على سواء ، وثمة بسطه فى الشرح ستجئ لاحقة فى موضعها بالفقرة المتكلمة على أهمية الإشباع فى التعبير اللغوى .

(١) انظر العبارات عند : الحريرى : درة الغواص ص ٢١ ، وابن الجوزى : المدخل إلى تقويم اللسان ص ٢٢٠ ، وعبد العزيز مطر : لحن العامة ص ١٥٤ ، والزنجانى : التصريف العزى ص ١٤٣ ، وابو جيان الأندلسى : ارتشاف الضرب ١/ ٤٦٣ والاستراباذى الرضى : شرح الشافية ٢/ ٥٣١ .

(٢) انظر : محمد السيد إبراهيم : الضرورة الشعرية ص ١٩٨ ، ومحمد عونى عبد الرؤوف : القافية والأصوات اللغوية ص ١٥٣ ، وأحمد كشك : القافية تاج الإيقاع الشعرى ص ١١٤ ، والقزاز القيروانى : ما يجوز للشاعر فى الضرورة ص ١٢٧ .

٣/٢ نظام الإشباع :

يكشف التسطيح اللغوى الشكلى والمجرد للنصوص السالفة أن لب المسألة فى الإشباع يكمن فى عملية التصرف بالكم الصوتى للحركات دون الصوامت والحرية فى هذا المقام تتكئ على تحويل النواة المقطعية من نواة فى هيئة حركة قصيرة واحدة ؛ إلى نواة مقطعية فى هيئة حركة طويلة ، معادلة لحركتين قصيرتين . هكذا (ح : ح ح) . وأما النواة الموجودة أصلاً فى هيئة حركة طويلة فهذه تزداد طولاً بقدر حركة إضافية هكذا (ح ح : ح ح ح) ؛ ولا يقع ذلك فى حركة دون غيرها ، وإنما بكل أنواع الحركات المتاحة فى العربية وهى: الفتحة والكسرة والضمة .

وعلى ما تنطق به النصوص المتوفرة فالإشباع يكون مستحباً نسبياً مع الحركة المركزية المتسعة مخرجاً ، وهى حركة الفتحة . ومن ثم تأتى الحركات غير المركزية الضيقة مخرجاً وهما : الكسرة الأمامية ومن بعدها الضمة القصية .

ومن الجلى أن هذه الوضعية ذات صلة بمفهوم الخفة فى نطق الحركات ، فالجهد العضوى يكون أقل مؤنة على جهاز النطق مع الفتحة ، فالكسرة ، فالضمة .

ويلاحظ فى ضوء معامل الارتباط العضوى فى البنية المشبعة أنها تتوزع إلى فئتين ، فأما واحدة فهى الأبنية الصرفية المفردة ، وهى التى تحمل معانى معجمية مستقلة بنفسها ، وهذه هى المحلة الأساسية التى يسود الإشباع فيها (عَقْراب : عقْرب) ، وأما الأخرى فهى الأبنية الصرفية المركبة ، وهى التى تنشأ بأثر من تعليق بنية صرفية بأخرى ، مثلما هى الحال عند تعليق حرف باسم أو حرف بفعل ، أو اسم بضمير ، وهذه يجئ الإشباع فيها قليلاً (بنيضال : بنضال ، فليُصلّى : فَلْيُصَلِّ ، نُصْحُهو : نُصْحُهُ) .

وكذلك يلاحظ أن موقعية الإشباع تطرد عادة فى المقاطع الختامية بآخر البنية الصرفية (خاتام : خاتم) ، وتقل فى مقاطع الابتداء ، (قيتال) : قتال)،وتندر فى مقاطع الحشو الدا خلية (لم تنامى : لم تنمى) .

ويلاحظ فى الوقت نفسه أن نهايات المقاطع المشبعة لا يمتنع فيها أن تكون مغلقة بصامت (دراهيم : دراهم) ؛ أو طليقة بحركة (الظنونا : الظنون) .

وحالة الإصمات هى الأكثر استقبالاً للإشباع ، وبالضرورة إنها وضعية متناسبة مع خصائص العربية التى تميل إلى الوقف على الأصوات الصوامت ، لا الأصوات الحركات حتى لغدت قاعدة مألوفة عنها (أنها لا تبدأ بساكن ، ولا تقف على متحرك) ؛ فالمقطع (ص ص) مرفوض فى الابتداء ، والمقطع (ص ح) مرفوض فى الوقف .

وعموماً فإن نظام الإشباع فى العربية ينعكس من خلال النصوص فى ثلاثة الأنماط المقطعية التالية :

- نمط : ص ح ح ح ص .
- نمط : ص ح ح ص .
- نمط : ص ح ح .
- نمط (ص ح ح ح ص) : وعنقوده الصوتى مكون من صامت ، فحركة مديدة معادلة لثلاث قصار ، فصامت ، ويشيع هذا النمط فى الإشباع القرآنى خاصة ، وهو محول بالأصل عن نمط (ص ح ح ص) ، هكذا (سئ : سئ) .
- نمط (ص ح ح ص) : وعنقوده مكون من صامت فحركة طويلة معادلة لقصيرتين ، فصامت . وهذا النمط هو صورة الإشباع الأوسع استعمالاً

في مجمل كلام الناس ، وهو محول بالأصل عن نمط (ص ح) ، هكذا (عوش : عُش) .

- نمط (ص ح ح) : وعنقوده الصوتى مكون من صامت فحركة طويلة معادلة لقصيرتين ، وإشباعاته محصورة تقريباً بحالات الوقف على حركة حرف الروى فى الشعر ، وفيما يناظرها من النثر ، وهو محول بالأصل عن نمط (ص ح) ، هكذا (مزودى . . . مُزَوَّدِ) .

والتدقيق فى الأنماط المقطعية الإشباعية بأعلاه يكشف أنها تنتمى إلى قواعد لغوية ثلاث هى :

- قاعدة (التقاء الساكنين) .
- وقاعدة (الوقف على الصوت المتحرك) .
- وقاعدة (المماثلة بين المقاطع الصوتية) .

١/٢/٣ قاعدة التقاء الساكنين :

وبداية تلزم الإشارة إلى استعارة هذا المصطلح من الدرس الصرفى التقليدى ، فثمة يطرد مصطلح التقاء الساكنين ، ولا سيما عند توصيف التغيرات الصوتية التى تطرأ على تصريفات المعتل من الأسماء ، والأفعال ، عندما يظهر فى تشكيلهما الصرفى مقطع ذو عنقود صوتى من نمط صامت فحركة طويلة ، فصامت نحو (قال : ص ح ح ص) . والإشارة هنا ضرورية لكيلا يقع التباس مع صور مقطعية أخرى يلتقى فيها سا كنان صامتان مثلما هو فى حالة الوقف على آخر الثلاثى المجرد الساكن الوسط نحو (لَحْم : ص ح ص ص) ومثلما هو فى حالة التقاء الساكنين الصامتين بحشو البنية نفسها ، حين يكون أولهما جزءاً من مقطع سابق ، وثانيهما جزءاً من مقطع لاحق نحو

(يكتب : ص ح ص ، ص ح ص) فالساكنان هنا غيرهما هناك فهما فى الموضع الأول من التقاء متخالفين صوت حركة مع صوت صامت ، بينما هما فى الثانى من التقاء متماثلين صوت صامت مع صوت صامت وليس الوضع الثانى من اهتمام هذا البحث .

ومهما يكن فلا مشاحة فى الاصطلاح ، ثم إن المقام ليس مقام تحرير لماذا، وكيف يكون صوت المدّ (الحركة الطويلة) ساكناً ؟ ويعنينا هنا أن التقاء الساكنين بالتوصيف المحدد سابقاً ، ينتظم من المقطعيات الإشباعية التى مر ذكرها ، نمطين من ثلاثة أنماطها وهما : النمط المقطعى (ص ح ح ح ص) والنمط المقطعى (ص ح ح ص) ، ففى هذين النمطين يرد الساكن الأول فى هيئة صوت مدّ ، حركة طويلة ، والثانى فى هيئة صوت صامت محض ، ولا من فارق بين النمطين إلا فى الكم الصوتى الذى يكون عليه الساكن الأول ، فهو معادل لثلاث حركات قصار فى واحد ، ومعادل لقصيرتين فى الآخر ، وكلاهما واسع وكثير الاستعمال .

وعليه يصح القول إن قاعدة التقاء الساكنين تتمثل جيداً فى حالات الإشباع الصوتى ولقد يقال إن معظم حالات الإشباع تندرج فى حيز التقاء الساكنين .

وهنا يثور السؤال كيف إن قاعدة التقاء الساكنين تكون مرفوضة ومقبولة معاً؟ ففى القاعدة العريضة أن التقاء الساكنين يعد مُشْكلاً نطقياً ثقيلاً فى العربية، فيتكاره اللسان نطقه ، ويعمد عادة إلى جفوه والتخلص منه .

فإما كان الساكنان كلاهما صامتين ، فيطرد فيهما التخلص من الثقل بالكسرة فى الغالب ، أو بالضمة أو الفتحة ، نحو (لم يكُنِ الذين ، لهُمُ البشرى ، مِنَ الله) .

وإما كان الساكن الأول صوت مدّ والثانى صامتاً وظهرا فى مقطع واحد ،

فيطرد فيهما التخلص من الثقل بالحذف ؛ عن طريق القضم الحركى لجزء من صوت المدّ وإن لم يظهر ذلك رسماً ، نحو (يُحْى الموتى) بالقصر فى نطق (يحى) ، ونحو (لم يقم فى لم يقوم) حتى لباتت قاعدة من قواعد النظام المقطعى فى العربية (إن كل حركة طويلة فى مقطع صوتى مغلق ، فهى تقصر باستمرار)(١) .

على أن العرف اللغوى قلما عرف قاعدة بلا استثناءات وقاعدة كراهة اجتماع الساكنين من النمط الذى يجتمع فيه صوت مدّ وصوت صامت فى مقطع واحد لها صورة فرعية معاكسة لها . وتقضى باستحباب اجتماع الساكنين، لكنه استحباب مقيد ، ومتوقف على توافر أحوال لسانية بعينها . وقد جاءت من خلال النصوص فى أربع الحالات أدناه :

- حالة اجتماع صوت المد والصامت معاً فى مقطع واحد ، وثانيهما صوت صامت موقوف عليه وقفا عارضا . وهذه الحالة هى أكثر الحالات الإشباعية وروداً وورودها مقيد بأواخر الكلمات تحديدا .
- حالة اجتما صوت واحد المدّ والصامت فى مقطع واحد بحشو البنية ، وثانيهما صامت مشدد بالإدغام والإشباعات عليها قليلة ، وأكثرها قرآنية ، على أنها فى الكلام العادى موجودة .
- حالة اجتماع صوت المدّ مع صوت الهمزة حصراً ، وهى حالة مطردة فى الإشباع القرآنى ، بحيث لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات القرآن المجيد .
- حالة اجتماع الساكنين لدى نطق الأصوات المقطعة بأوائل السور الكريمة .

(١) يحى القاسم : أثر المقطع المرفوض فى العربية ص ١٥٥ ، وبروكلمان : فقه اللغات السامية ص ٤٣ ، وفليش : العربية الفصحى ص ٤٥ ، وابن الأنبارى : البيان فى غريب القرآن ١/ ٥٣ ، وابن جنى : الخصائص ٢/ ٤٩٦ ابن الجزرى : النشر ٢/ ٩٠ .

٢/٢/٣ قاعدة الوقف على المتحرك آخره :

والمعنا إلى أنها قاعدة فاعلة بصورة مقيدة فى النظام الإشباعى للعربية ، فيما شأنه أن يتذيل آخره بمقطع من نوع (ص ح) قصير مفتوح ، أو متحرك حركة قصيرة ما . ومثل هذا المقطع ، لا يقوى فى مثل ،هذه الوضعية اللغوية العربية أن يكون بؤرة لارتكاز الصوت ، أو محلاً للنبر عليه ، فتتلاشى بأثر ذلك نواة المقطع من المقطع ، أى الحركة القصيرة وقؤول البنية الصرفية إلى بنية مغلقة بصوت صامت لا متحرك . وذلك هو الأصل ، والأكثر الأغلب فى هذه المقامات .

والتقنيات الشارحة حول الظاهرة هذه تعرضها المصنفات المختصة عند التكلم على أوجه الوقف فى العربية ، وعلى التعيين الوقف «بالسكون» وعلامته المشهورة حالياً دائرة صغيرة مستديرة تتموضع فوق الصوت الصامت ، وهى بالرسم العثمانى فى هيئة رأس خاء صغيرة ، يقول ابن الجزرى : «الوقف بالسكون عبارة عن تفريغ الحرف المتحرك من الحركات الثلاث ، وذلك لغة أكثر العرب»[١] .

على أن هذه الظاهرة تعرف سمتاً استثنائياً معاكساً فى بعض مخرجاتها ، وتحديداً فى مخرجات الكلم الإشباعى ، فبدلاً من حذف الحركة تجرى زيادة فى كميتها الصوتية ويتحول المقطع القصير المفتوح من نوع (ص ح) إلى مقطع طويل مفتوح من نوع (ص ح ح) .

وتعتبر هذه الحركية الإشباعية فى مقاطع الختام دون الحشو أو الابتداء ، وهى فاشية فى لغة الشعر كثيراً ، فى ضربه ، وفى عروضه . وهناك ميل زائد

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٩/ ٦٧ والأزهرى ، خالد : شرح التصريح ٢/ ٣٤٠ ، وابو حيان : ارتشاف ٢/ ٣٤٠ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ٢/ ٣٩٢ .

نحوها فى الروى المشبع بالف المدّ ، وهو الإشباع الملقب بـ (ألف الإطلاق) ، وتسمع هذه الحركية كثيراً أيضاً فى إشباع حركات الضمائر المختلفة ، فى الإشباع الملقب لدى القراء بـ (مدّ الصلة) والأمثلة الموافقة كثيرة ، ومرموقة بمظانها من طيات هذا المبحث سابقاً .

٣/٢/٣ قاعدة المماثلة بين المقاطع الصوتية :

والأساس فى هذه المماثلة ، هو تقريب الصوت من الصوت بما يقوى الارتباط فى البنية الصرفية ، ويجعل أجزاءها المقطعية بعضها آخذاً بأعناق بعض، فتَسمُحُ على الأذن ويطيب جرسها . مع أن حق القياس فيها أن تجئ على المخالفة الصوتية بين أجزائها . وهذا مذهب فى العربية فسيح ، والاهتداء إليه من قديم ، وله معالجات تحت مفاهيم عدة مثل : المزاوجة والمشاكلة ، والمجانسة والحمل على الجوار .

ويهم المبحث من كل ذلك أن ظاهرة الإشباع الصوتى محكومة فى جزء من ثروتها بقاعدة المماثلة هذه ، ويمثل ذلك فى إشباعات مقاطع الابتداء ، ومقاطع الحشو الداخلية دون مقاطع الوقف الختامية . فهناك ميل إلى إبدال المماثلة بالمخالفة عندما يتجاور مقطع قصير مفتوح فى أول البنية أو وسطها مع مقطع طويل بعده ، وذلك بإشباع حركة المقطع القصير المفتوح بما يسمح بحصول قدر من التوازى المقطعى التام أو المتقارب بين المقطعين هنا (نيضال فى نضال وإيباء فى إباء ، وقادوم فى قدوم ، ولامستم فى لمستم) .

وقد يقع جراء المماثلة المقطعية هذه أن تُرتكبَ ضروب من المخالفات النحوية الشكلية فيبطل عمل الأدوات الجازمة ، وخاصة فى إشباعات المقاطع الداخلية (لم تكادى فى تكدى ، ولا ترضاها فى ترضها ، ومتى يراك الناس ، فى يَرَكَ الناس ، ولم ترى قبلى فى لم تر قبلى ، وفلا يغشانا ، فى يغشنا)

شريطة وصل التراكيب ، ونطقها سلسلة كلامية متوالية لا متجزأة ، وبقية الأمثلة الموافقة يمكن العودة إليها فى مسرد الأمثلة السابقة .

٣/٣ اهمية الإشباع :

ولقد نعلم أن ابن اللغة ، أيما لغة كانت ، إنما ينشد لغته على تقسيمات موزعة بين البسط أو القبض ، والزيادة أو التجرد ، وهو يزاول ذلك بصورة اختيارية تلقائية ، وفى ضوء ما انطبع فيه من عادته اللغوية . وغايته وراء ذلك تتميم الكلام ، وتقريبه من الملتقى مأنوساً ومؤثراً معاً .

ولا يعدو الإشباع أن يكون بعض الآليات فى هذه التقسيمات ، وخاصة فى تقسيمات البسط فى الكلام ، إذ إنه ، وينجو ما ظهر من تحليل نظامه اللغوى ، آلية بسط لا قبض وزيادة لا تجرد فى البنى الصرفية التى تحوز عليه .

وعلى رغم ما عَمّقتْه متواليات البحث السالفة ، من أن زيادات الإشباع محدودة التمثيل ، وغير مطردة طبقاً لقوانين لغوية ثابتة ، وإنما على الرواية ، إلا أنها زيادات جدً فاعلة . وتعد علامة ثراء لا ضعف فى أعطاف العربية ، بل شكلاً من أشكال السعة أو النماء فيها . والخروج إلى مثلها مقصود لذاته ، لا سيما أنها زيادات لا تُخالف خصائص لغوية أساسية ، بل هى وفق سنن العربية وروحها ، وفى المِكْنة الكشف عن أهميتها التعبيرية جودة لا رداءة من خلال الوظيفتين أدناه ، وهما :

- الوظيفة التركيبية .
- الوظيفة فوق التركيبية .

١/٣/٣ الوظيفة التركيبية :

وهذه لا تتجلى فى قيم تركيبية نحوية ، وإنما صرفية ومعجمية ، ومناطها أبنية الصيغ الإسمية كثيراً ، والفعلية قليلاً ، وقيمتها فى هذا المقام أنها تعمل بمثابة آلية من آليات (التوليد اللغوى) ، تلك التى تنمى اللغة بالمكاثرة فى ثروتها المعجمية ، ولو جزئياً . مثلما هى الحال فى آليات مناظرة أخرى مثل (القلب المكانى ، أو اتباع الإيقاع)[1] .

على أنها تنمية صورية ، تُكاثِرُ الألفاظ دون المعانى ، فالمعنى المعجمى هو واحد سواء فى بنية الوضع الأصلية أم بنية الإشباع الفرعية (دراهم : دراهيم، وعقرب : عقراب) .

وبدورها تنعكس هذه الوضعية الصورية على نظام القولبة الملازم للمفردات العربية ، تمدداً أو تقلصاً فيه ؛ من جهة أن مشروعية الاعتراف بنتاجات الإشباع تؤدى إلى عد ، البنية المشبعة شكلاً مختلفاً وجديداً ، وذلك يعنى إضافة عددية فى الهرم الكلى للأبنية الصرفية ، والعكس بالعكس ، (يَنْبَع : يَنْباع تولد ، يَفْعَل ويَفْعال) فى أبنية الأفعال ، و (حواجب : حواجيب تولد فواعل وفواعيل) فى أبنية الأسماء .

ولقد يشار هنا إلى أن أكثر الأبنية الصرفية احتضاناً للإشباع قد مثلت فى البحث فى الأبنية الدالة على معنى الجمعية ، من فصيلة «صيغ منتهى الجموع» (مفاعيل ، فعاليل ، فواعيل ، أفاعيل) ، ثم مثلت فى الأبنية الصرفية الثنائية التشكيل المقطعى (فُعال ، فاعل ، فعيل ، فُعول) .

وعرفنا من الفقرة المتكلمة على الصلات العضوية بين الأبنية الصرفية ، والمرقومة بصدر البحث ، أن هذه النوعية من الأبنية الصرفية بها مرونة توليدية

---

(١) انظر : الأقطش : عبد الحميد : اتباع الإيقاع ص ١٤٨ .

تحويلية تجعلها تقبل بعض التغيرات فى أشكالها المادية الخارجية .

على أن الوظيفية التركيبية الأساسية للإشباع تبرز من خلال أثرها فى الوحدات اللغوية الأقل من مفهوم البنية الصرفية القائمة برأسها ، وهى المعروفة بالوحدات المقطعية وذلك عن طريق التصعيد الكمى فيها من الأقل نحو الأعلى ، ولكى تجئ متوائمة مع مكانها من السلسلة الكلامية التى تنتظمها .

ومثل هذه الخاصية تتبدى واضحة عند درج الكلام ، لا وصله ، ولا تختلف فيها إشباعات عن غيرها ، على أنها لافتة للنظر فى لغة الشعر كثيراً ، حيث المفردات اللغوية تُقَطَّع تقطيعاً صوتياً ، كما لو أنها جميعاً كتلة صوتية واحدة ، وهو المشهور (بالتقطيع العروضى) . ومن بحور الشعر تلقى بأوزانه المزحومة بالغنائية ، وبالدفقات الإيقاعية الرتيبة ، وتخف بالأوزان السريعة ، وفى الجدول أدناه عرض لإشباعات الشعر الواردة بطى البحث .

- **خطاطة إشباعات الشعر :**

البحر	الطويل	الرجز	البسيط	الوافر	الكامل	الخفيف
الورود	٢٢	١٨	١٠	٩	٥	٤

ومعلوم أن عروض الشعر العربى هو عروض الكم لا الكيف . فهناك فراغات إيقاعية نمطية ، ومخصوصة بكل بحر على حدّها ، وتلك إذا لم تملأها المفردة المعجمية الأصلية اضطر الشاعر إلى إجراء بعض التعديل والتحوير فى تلك المفردة ، لتتناسب وذلك الفراغ الإيقاعى المطلوب ، وعليه فالإشباع بعض هذه الإجراءات العروضية .

ويصح القول إنه بعض الجبائر العروضية ، مع التحوط هنا بأن مفهوم الجبيرة أوسع من مجرد استقامة الوزن الشعرى ، فيدخل فى هذا المقام قضايا الشعرية المختلفة ؛ ففضلاً عن السلامة فى الوزن هناك إشباعات لأجل (القافية) . ومنها (لمصطلى فى مصطل) لدى أبى كبير الهذلى ، والصورتان جائزتان وزناً ، ولكنه لما كانت سائر قوافى القصيدة من روى اللام المحركة بالحركة المدية ، بالكسرة الطويلة فقد لزم الإشباع مع المنقوص النكرة المنون أيضاً ، لتكوين جبيرة إيقاعية للقافية .

وثمة إشباعات (للتصريع) حسب ، ومنها (مغتدى فى مغتد) لدى النابغة الذبيانى وكلتا الصورتين جائزتان وزناً ، ولكن البيت مطلع قصيدة ، والتصريع فى المطالع سنة شعرية .

وثمة اشباعات ليس فيها حاجة وزن أو قافية أو تصريع ، وإنما تعكس نوعاً من (التَّفَنَّن) بالبنية الأكثر مواءمة لشعرية الشعر (برقوع فى بُرْقع) لدى النابغة و (أهلون فى أهْلٌ) لدى الشنفرى .

٢/٣/٣ الوظيفة فوق التركيبية :

وهذه تتجلى فى ملامح تطريزية دلالية متنوعة يكتسبها المعنى ، زيادة على نطاق دلالته المعجمية الأساسية ، من مثل : الانفعالية الوجدانية ، والوضوح السمعى ، والانسجام النغمى ، والتخفيف العضوى على اللسان ، وما إليها من اللطائف البيانية المعاونة . وكلها دلالات إضافية مرهونة فى واقع الأمر بعامل الإيقاع الصوتى ، الذى يجلبه الإشباع معه .

فالبنية المشبعة تغدو بالإشباع مملوءة بقوة رنين الحركات الطويلة ، ومن شأن ذلك أن يؤثر على الحالة النفسية للمتلقى ترنماً أو تطريباً عند الفرح ، وشجى أو نحيباً عند الترح .

ثم إن الحركات الطويلة بوصفها أصواتاً مجهورة ، وطليقة ، بلا أدنى درجة من احتكاك المخرج أو انفجاريته[1] فإن رنينها الصوتى ، والموزع على كل سطح اللسان يجعل الصوامت المصاحبة لها تنطق صافية ، وناصعة فى السماع، ومع الزيادة الإشباعية فإن الوضوح السمعى يصل إلى مداه الأوسع ، حتى وجدنا المكيين لما عابوا على النابغة الذبيانى إقواء شعره بعثوا إليه بجارية فغنت بإشباع حركات الروى (الأسودو) وقبلها (مزودى) فصحا إلى وجه المخالفة ، وأصلح شعره[2] .

ولم تعزب مثل هذه المطرزات الدلالية الإضافية عن علماء السلف ، وخاصة الذين انشغلوا بالبحث اللغوى ، فقد ندت عنهم إشارات إليها ومنها :

فقد ذكر سيبويه فى باب : إشباع الحركات حتى تنشأ عنها الحروف «إذا ما ترنموا - أى العرب - فإنهم يلحقون الألف ، والواو ، والياء ، ما ينون ، وما لا ينون لأنهم أرادوا مدّ الصوت ، وذلك قولك - مجموعة شواهد - وإنما ألحقوا هذه المدة فى حروف الروى ، لأن الشعر وضع للغناء والترنم ، فألحقوا كل الحرف الذى حركته منه»[3] .

وعند الثعالبى «العرب تزيد وتحذف للتوازن ، وإيثاراً له»[4] .

وعند ابن جنى : «العرب قد تلزم الضرورة فى الشعر فى حال السعة - أى دونما حاجة وزن أو قافية - أنسا بها ، واعتياداً لها»[5] .

---

(١) انظر فى موضوع الحركات : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٣٢ وكمال بشر : دراسات فى علم اللغة ، الأصوات ص ٢٦ .

(٢) انظر : بيتى النابغة فى أمثلة : الكسرة ، فالضمة .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢/ ٢٩٨ .

(٤) الثعالبى : فقه اللغة ص ٤٩٦ .

(٥) ابن جنى : الخصائص ٣/ ٣٠٣ .

وعنه فى موضع آخر «رغبوا فى توسيع مجال القول على أنفسهم ، سعة فى التفسيح ، وإرخاء للتنفس ، وشحاً على ما شجموه فتواضعوه أن يتكارهوه فيلغوه ويطرحوه ، فاعرف ذلك مذهباً لهم ، ولا تطعن عليهم متى ورد عنهم شئ منه»[١] .

وعند الزركشى : «واعلم أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل القرآنية حيث تطرد ، متأكدٌ جداً ، ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها من ذلك (وتظنون بالله الظنونا) ، لأن رؤوس الآى فى هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين فى الوقف، فزيد على النون الف لتساوى المقاطع وتناسب نهايات الفواصل»[٢] .

وعموماً تكاد الوظيفة فوق التركيبية أن تكون هى وحدها المنشودة فى الإشباعات المنضوية تحت النمط (ص ح ح ح ص) ، وايضاً النمط (ص ح ح) فأما الإشباعات المنضوية تحت النمط (ص ح ح ص) فلا يمتنع فيها اجتماع الوظيفتين معاً التركيبية وفوق التركيبية ، وخصوصاً فى مقام اللغة الشعرية .

ولقد يحسن فى هذا الصدد أن نجذب الحديث هنيهة إلى إشباعات النمط (ص ح ح ح ص) ، والمرقومة فى هذا المبحث تحت تسمية (إشباع الحركات الطويلة) «وقد ألمعنا من قبل إلى أن عنقودها الصوتى محول بالأساس عن نمط (ص ح ح ص) ، وأنها مطردة فى لغة القرآن المجيد ، بل مستحبة جداً فى حق تلاوته تلاوة سليمة ، حتى قد كثر وسمها بالإشباع القرآنى (إشباع المدّ) .

والتدقيق ملياً فى خطاطة الاستعمال الواقعى لهذا النمط الإشباعى القرآنى يكشف أنه مقترن ، وجوداً وعدماً ، بوقوع الحركة الطويلة قبل أحد أربعة المفاصل الآتية :

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٣/ ٣١٩ .

(٢) الزركشى : البرهان ١/ ٦٠ .

- قبل الصامت المشدد .
- وقبل الهمزة .
- وقبل صامت الوقف العارض فى نهاية الآيات .
- وقبل صامت الوقف الدائم على الحروف المقطعة بأوائل السور .

ففى كل هذه المفاصل يلزم وجود صامت ساكن بنهاية البنية الإشباعية ، أى أن المقطع يلزمه أن يكون مقفلاً لا مفتوحاً ، ومع ذلك تفرق خطاطة الاستعمال بين صامت وآخر ، فهى تفرد الهمزة بمفصل مستقل بها ، وكذا المشدّد ، وليس ذلك عبثاً ، ولا حشواً بل لغاية مقصودة لذاتها . وأشرنا إليها فى الشرح الخاص بقاعدة التقاء الساكنين ، وهى غاية (المحافظة على الحركة الطويلة نفسها) فهى مقصودة لذاتها ، ولما فيها من قوة فى الرنين ، وفى الوضوح السمعى .

ومعلوم أن وجود الحركة الطويلة فى مقطع مقفل يجعلها عرضة للتقصير من كميتها الصوتية ، وفقاً للنظام السائد فى عرف العربية ، وجراء الاستفراغ التدريجى لتيار الصوت قبل الوقف ، وتكون الحركة الطويلة أكثر عرضة للتقصير مع الهمزة ، ومع الصوت المشدّد .

فحرصاً على صوت المدّ (الحركة الطويلة) وإبقاء على ما فيه من طول فقد بولغ فى طوله كى لا يقصر ، ناهيك عن كون الإطالة مع (الهمزة ، أو المشدد) تُشكل استراحة يتكئ عليها القارئ ، ليتمكن من التهيؤ للنطق بهما ، ولا خفاء أن كليهما محتاج فى نطقه إلى طاقة عضوية خاصة .

وكذلك فإن مسألة الإشباع مهمة مع صوامت الوقف توطئة للوقف ذاته ، كى يجئ رسلاً واضحاً لا فجاءة ، وباهتاً .

وفى خانة هـذا المفهوم عن أهمـية إشباع الحركات الـطويلة لا تبعـد بعض الاجتهادات الواردة عن علـماء السلف فعن الإشباع قبل الهـمزة يقول ابن جنى : «إن الهمـزة حرف نأى منشؤه ، وتـراخى مخرجـه ، فإذا أنت نطقـت بهذه الأحرف المصوّتة قبـله ، ثم تماديت بهن نحـوه ، طُلْن ، وشِعْنَ فى الصوت ، فوفَّين له ، وزدن فى بيانه ومكانه»(١) .

ويقول مكى بن أبى طالب : «إن هذه الحروف خفية ، والهمزة حرف جلد بعيد المخـرج ، وصعب فى اللفـظ ، فلما لاصقت حـرفاً خفياً خِيفَ عـليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء ، فبُيِّنَ بالمدّ ليظهر»(٢) .

وعن الإشباع قـبل المشددّ يقول ابن جنـى «أما سبب نعمتهـن ووفائهن إذا وقع المشـدد بعدهن ؛ فـلأنهنّ سواكن ، وأول المـثلين من الـتشديد سـاكن ، فيجـفوا عليهم أن يـتلقى السـاكنان حشواً فـى كلامهم ، فحيـنئذ ما ينـهضون بالألف بقوة الاعـتماد عليه ، فيجعـلون طولها ووفاء الصوت بـها ، عوضاً مما كان يـجب لالتـقاء السـاكنين مـن تحريكـها ، إذا لم يـجدوا علـيه تطـرقاً ولا بالاستراحة إليه تعلقاً وذلك نحو : دآبّة»(٣) .

ويقول مكىّ : «فلما وقع بعد حروف المدّ واللين حرف مشدد وأوله ساكن وحروف المدّ والـلين سواكن ، لم يمـكن أن يوصل إلى اللـفظ بالمشدد بـساكن قبله، فاجتلبت مدّة تقوم مقام الحركة ، يوصل بها إلى اللفظ بالمشدد ، وكانت المدّة أولى لأن الحرف الـذى قبل المشدد حرف مـدّ ، فزيد فى مده لتـقوم المدة مقام الحركة ، فيتوصل بذلك إلى اللفظ المشدد»(٤) .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٢٧ .

(٢) مكى بن أبى طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٤٦ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ١/ ١٢٨ .

(٤) مكى : الكشف ١/ ٦٠ .

وعن الإشباع قبل الوقف يقول مكى : «والعلة فى المدّ للساكن بعد المشدد يقع بعـد حروف المدّ واللين ، كالعلـة فى المدّ للمشدّد ، لأن بالمـدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المدّ واللين ، فليس فى كلام العرب ساكن يلفظ به إلا وقبله حرف متحرك ، أو مدّة على حرف مدّ تقوم مقام الحركة»[1] .

وكذا ينتهى ما أردنا عرضه ، مما تيـسر لنا حول موضوع : الإشباع الصوتى فى المقاطع العربية .

وبالله التوفيق ،،،،

(١) مكى : الكشف ١/ ٦٠ .

جريدة المراجع :

- **القرآن الكريم :**

١ - إبراهيم أنيس : **الأصوات اللغوية** ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٦١ م .

٢ - ابن الأنباري ، أبو البركات : **البيان فى غريب القرآن** ، ت : طه عبد الحميد والسقا ، القاهرة ، إدارة الثقافة ، ١٩٧٠ م .

٣ - ابن الجزرى ، أبو الخير : **النشر فى القراءات العشر** ، ت : على محمد الصباغ ، القاهرة ، التجارية .

٤ - ابن جنى ، أبو الفتح : **الخصائص** ، ت : محمد النجار ، بغداد ، دار الشئون الثقافية ، **وسر صناعة الإعراب** ، ت السقا والزفزاف وإبراهيم مصطفى ، القاهرة ، مصطفى الحلبى ، ١٩٥٤ م ، **والمنصف لكتاب التصريف للمازنى** ، ت : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، القاهرة ١٩٥٤ .

٥ - ابن الجوزى ، أبو الفرج : **المدخل إلى تقويم اللسان** ، ت : عبد العزيز مطر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ م .

٦ - ابن عصفور الأشبيلى : **الممتع فى التصريف** ، ت : قباوة ، بيروت ، دار المعرفة .

٧ - ابن يعيش ، أبو البقاء : **شرح المفصل** ، بيروت ، عالم الكتب .

٨ - أبو البركات الأنبارى : **الإنصاف فى مسائل الخلاف** ، ت : محمد محى الدين القاهرة ، التجارية ١٩٦١ م .

٩ - أبو حيان الأندلسى : **ارتشاف الضرب من لسان العرب** ، ت : مصطفى النماس القاهرة ، المدنى .

١٠- الأزهرى ، خالد : **شرح التصريح على التوضيح** ، القاهرة ، الحلبى .

١١- الاستراباذى ، رضى الدين : **شرح شافية ابن الحاجب** ، ت : محمد محى الدين وآخرين ، القاهرة ١٩٣٩ م .

١٢- الأقطش ، عبد الحميد : **الأبنية الصرفية فى شعر عنتره** ، رسالة ماجستير القاهرة ١٩٨٠ م ، **وإتباع الإيقاع فى اللغة العربية** ، مستلة من أبحاث اليرموك م/ ١٢ ع/ ٢ ١٩٩٤ .

١٣- برجشتراسر ، جوتهلف : **التطور النحوى للغة العربية** ، ت : البكرى ، القاهرة السماح ، ١٩٢٩ م .

١٤- بروكلمان ، كارل : **فقه اللغات السامية** ، ت : رمضان عبد التواب ، الرياض الجامعة ، ١٩٧٧ م .

١٥- الثعالبى ، أبو منصور : فقه اللغة ، القاهرة ، التجارية ١٩٣٨ م .

١٦- الجبورى ، سهيلة : **الخط العربى وتطوره** ، بغداد ، المثنى .

١٧- الحديثى ، خديجة : **أبنية الصرف فى كتاب سيبويه** ، بغداد ١٩٦٤ م .

١٨- خليل يحى نامى : **دراسات فى اللغة العربية** ، دار المعارف ١٩٧٤ م .

١٩- الزركشى ، بدر الدين : **البرهان في علوم القرآن** ، ت : أبو الفضل إبراهيم القاهرة ، الحلبى ١٩٥٩ م .

٢٠- الزنجانى ، عز الدين : **التصريف العزى ومعه حاشية النووى** : تدريج الأدانى القاهرة ، دار إحياء الكتب .

٢١- السامرائى ، إبراهيم : **التطور اللغوى التاريخى** ، القاهرة : معهد البحوث ١٩٦٩ .

٢٢- ستيتيه ، سمير : **تحليل الظواهر الصوتية فى قراءة حمزة بن حبيب** الأردن مجلة البلقاء ، م ١/ ٤ ١٩٦١ .

٢٣- السيد إبراهيم محمد : **الضرورة الشعرية** ، بيروت ، الأندلس ، ١٩٧٩م .

٢٤- سيبويه ، عمرو : **الكتاب** ، ت عبد السلام هارون ، بيروت ، عالم الكتب .

٢٥- صبحي الصالح : **دراسات فقه اللغة** ، بيروت ، دار العلم ١٩٦٨ م .

٢٦- ظاظا ، حسن : **الساميون ولغاتهم** ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧١ م .

٢٧- ظافر يوسف : **الأبنية المستدركة على كتاب سيبويه** ، رسالة ماجستير جامعة حلب ١٩٨٤ م .

٢٨- عبابنة ، جعفر : حقيقة **الإدغام** ، أبحاث اليرموك ، م ٣ ع ٣ ، ١٩٨٥ .

٢٩- عبد الرحمن أيوب : **أصوات اللغة** ، القاهرة ، دار التأليف ١٩٦٣ .

٣٠- عبد الصبور شاهين : **المنهج الصوتى للبنية العربية** ، بيروت ، الرسالة ١٩٨٠ ودراسة **إحصائية لجذور العربية** ، جامعة الكويت رقم ٧ .

٣١- عبد العزيز مطر : **لحن العامة** ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨١ م .

٣٢- عبد القادر عبد الجليل : **اللسانيات الحديثة** ، الأردن ، دار صفاء ٢٠٠١م .

٣٣- عصام نور الدين : **أبنية الفعل فى شافية ابن الحاجب** ، بيروت المؤسسة الجامعية .

٣٤- عطية قابل : **غاية المريد فى علم التجويد** ، القاهرة ، الحرمين ١٩٩٧ م.

٣٥- فليش ، هنرى : **العربية الفصحى** ، ت : عبد الصبور شاهين ، بيروت، الكاثوليك .

٣٦- القزاز ، القيروانى : **ضرائر الشعر** ، ت : محمد سلام هدارة ، دار المعارف .

٣٧- القطان ، مناع : **مباحث فى علوم القرآن** ، بيروت ، الرسالة ١٩٩٩ م.

٣٨- كمال محمد بشر : **دراسات فى علم اللغة** ، الأصوات ، القاهرة ، دار المعارف .

٣٩- محمد عونى عبد الرؤوف : **بدايات الشعر العربى بين الكم والكيف** ، القاهرة الخانجى ١٩٧٨ ، **والقافية والأصوات اللغوية** ، القاهرة الخانجى ١٩٧٧ م .

٤٠- مكى بن أبى طالب : **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ، ت : محى الدين رمضان ، دمشق ، مجمع اللغة ١٩٧٤ م.

٤١- نولدكه ، تيودور : **اللغات السامية** ، ت : رمضان عبد التواب ، القاهرة الخانجى .

٤٢- ولفنسون ، اسرائيل : **تاريخ اللغات السامية** ، القاهرة ، السماح ١٩٢٩ .

٤٣- يحى القاسم : **أثر المقطع المرفوض فى بنية الكلمة العربية** ، أبحاث اليرموك م/٤ ، ع ١ ، ١٩٩٦ م .

الأضداد لابن الأنبارى

دراسة تحليلية فى المصطلح والمنهج

د. هاشم محمد سويفي محمد

قسم اللغة العربية - كلية الآداب ، جامعة القاهرة

أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة بن الأنباري النحوي (٢٧١ هـ - ٣٢٨ هـ). عد من أعلام الطبقة السادسة من النحويين الكوفيين أصحاب ثعلب[١] . تحدث عنه الأزهري في كتابه التهذيب فقال : «كان واحد عصره، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه وإعرابه ومعرفة اختلاف أهل العلم في مشكله ، وله مؤلفات حسان في علم القرآن ، وكان صائنا لنفسه ، مقدما في صناعته ، معروفا بالصدق ، حافظا حسن البيان ، عذب الألفاظ لم يذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها من يخلفه أو يسد مسده»[٢] وقال عنه أبو علي القالي : «إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرًا بأسانيدها»[٣] . كان أبوه

(١) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ١٦٨ - ١٧٢ .

(٢) الأزهري تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤ م ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي ، وزارة المعارف العمومية ، القاهرة ١٩٣٦ م ص ١٨/ ٣٠٧.

القاسم بن محمد الأنباري من علماء الحديث واللغة ، وهو أول أساتذة ابنه أبي بكر ، فنشأ الابن واسع الدراية متقنا لعلوم القرآن والحديث والرواية ، عالما بنحو الكوفيين وأكبرهم حفظا للغة في زمانه زاهدا متواضعا . انتدبه الخليفة الراضي لتأديب الأمير عبد الواحد بن المقتدر . أخذ عن ثعلب بعد أن أخذه عن أبيه ، وعن أبي جعفر أحمد بن عبيد وجماعة ، كان يكتب عنه وأبوه حي . وكان أكثر ما يمليه من غير دفتر ولا كتاب . وحدث أنه كان يحفظ أيضًا عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها ، يرويها عن أبيه ويرويها عنه أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني من مشايخ الصدوق رواية الحديث الشيعي المعروف .

أخذ عنه أبو عمر بن حيوية وأبو الحسن الدارقطني وأبو الفضل بن المأمون وأحمد بن محمد بن الجراح ومحمد بن عبد الله بن أخي ميمي وغيرهم. أملى كتابه (غريب الحديث) في خمس وأربعين ألف ورقة ، وله (شرح الكافي) في ألف ورقة ، ويقول الصفدي : «وكتاب الأضداد ما رأيت أكبر منه في بابه ، وله غير هذه مصنفات كثيرة منها: الهاءات، المشكل، والمذكر والمؤنث، الزاهر، المقصور ، والممدود ، اللامات ، الكافي في النحو ، الهجاء ، وغير ذلك[1] .

---

(١) انظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الخانجي القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ١٧١ .

الأزهري : تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٢٨/١. ابن النديم : الفهرست ، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر د. ت . وطبعة فلوجيل ، وطبعة دانشكاه طهران ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ، ص ١١٢ . أبي البركات الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٩ م ، ص ١٨١ . القفطي : انباه النحاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠ م ، ص ٢٠١/٣ . السيوطي : المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة د. ت، ص ٤١٣/٢ .

أما كتابه (الأضداد) فهو أكبر وأوسع كتب الأضداد إذ وصل عدد الأضداد فيه إلى سبعة وخمسين وثلاثمائة ضدا ، يكاد يكون هذا العدد ضعف عدد الأضداد عند أبي حاتم السجستاني ، وضعفه عند الأصمعي ، وثلاثة أضعافه عند ابن السكيت ، وفي هذا تتجلى سعة الحفظ والرواية ، فلقد أتى على جميع ما أُلف قبله وأربى عليه ، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب وشواهد الشعر والحديث والقرآن الكريم ، في كثرة بالغة ، وإسهاب كثير ، مع عذوبة المورد، ووضوح التعبير ، وإشراق الدلالة ، واطراد التنسيق ، وسهولة الأسلوب ، وأعانه على كل ذلك كثرة محفوظه ، ووفرة روايته ، ووضوح الفكرة في عقله، مع دقة التعليل وقوة الحجاج ، كما استطرد لشرح الشواهد شرحًا أبان فيه المعنى الدقيق ، وكشف النقاب عن اللفظ الغريب .

بسبب كل ما تقدَّم عن ابن الأنباري ونظرًا للأهمية البالغة التي حازها هذا العالم الجليل في مجال الدرس اللغوي بصفة عامة وفي مجال دراسة الأضداد بصفة خاصة ، ولأنه لم يحظ بدراسة تبرز جهوده في مجال الأضداد ، وإنما تم التعرض له ولآرائه في ثنايا الحديث عن قضية الأضداد بصفة عامة ، ونظرًا لما شغله كتابه (الأضداد) من مكانة خطيرة في مجال البحث في الأضداد ، لذلك رأى الباحث أن يفرد ابن الأنباري وكتابه (الأضداد) بدراسة تتناول بالدرس والتحليل مصطلح الأضداد ومفهومه عنده ومنهجه في تناول قضايا هذا الباب من البحث اللغوي ، بهدف إبراز مكانته وملامح منهجه في دراسة هذه القضية التي شغلت الباحثين قديمًا وحديثًا .

وبحثنا على أربعة محاور يضم كل منها قضايا فرعية عدّة. وأول هذه المحاور يتناول الاهتمام بقضية الأضداد عند السابقين على ابن الأنباري ، بغية الوقوف على جهود السابقين عليه وطبيعة المادة التي تعامل معها ابن الأنباري

فنهل منها وأضاف إليها ، ويضم هذا المحـور قضيتين فرعيتين ، تتعرض إحداها لحركة التأليف المعجمي ودورها في الاهتـمام بقضية الأضداد ، باعتبار أن كتب الأضداد تدخل في مجال التأليف المعجمي . أما القضية الثانية فتتناول بالدراسة كتب الأضداد قبل ابـن الأنباري ، لنرصد طبيعة وحجـم مادة الأضداد قبله ، ومدى وكيفية استفادته منها .

أما المحور الثاني للدراسة فيبـرز دواعي تأليف ابن الأنباري في الأضداد ، ويبّين الأسباب التي دفعتـه للتصدّي لهذا الباب من اللغة ويُفرد لـها مصنفًا بهذه السعة والغزارة .

أما المحور الثالث فيـتعرض بالدراسة لقضيتين ، الأولى تـوضح مفهوم ابن الأنباري لمـصطلح الأضـداد ، والثانية تـتتبع رؤية ابـن الأنباري لدواعـي نشأة الأضداد في اللغة .

أما المحـور الأخير مـن الدراسة فيـتناول بـالدراسة والـتحليـل منهـج ابن الأنباري في تـصنيف كتابـه ، ويقوم على ثلاثـة مباحث يتنـاول المبحث الأول مصادره فـي دراسة قضيـة الأضداد ، ويتعـرض الثاني لمـنهجه فـي عرض هذه القضـية في مصنفـه ، أما الثالث فيـرصد أهم القضايـا التي تناولهـا من خلال عرضه للأضداد .

أولاً : الاهتمام بقضية الأضداد عند السابقين على ابن الأنباري :

(أ) التأليف المعجمي ودوره في الاهتمام بالأضداد :

إذا رأينا أن وضع كتب الأضـداد يدخل في مجال التأليف المـعجمي ، فإن اقترانه تـاريخيًا بولادة هذا النوع مـن الكتابة . ولقد ولـدت معجماتنا الـلغوية

صغيرة متفـرقة غير منظمة ، ثم نمت شـيئًا فشيئًا وتوسعت وتكامـلت جيلاً بعد جيل[1] .

قامت حـركة التأليـف في المعاجم العـربية على أسـاس المادة التي جمـعها اللغويون في البادية في القرن الثاني الهجري ، فقد خرج عدد كبير من اللغويين إلى البادية ، وأخذ كل منهم يجمع اللغـة من أبناء القبائل العربية ، وبذلك تم إنجاز أول عمل لغوي ميداني في الجزيرة العربية ، ولاحظ كثير من البدو اهتمام اللغويين بتلقي اللغة عنهم ، فـهاجروا إلى جنوب العراق حيث ازدهرت علوم اللغة في البصرة والكوفة . وأخذوا يبيعـون المادة اللغوية التي عندهم لكل من ينشدها مـن اللغويين ولم تكن عـملية جمع اللغـة محاولة شاملة لتـسجيل كل الألفاظ التي عرفتهـا القبائل العربية ، بل كان اللغويـون يصدرون في اختيارهم للقـبائل واختيـارهم للرواة عـن مبدأ أساسي ، وهـو تسجيل الـلغة الفـصحى والابتعـاد عن الصيـغ والألفاظ غيـر الفصحـى . وبهذا المعـيار ركز اللـغويون عملهم على لغـة تلك القبائل التي تقترب كل الاقتراب من الـعربية الفصحى . ورفضوا لهجات القبائل البعيدة عن الفصحى . وبين هذا وذلك صُنِّفت لهجات القبائـل المختلفة . وظل هـذا الأساس سائدًا في عملـية جمع اللغـة في القرن الثاني الهجري ، وبذلك حفظت لنا كتب اللغة الاستخدام اللغوي عند مجموعة القبائل العربية الشاملة .

لقد اهتـم اللغويون بقبـائل قيس وتميم وأسـد وهذيل وبعض بطون قـبيلة كنانة وبعض بطون طيء[2] وقد تجنب الـلغويون أخذ اللغة عـن الحضر أي عن العرب المستقـرين وعن القبائل العربيـة التي عاشت بالقرب من جمـاعات لغوية

---

(١) د. عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دار طلاس ١٩٨٦ م ، ص ٣٤ .

(٢) انظر نص الفارابي المقتبس في المزهر للسيوطي ص ١/ ٢١١ .

غير عربيــة ، فلم يؤخذ من قبيــلة لخم ولا من قبيلة جـذام ، «لمجاورتهم أهل مصر والقبط» ، وبالمـثل تجنب اللغويون أخذ اللغة عـن قضاعة وغسان وإياد ، «لمجاورتهم أهل الشام»[1] . وأعرض جامعو الـلغة عن قبائل تغـلب لاختلاط هذه القبائل بالجماعات اللغوية غير العربية في الشام والعراق ومصر . أما قبائل العرب فـي اليمن وشرق الجزيـرة العربية ومـدن الحجاز فقد خرجـت أيضًا عن اهتمام اللغويـين ، وقد فسروا عدم أخذ اللغة عن أهل اليمن أن لـغتهم تغيرت «لمخالطتهم للهند والحبشة ، ورفضوا أخـذ اللغة عن قبائل شرق الجزيرة العربية ومدن الحجاز باعتبار أن لغتهم اختلطت بلغة غير العرب .

والواقع أن اللغويين لم يهتموا في القرن الثاني الهجري بالتنويع في الجزيرة العربية ، وقصروا اهتمامهم على تقرير فـصاحة لغة القبيلة أو عدم فصاحتها ، فشغلتهم قضية الفصاحة عن باقي القـضايا الكثيرة التي يمكن طرحها في العمل اللغوي الميداني . فسّر اللغويون التغيـر الذي لاحظوه في لهجات بعض القبائل التي رفضـوها بأنه ثمرة الاختلاط بـأبناء الجماعة اللـغوية غير العربيـة في مصر والشام والعراق وبأبناء الجماعات اللغوية الهندية والحبشية الذين اختلط بهم نفر من العرب . ولكن جـامعي اللغة في القرن الثـاني الهجري لم يهتموا بـالعربية الجنوبية التي كـانت دون شك منتشرة في مناطق من الجـنوب العربي آنذاك بل عدوا ما وجدوه عند قبائل اليمن من ظواهـر لغوية مخالفة ضربا من الاختلاط الذي أصاب الـلغة وجعلهـا غير نقية وغـير سليمـة . وبذلك لم يكن الـعمل اللغوي الميداني في القرن الثاني الهجري مـحاولة لتسجيل جوانب الحياة اللغوية عند أبنـاء اللغة العربيــة أو محاولة لبحث جوانـب التنويع اللغـوي في الجزيرة

(١) هناك خطأ وقع فيه الفارابي هنا إذ ذكر أن أكثرهم «نصارى يـقرأون بالعبرانية ، فمعرفة العبرية في القرن الثاني الهجـري - الثامن الميلادي كانت مقصورة علـى رجال الدين اليهود وقلة من المهـتمين بالتراث اليهودي . والصحيح أن أهل الشام كانوا في الإسلام من أبناء الآرامية بلهجاتها المختلفة .

العربية بل كانت محاولة للبحث عن الصيغ الفصيحة والكلمات الفصيحة عند القبائل العربية التي يقترب استخدامها للغة من المستوى اللغوي المنشود .

ولقد أثمرت حركة جمع اللغة مجموعة من الكتب والرسائل اللغوية . لقد جمع اللغويون ما عرفته القبائل الفصيحة من الفاظ . وصنفوها في مجموعات دلالية . والفوا في هذا مجموعة كبيرة من الكتب . الف الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) في «خلق الإنسان» و«الإبل» و«الخيل» و«الوحش» و«النبات» و«الشجر» ، والف أبو زيد الأنصاري في «اللبن» و«المطر» و«النبات» و«الشجر» . وظلت الرسائل هي الشكل الوحيد الذي اتخذته دراسة الألفاظ العربية من الناحية الدلالية وقتا طويلا إلى أن برزت إلى الدوائر العلمية حركة تاليف المعاجم. وقد كان لما ألفه الأصمعي وأبو زيد الأنصاري ومن عاصرهما من اللغويين أكبر الأثر في المعاجم العربية وفي نظرية اللغة عند العرب بشكل عام.

لقد أخذ مؤلفو المعاجم المادة التي دونها علماء القرن الثاني واحتفلوا بكل ما سجله الأصمعي وأبو زيد ومعاصروهما كل الاحتفال . ولذا تتكرر أسماء هؤلاء اللغويين في المعاجم العربية الكثيرة التي ظهرت في القرن الثاني قد قصروا جهدهم على جمع الصيغ والدلالات الفصيحة أو القريبة كل القرب من الفصيحة فإن الأكثرية المطلقة من علماء اللغة في القرون التالية قد لاحظت تغير الاستخدام اللغوي بعد القرن الثاني . ولذا توقفت حركة العمل اللغوي الميداني توقفا تاما . لم يكن العمل اللغوي الميداني في القرن الثاني الهجري هادفا إلى دراسة التنوع اللغوي والتغير اللغوي في الجزيرة العربية أو في البيئات العربية الأخرى ، بل اقتصروا على ما اتفقوا على القول بفصاحته . وظل اللغويون في القرون التالية يقصرون عملهم على المادة اللغوية التي اعترف علماء القرن الثاني الهجري بفصاحتها . وبذلك حددت حركة جمع اللغة في القرن الثاني

الهجري إطار النظرية العامة للعمل اللغوي في القرون التالية . وظلت التعبيرات الشائعة في كتب اللغة مثل لغة الحجاز أو لغة أهل الحجاز أو لغة تميم أو لغة هذيل لا تعني الاستخدام اللغوي عند هذه القبائل عمومًا . بل تعني الاستخدام اللغوي عند هذه القبائل في القرن الثاني الهجري . وبذلك لا تختلف الظواهر التي عالجها السيرافي في القرن الرابع الهجري عن الظواهر التي ناقشها السيوطي في القرن التاسع الهجري فهما يناقشان مثل باقي النحاة العرب ما سجله الباحثون في القرن الثاني الهجري . وعندما يذكر ابن منظور (ت ٧١١ هـ) والزبيدي (١٢٠٥ هـ) في لسان العرب وتاج العروس مجموعة من الملاحظات حول دلالات الألفاظ ، فإنهما لم يسجلا هذه الملاحظات عن الاستخدام اللغوي في القرن السابع أو القرن الثاني عشر للهجرة ، بل نقلاها عن كتب تعود بدورها إلى كتب قام أكثرها على أساس ما جمعه اللغويون في القرن الثاني الهجري . وبذلك تعد حركة جمع اللغة في القرن الثاني الهجري أساس المادة اللغوية ونظرية اللغة عند أصحاب المعاجم العربية التالية .

يعد نشاط العلماء العرب في عصر الحضارة الإسلامية لتأليف المعاجم من أبرز مظاهر جهدهم العلمي . وهم بهذا أهم من ألف المعاجم قبل العصر الحديث على الإطلاق . لقد بدأت حركة تأليف المعاجم العربية موازية لتدوين الرسائل اللغوية في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة.

وفي هذه الفترة أيضًا أُلِّف كتاب سيبويه . وبذلك عرف النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة جمع اللغة وتدوين الرسائل اللغوية وبداية العمل المعجمي وبداية التأليف النحوي . وإذا كان القرن الرابع الهجري قد عرف مجموعة كبيرة من أعلام النحاة فإن نفس الفترة الزمنية أخرجت لنا عددًا كبيرًا من المعاجم اللغوية التي تمثل اتجاهات مختلفة في التأليف المعجمي . وكانت حركة تأليف الموسوعات النحوية موازية لتأليف المعاجم الموسوعية مثل لسان العرب ،

كما كانت حركة تأليف الحواشي والشروح النحوية مصحوبة بتأليف حواشي على المعاجم وشروح لها ، وكان عبد القادر البغدادي (١٠٩٣ هـ) بكتابيه «خزانة الأدب» و «شرح شواهد مغني اللبيب» ظاهرة موازية لتأليف مرتضى الزبيدي (١١٤٥ هـ) لتاج العروس شرحًا للقاموس المحيط . وإذا كانت كتب النحو تختلف اختلافًا بسيطًا في تبويبها الداخلي وترتيبها للموضوعات فإن المعاجم العربية تقسم من ناحية ترتيبها للألفاظ الواردة فيها إلى مدارس مختلفة. لكل منها منهجها الخاص[1] .

أما رواية الأضداد فإنها بدأت في وقت مبكر نسبيًا ، إلا أنه بعد الإسلام بأكثر من قرن على كل حال . ولا نستطيع أن نقطع بشيء من تحديد أول من روى ألفاظًا من الأضداد ، إلا أنه يمكن تحديدها بعصر أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو الشيباني والكسائي ومن في طبقاتهم مِمَّن لم يؤلف في الأضداد ، لأن أوائل كتب اللغة قد روت عن هؤلاء شيئًا من هذه المادة ، وليس في أيدينا كذلك ما يدل على أن هؤلاء الأوائل قد نصوا على أن اللفظة التي يذكرون معانيها هي من الأضداد ، ولكننا نطمئن إلى أن أولى مصنفاتهم التي أشارت إلى هذه الظاهرة إشارة صريحة فيها شيء من التعجب والدهشة هو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) إذ قال في مادة (شعب) بعد أن ذكر المعنيين المتضادين: «هذا من عجائب الكلام ووسع العربية أن يكون الشعب تفرقًا

---

(١) راجع في ذلك : د. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، والناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة العمرانية للأوفست بمصر ١٩٩١ م، ص ٩٥ - ٩٩. وانظر أيضًا : د. عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دار طلاس ١٩٨٦ م ، ص ٣٤ - ٣٨ .

ويكون اجتماعًا ، وقد نطق به الشعر»[1] ، كما تعجب أيضًا من تضاد لفظة (الناشد) وقال : وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد : الطالب والمعرف جميعًا»[2] . ومع ذلك فإن الخليل لم ينص على أن (الشعب) أو (الناشد) من الأضداد ، فقد اكتفى بذكر المعنيين المتضادين وتسجيل دهشته من هذا التضاد ، ولم يحاول تبرير ذلك فقد نطق به الشعر على حد قوله . أما ما عدا الخليل من رواة اللغة ممن عاصروه . وتتلمذ له فيعوز النصوص التي نقلت عنهم في الأضداد الوضوح والصراحة ، فقد اختلط النقل عن أبي عمرو بن العلاء بالنقل عن أبي عمرو الشيباني، لذكر الكنية عارية عن اللقب في أكثر النصوص الموجودة في كتب الأضداد فلم يُعْلم لمن منهما الكلام ، والقليل من هذه النصوص ما كان يذكر اللقب المميز لكل منهما ، ولكن الراجح أن أكثرها منسوب للشيباني لأن مقارنة النص الواحد بين صوره في المصادر يهدي إلى ذلك أحيانًا . وكذلك يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) فلم يُرو عنه أكثر من ثلاثة أو أربعة أضداد عند قطرب وأبي الطيب اللغوي منقولة عنهما في كتب الأضداد الأخرى، ونصوصها غير واضحة في تحديد كلام يونس لاتصاله بكلام قطرب وأبي الطيب ، مثل قول قطرب : «قال يونس : «الرَّغوث : التي يرغثها ولدها من الشاء ، فصارت في معنى مرغوثة ، والولد أيضًا رَغُوث ، والمعنى أنه راغث لها ، فصارت رَغُوث للمفعول والفاعل»[3] . فلا يُعلم هل انتهى كلام قطرب أم استمر إلى آخر النص ، فالنقل غير واضح في هذه المسألة. وهكذا الأمر بالنسبة لسائر رجال هذه الطبقة ممن لم يؤلف في الأضداد أو لم

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين مادة (شعب) وفى الجزء المطبوع ص ٣٠٦ . تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العاني بغداد ١٩٦٧ م .

(٢) نفس المصدر السابق ، مادة (نشد) ، ومنقولة عنه في لسان العرب لابن منظور ، ص ٣/ ٤٢١ ، وفي تاج العروس للزبيدي ، ص ٩/ ٢٢٠ .

(٣) قطرب : الأضداد ، تحقيق هانس كوفلر ، مجلة إسلاميكا ، المجلد الخامس ١٩٣ .

يعاصر التاليف فيها ، فما رُوي عن لغويٍّ هذا الجيل من الأضداد يعتبر ضئيلاً لو قُورن بما أصبح عليه الوضع بعد ذلك ، فهي كلمات قليلة ترد عارضة على الأستاذ في حلقة الدرس فيتنبه إليها ويحاول تفسيرها ، فتعلق في ذهن أحد التلاميذ ويفطن إلى ما فيها من تضاد ويجتمع عنده من هذه الألفاظ عدد يدفعه إلى تدوينه في كتاب مع شيء من الشرح والاستشهاد ، فظهرت كتب الأضداد الأولى صغيرة الحجم قليلة المادة ، بسبب تمحض النية لتدوين هذه الألفاظ ، دون محاولة التكثر منها بالتعسف والتكلف والاصطناع ، وإن لم تخل خلوًا تامًا من هذه الدوافع ، ولكنها أقل بكثير مما نجده في المؤلفات اللاحقة .

(ب) كتب الأضداد قبل ابن الأنباري :

إن مؤلفات الأضداد تندرج تحت نوع من المصنفات اللغوية يُعنى بدراسة الظواهر اللغوية وجمع مفرداتها وشرح معانيها في جملة ما عُني به. والأضداد من الظواهر التي حظيت بدراسات وكتب كثيرة فيما لو قورنت بسواها من الظواهر كالإبدال والقلب والنحت والاشتقاق وما إلى ذلك . ولقد عُثِرَ في كتب التراجم والمظان القديمة والفهارس على ذكر لواحد وثلاثين كتابًا في الأضداد لم يصل أكثرها والظاهر أنه مفقود فيما فُقِد من تراثنا الضخم خلال العصور . ولم ير النور منها سوى ثمانية من الكتب القديمة[1] ، (عدا أربعة أو خمسة من الكتب الحديثة أو المتأخرة المحفوظة في مخازن المخطوطات بعضها مجهول المؤلف.

وسيذكر الباحث فيما يلي كتب الأضداد التي تم تاليفها قبل تصنيف ابن

---

(١) محي الدين توفيق إبراهيم : ابن السكيت اللغوي مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ١٩٦٩ م ، ص ٢٤٢ . ولقد فات مؤلف هذا الكتاب الإشارة إلى كتابي قطرب وأبي الطيب اللغوي فيما عدَّه من كتب الأضداد التي وصلت ونشرت ، عدا التي تنشر من الكتب المتأخرة .

الأنباري لكتابه (الأضداد) باعتبار أن هذه التصانيف كانت مادة ثرية متاحة بين يدي ابن الأنباري ينهل منها عند تصنيفه لكتابه ، وبذلك نستطيع أن نقف على مدى استفادة ابن الأنباري من سابقيه من ناحية ، ومن ناحية أخرى نستطيع أن نرصد ماذا أضاف إلى دراسات سابقيه سواء من حيث حجم المادة التي وردت في كتابه ، فضلاً عن منهجه في معالجة هذه القضية لنتبين ما إذا كان مقلداً لسابقيه أم متفرداً عنهم مضيفاً إلى جهودهم .

وسوف نذكر هذه التصانيف مرتبة حسب تاريخ وفاة مؤلفيها :

وأول هذه التصانيف هو كتاب (الأضداد) لأبي على محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ)[١] من علماء اللغة والنحو . وهو أول من وضع المثلث في اللغة ، وكتابه على صغره له فضيلة السبق على حد قول ابن خلكان ، وهو أول من ألَّف في الأضداد على ما يظهر ، وله غير هذين الكتابين - المثلثات والأضداد - كتب كثيرة منها : النوادر ، الصفات ، الأصوات ، الهمز ، خلق الإنسان ، خلق الفرس ، إعراب القرآن ، مجاز

(١) تراجع ترجمته في : السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، تحقيق الزيني وخفاجي ، طبع مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٣٨ . الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ١٠٦ . أبي الطيب اللغوي : مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٦٧ . الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١/ ٣٠ . ابن النديم : الفهرست ، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر د.ت. وطبعة فلوجيل ، وطبعة دانشكاه ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ، ص ٧٨ . أبي البركات الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٩ م ، ص ٦٠ . القفطي : أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ م ، ص ٣/ ٢١٩ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ٣/ ٤٣٩ . السيوطي : المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت . ، ص ٢/ ٤٠٥ .

القرآن ، وغير هذا مما حفلت بذكره المصادر والفهارس القديمة . ولقد اشتمل كتاب (الأضداد) على ثماني عشرة ومائتين من ألفاظ الأضداد ، تكررت منها خمسة ألفاظ هي : (زَعوم ، أضبَّ ، بَطائن ، ذَفْر ، جَوْن) . فيكون العدد الحقيقي هو ثلاثة عشر ومائتين ، انفرد قطرب بثمانية ألفاظ في الأضداد بعده في ضوء ما بين أيدينا من الكتب التي وصلت ، هي : (اللَّموس[1] خلوج[2] ، قرون[3] ، راضية[4] ، ثَمَمْت[5] ، خطب[6] لَثَتُه[7] يُفَاوت[8] . الثلاثة الأولى من صيغة (فَعول) ، والرابعة من صغة (فاعل) . وكتاب قطرب في الأضداد فتح الطريق أمام الذين ألفوا في الأضداد فكثيراً ما نقلوا عنه وأشاروا إليه وأخذوا مفرداته يضيفون إليها ويحذفون منها مشاركين تارة ومخالفين أخرى .

● ومن هذه التصانيف كذلك ، كتاب (الأضداد) لأبي زكريا بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الباهلي الفراء (ت ٢٠٧ هـ)[9] . سُمِع منه النحو واللغة فكان إمام الكوفيين بهما في زمانه له مصنفات كثيرة غير المعاني والحدود والأضداد ، منها كتاب اللغات ، الجمع والتثنية في القرآن ، الوقف والابتداء ، فعل وأفعل ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ، وغيرها كثير أما كتابه (الأضداد) فلا تملك ذكراً له في المصادر والفهارس القديمة ، إلا إشارة ابن الدهان في أضداده ، وهي مع ذلك ليست إشارة قوية ، لأنها غير صحيحة تماماً في تسمية الكتاب أو الأخذ عنه ، إلا أن الذي سوّغ لنا الأخذ بإشارة ابن الدهان على أنها ذكر لكتاب الأضداد للفراء ، أنه لم يذكر مع الفراء إلا من

---

(١) قطرب الأضداد ، ص ٢٤٩ .

(٢)، (٣)، (٤) نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٦) نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٧) نفس المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٨) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

(٩) راجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٤٣ . مراتب النحويين ، ص ٨٦ ، تهذيب اللغة ١/ ١٨ . الفهرست ، ص ٩٨ . نزهة الألباء ، ص ٦٥ . وفيات الأعيان ، ص ٥/ ٢٢٥ . المزهر، ص ٢/ ٤١٠ . تاج العروس ، ص ١/ ٣٥ .

كان له كتاب في الأضداد ، حيث يقول : «وأحلت شواهد ما ذكرته على كتب الكبار من العلماء كالأصمعي والفراء وأبي علي قطرب وابن السكيت وأبي العباس ثعلب وأبي حاتم السجستاني وأبي بكر ابن الأنباري ، فمن شك فيما ذكرته فليقصد هذه الكتب فإنه يجده فيها ، والعهدة له وعليه»[1] ، فكلهم ألف في الأضداد ووصلت كتبهم سوى كتاب ثعلب الذي نملك ذكرًا قويًا له في فهرسة ابن خير فلابد أن يكون - قياسًا على هذا - للفراء كتاب في الأضداد كان موجودًا حتى زمان ابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) . إلا أن تساؤلنا عن سبب إغفال الكتب التي ترجمت للفراء وعنيت بمؤلفاته ذكر ككتاب الأضداد يحتاج إلى توضيح . بما في ذلك الترجمات المتأخرة للفراء . والظاهر أنه كتاب صغير ولصغره ظل متداولاً في أوساط ثقافية ضيقة جنبًا إلى جنب مع الكتب المعاصرة في الأضداد حتى إذا ظهرت كتب ابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي وغيرهما من المصنفات الضخمة في هذا الباب ، تلقفتها الأيدي وأكبت عليها بيوت العلم فقل شأن الكتاب الصغير حتى ضاع فلم نسمع به إلا على لسان ابن الدهان بهذا الشكل الضعيف ، شأنه في ذلك شأن كثير من المصنفات التي ذابت في خضم المصنفات الكبيرة المؤلفة في بابها فضاعت ولم نسمع بخبرها . وبهذا نستطيع أن نفسر إغفال (الفهرست) لابن النديم (ت ٣٧٧ هـ) وهو أقدم من ذكر مصنفات المترجمين باستيعاب - لأضداد الفراء ، ذلك أنه عاصر تأليف أضداد ابن الأنباري وأضداد أبي الطيب ، وهي الحقبة التي افترضنا أن يكون أضداد الفراء مختفيًا فيها ، فله في ذلك شيء من حق ، خصوصًا وأنه ليس من أرباب اللغة كابن الدهان .

ونستطيع أن نجمع من كتب الأضداد المؤلفة بعده ، ومن بعض مؤلفاته ،

---

(١) ابن الدهان : الأضداد في اللغة ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، مطبعة دار التضامن ، بغداد ١٩٦٣ م ، ص ٩١، ٩٢ .

ومؤلفات اللغويين شيئًا لا بأس به من آرائه في الأضداد وفكرة التضاد وحصولها في بعض الألفاظ ، وما نصَّ عليه منها ، بحيث يكون هذا المجموع من آرائه نواة لكتابه الضائع وصورة له ، إن لم نقل كاملة فقريبة منه ، وربما استطعنا أن نتبين منها منهجًا خاصًا أو طريقة معينة .

يضاف إلى هذا ما نقلته عنه كتب الأضداد ، فقد ذكره الأصمعي في أضداده مرتين[1] ، وابن السكيت في أضداده ثلاث مرات[2] وابن الأنباري في أضداده سبعًا وسبعين مرة[3] وأبو الطيب اللغوي في أضداده خمس مرات[4] ، وكلهم يذكر رأيه في اللفظة التي يعالجونها ، أو إنشاده لبيت أو أبيات من الشعر شاهداً عليها أو ذكره لقراءة من السبع للمصحف ، أو نصه على لغة ما واستعمال معين ، وما إلى ذلك . واستشهدت برأيه معجمات اللغة ، وذكرت آراءه في كلمات الأضداد التي تعرض . وتدل هذه الكثرة من النقول عنه والاستشهادات بآرائه أنه كان من المعنيين بهذا الجانب من اللغة عناية ليست باليسيرة ، بحيث يسوغ لنا أن نجزم بصحة اعتقادنا الذي بنيناه على إشارة ابن الدهان ، من أنه كان قد وضع كتابًا في الأضداد لم يصل إلينا ، ومجموع هذه النقول هي نواته أو صورته . .

ومن المصنفات التي سبقت ابن الأنباري كتاب الأضداد لأبي عبيدة معمر ابن المثنى التيمي البصري (٢١٠ هـ)[5] . له من الكتب غير الأضداد والغريب

---

(١) الأصمعي : الأضداد ، ص ٢٨ ، ٥٢ .

(٢) ابن السكيت : الأضداد ، ص ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٣) يراجع فهرس الكتاب .

(٤) يراجع فهرس الكتاب .

(٥) راجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ، ص ٥٢ . طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٢ . مراتب النحويين ، ص ٤٤ . تهذيب اللغة ، ص ١/ ١٤ . الفهرست ، ص ٧٩ . نزهة الألباء ، ص ٦٨ . وفيات الأعيان ، ص ٤/ ٣٢٣. معجم الادباء ، ص ١٩/ ١٥٤ . المزهر، ص ٢/ ٤٠٢ . شذرات الذهب ، ص ٢/ ٢٤. تاج العروس ، ص ١/ ٣٣. تاريخ بروكلمان ، ص ٢/ ١٤٢ .

مجموعة كبيرة ، منها : (أيام العرب ، طبقات الفرسان ، نقائض جرير والفرزدق ، الخيل ، الإبل ، السيف ، اللغات ، المصادر ، خلق الإنسان ، وغيرها) . أما نسبة كتاب (الأضداد) له ، فهي نسبة موثقة، فقد ذكرت الكتاب المصادر القديمة ابتداءً بالفهرست لابن النديم وانتهاءً بإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي . والكتاب مفقود في جملة الكتب التي لم تصل . إلا أن نقول كتب الأضداد ومصنفات اللغة عنه كثيرة ، بحيث بلغ مجموع ذلك في هذه الكتب (١٩٢) ذكراً موزعة كالآتي : ذُكر في أضداد الأصمعي (١٨) مرة ، وأضداد ابن السكيت (٢٠) مرة ، وأضداد أبو حاتم السجستاني (٢٠) ، مرة وأضداد قطرب (٣) مرات ، وأضداد أبي الطيب (٨٣) مرة ، وفي لسان العرب لابن منظور (٦) مرات تخص الأضداد ، ومرة واحدة في خزانة الأدب ، ومرة واحدة في الأقتضاب للبطليوسي، ومرة واحدة في التنبيهات لعلي بن حمزة ، وكلها في الكلام على لفظة من ألفاظ الأضداد . وواضح أنها مجموعة كبيرة من النقول تفوق مجموع النقول عن الفراء في هذا الكتب ، إلا أن الفراء فاقه في واحد من هذه الكتب ، وهو أضداد ابن الأنباري ، والسبب واضح إذا علمنا أن الأنباري كوفي النزعة تتلمذ لثعلب وهو تلميذ سلمة الذي هو تلميذ الفراء ، فمن الطبيعي أن يكون النقل عنه أو ذكره في الكتاب فائقًا ذكر أبي عبيدة البصري ، هذا كله عدا ما ورد من إشاراته لبعض ألفاظ الأضداد في كتابه مجاز القرآن .

ومن كتب الأضداد التي سبقت ابن الأنباري كتاب الأضداد لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)[1] . وللأصمعي مصنفات

---

(١) راجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ، ص ٤٥ . طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٨٣ . مراتب النحويين ، ص ٤٦ . تهذيب اللغة ، ص ١/ ١٤ . الفهرست ، ص ٨٢ . نزهة الألباء ، ص ٧٤ . تاريخ بغداد ، ص ١٠/ ٤١٠ . أنباء الرواة ، ص ٢/ ١٩٧ . مروج الذهب ، ص =

كثيرة. منها فيما عدا كتاب الأضداد: غريب القرآن، خلق الإنسان، الأجناس، الأنواء ، الهمز ، المقصور والممدود ، الصفات ، الإبل ، الخيل ، وغيرها . ولقد ذهب بعض الباحثين المحدثين[1] لى أن (كتاب الأضداد) للأصمعي ليس للأصمعي وإنما هو نسخة أخرى من أضداد ابن السكيت . وهناك أيضًا من الباحثين من تصدى لهذا الشك وفنّده وناقش القضية مثبتًا الكتاب للأصمعي[2] وهناك أيضًا كتاب (الأضداد) لأبي يوسف يعقوب بن اسحق السكيت (ت ٢٤٤ هـ)[3] . من كبار اللغويين في عصره ، درس على الفراء وأبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي من الكوفيين وروي عنهم ، كما أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة والأثرم من البصريين والتقط اللغة من أفواه الأعراب . وله من المصنفات غير كتابه الأضداد : إصلاح المنطق ، تهذيب الألفاظ ، الأمثال ، الأجناس ، النوادر ، سرقات الشعراء ، القلب والإبدال ، المقصور والممدود ، السرج واللجام .

= ٣/ ١١٢ .وفيات العيان ، ص ٢/ ٣٤٤ . المزهر، ص ٢/ ٤٠٤ . بغية الوعاة ، ص ٣١٢ . شذرات الذهب ، ص ٢/ ٣٦. تاج العروس ، ص ١/ ٣٣ . تاريخ بروكلمان ٢/ ١٤٧ .

(١) انظر في ذلك : د. رمضان عبد التواب في مجلة المكتبة ج ٥٥ ص ٦ وما بعدها. وانظر محي الدين توفيق إبراهيم في مجلة كلية الشريعة ١٩٦٨ م ، ص ٢٧١ وما بعدها . وحسين محمد في مجلة اللسان العربي ج ٩ ١٩٧٢ م ، ص ١١٠ وما بعدها .

(٢) يُراجع في ذلك د. محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ، ص ٣٦٧ - ٣٧٨ .

(٣) راجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٢١ . مراتب النحويين ، ص ٩٥ . تهذيب اللغة ، ص ١/ ٢٣ . الفهرست ، ص ١٠٨ . نزهة الألباء ، ص ١٢٢ . تاريخ بغداد ، ص ١٤/ ٢٧٣ . معجم الادباء ، ص ٢٠ . وفيات الأعيان ، ص ٥/ ٤٣٨ . النجوم الزاهرة ، ص ٢/ ٣١٩. المزهر ، ص ٢/ ٤١٢ . بغية الوعاة ، ٤١٨، . شذرات الذهب، ص ٢/ ١٠٦. تاريخ بروكلمان ص ٢/ ٢٠٥.

ومن المؤلفين أيضًا في هذا المجال أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي الهروي (ت ٢٤٤ هـ)[١] .

وأقدم إشارة لكتابه (الأضداد) هي إشارة المزهر للسيوطي[٢] (ت ٩١١ هـ) وهي إشارة متأخرة لو قيست بما ذكره ابن النديم المتوفي ٣٧٧ هـ من إشارته لكتب الأضداد ، ومن الغريب عدم العثور في المصادر المختلفة والفهارس القديمة التي سبقت السيوطي على ذكر لكتاب الأضداد بين كتب أبي عبيد. ومن الممكن أن يكون كتاب (الأضداد) الذي نسبه السيوطي وحده لأبي عبيد، ما هو إلا (باب الأضداد أو كتاب الأضداد) من الغريب المصنف ، نسخه ناسخ دون سائر أبواب الكتاب - والتي سُمِّي بعضها بالكتب ككتاب الطير أو كتاب الوحوش - مُعَنْوِنًا إياه (كتاب الأضداد لأبي عبيد)، حتى إذا وقع بيد السيوطي ظن أنه كتاب خاص لأبي عبيد في الأضداد ، يؤيد هذا الذي نذهب إليه أن أوضح ما نقل عنه من آرائه في الأضداد هي من (باب الأضداد أو كتاب الأضداد) في الغريب المصنف بالحرف الواحد . ونستطيع أن نفسر قلة مواد (باب الأضداد) في الكتاب بأن أبا عبيد قد أخرج من هذا الباب ما أدخله غيره فيه، لهذا لم يشتمل . (باب الأضداد) في الغريب المصنف إلا أربعين مادة فقط ، وحتى هذه الأربعين قابلة للتقليل فيما لو عمل فيها أبو عبيد طريقته في إرجاع المواد إلى أبوابها ومحاولة تفسير دلالتها ، خصوصًا تلك التي يكون أثر التصريف واضحًا فيها .

---

(١) راجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢١٧ . مراتب النحويين ، ص ٩٣ . تهذيب اللغة ، ص ١/ ١٩ . الفهرست ، ص ١٠٦ . نزهة الألباء ، ص ٩٣ . أنباه الرواة ، ص ٣/ ١٢ . وفيات الأعيان ، ص٣/ ٢٢٥ . المزهر ، ص ٢/ ٤١١ . بغية الوعاة ، ص ٣٧٦. شذرات الذهب ، ص ٢/ ٥٤ . تاج العروس، ص ١/ ٣٦ . تاريخ بروكلمان، ص ٢/ ١٥٥ . الأعلام، ص ٦/ ١٠ .

(٢) السيوطي : المزهر ، ص ١/ ٥٨١ ، ٢/ ٢٤٩ .

كذلك أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي أو التوجي (ت ٢٣٣ هـ)[١] . وهو من أكابر أئمة اللغة ، أخذ عن أبـي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والأخفش وقرأ كتاب سيبويه على الجرمي . قال عنه المبرد ما رأيت أحدًا أعلم بالشعر من أبي محمـد التوزي ، كان أعلم من الـرياشي والمازني وأكثرهـم رواية عن أبي عبيدة، ونُقِلَ أنه ناظر أبا حاتم السجستاني في اللغة والنحو فتفوق عليه .

أما كـتاب (الأضداد) فـربما كانت الإشـارة إليه هـي أقدم الإشارات عـلى الإطلاق لمجمـوع كتب الأضـداد ، فقــد ذكـره ونقل عـنه المبرد المتوفـي سنة ٢٨٥ هـ في كتابه الكامل ، وبين التوزى والمبرد من الزمن اثنتان وخمسون سنة فقط مـن ملاحظة تـاريخ وفاتهـما ، أما إذا أخذنـا زمن تأليـف الكامل بـنظر الاعتبـار - أي في حياة المبرد - فـتكون المدة أقصـر من ذلك ، ونستشـعر من نصوص المبرد المنقولة عن الكتاب ، أنه رأى الكتاب أو حدَّثه التوزي نفسه عمَّا فيـه «حدثني الـتوزي في كتـاب الأضداد»[٢] ، «وأنشـدني الـتوزي عـن أبي زيد»[٣]، «ذكر التوزي في كتاب الأضداد»[٤] ، مما يُوثق نسبـة الكتاب ووجوده متداولاً في الأيدي مدة من الزمن . حتى إذا جـئنا إلى أبي الخير الأشبيلي (ت ٥٧٥) وجدناه يروي الكتاب عن شيوخه في الأندلس[٥] .

● وعلى أن الكتاب من الكتب الضائعة التي لم تصل ، إلا أننا نستطيع أن

---

(١) راجع ترجـمته في : أخبار النحويـين البصريين ، ص ٦٥ . طبقات النحويـين واللغويين ، ص ١٠٦ . مـراتب الـنحـويين ، ص ٧٥ . نـزهة الألـباء، ص ١١٩ . ابنـاه الرواة ، ص ٢/ ١٣٦ . المـزهر ، ٢/ ٤٠٧ . الأشباه والنظائر ، ص ٣/ ٢٢ . بغية الوعاة ، ص ٢٩٠ . تاج العروس ، ص ١/ ٣٤. تاريخ بروكلمان، ص ٢/ ١٦٢ . معجم المؤلفين، ص ٦/ ١٤٣ .

(٢) المبرد : الكامل ، ص ١/ ٢٥٥ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣/ ٢٢٧ .

(٤) نفس المصدر السلبق ، ص ٣/ ٢٢٨ .

(٥) فهرسة ابن خيـر الأشبيلي ، تحقيق زيدين وطرغــوة ، نشر المكتب التجاري ومكـتبة المثنى ١٣٨٢ هـ ص ٣٨٤ .

نتبين شيئًا منه مما نقلته عنه الكتب والمصادر ، فقد نقل عنه المبرد في الكامل مرتين[1] ، وفي (ما اتفق لفظه واختلف معناه) مرة واحدة[2] ، وذكره أبو الطيب اللغوي في أضداده خمسًا وسبعين مرة[3] ، فيكون مجموع ما نقل من آرائه وإنشاده في الأضداد ثمانية وسبعين مرة. ومنها نستطيع أن نقف على منهجه فيه وروايته للأضداد.

● ومن المصنفات السابقة على ابن الأنباري ما صنَّفه أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني الجشمي (ت ٢٤٨ هـ)[4] . وله من المؤلفات عدا كتابه في الأضداد : ما يلحن فيه العامة ، المذكر والمؤنث ، المقصور والممدود ، القراءات ، خلق الإنسان ، الاتباع ، النخل ، الوحوش ، الادغام ، الأضداد ، وغير ذلك كثير .

أما كتابه في الأضداد فلعله كان أكثر منهجية ونضجًا في تصنيفه ممن وصلتنا كتبهم قبله قطرب والأصمعي ، ابن السكيت . ويتجلى ذلك على سبيل المثال في عنوان الكتاب إذ اختار له أبو حاتم أن يكون (كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد) وفي هذه التسمية دقة لم نعهدها عند قطرب والأصمعي وابن السكيت ، ذلك أن أبا حاتم تنبه إلى ما يمكن أن يدخل في هذا مما عُدَّ من الأضداد وهو ليس منها ، وهو (المقلوب

---

(١) المبرد : الكامل ، ص ١/ ٢٥٥، ٣/ ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) المبرد ما اتفق لفظه واختلف معناه ، ص ٥ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : الأضداد (فهرس أعلام الكتاب) .

(٤) ارجع إلى ترجمته في : أخبار النحويين البصريين، ص ٧٠ . طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٠٠ . مراتب النحويين ، ص ٨٠. تهذيب اللغة ، ص ١/ ٢٢ نزهة الألباء ، ص ١٢٩ . أنباه الرواة ، ص ٢/ ٥٨. وفيات الأعيان ، ص ٢/ ١٥٠ . معجم الأدباء ، ص ١١/ ٢٦٣. النجوم الزاهرة ، ص ٢/ ٣٣٢ . المزهر ، ص ٢/ ٤٠٨. بُغية الوعاة ، ص ٢٦٥ . شذرات الذهب ، ص ٢/ ١٢١. تاريخ بروكلمان ، ص ٢/ ١٥٩ . الأعلام ، ص ٣/ ٣١٠ .

لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته) لأن المقلوب والمزال قد دخلا عند أولئك في الأضداد.

كذلك ظهرت هذه المنهجية في تقديمه للكتاب بمقدمة قصيرة يوضح فيها أسباب تأليفه للكتاب ودوافعه، وهذا ما لم يفعله الأصمعي ولا ابن السكيت، أما قطرب فقد فعل مثل هذه المقدمة بشيء من الاختصار، ففي الوقت الذي يكون الدافع فيه للتأليف عند قطرب هو جمع مواد الأضداد لقلتها وظرافتها في العربية، يكون الدافع عند السجستاني بالدرجة الأولى هو توضيح حقيقة المعاني القرآنية، حيث يقول أبو حاتم: «حملنا على تأليفه أنّا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئًا كثيرًا فأوضحنا ما حضر منه إذا كان يجيء في القرآن»[1].

● ومن المصنفات السابقة على ابن الأنباري أيضًا كتاب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)[2] ومن مؤلفاته: إعراب القرآن، أدب الكاتب، مختلف الحديث، الشعر والشعراء، الخيل، دلائل النبوة، إصلاح أبي عبيد، المسائل والأجوبة، وغير ذلك، أما الكتاب المنسوب إليه في الأضداد فلا نملك فيما عُدَّ من مؤلفات ابن قتيبة في مصادر ترجمته والفهارس القديمة أية إشارة إلى هذا الكتاب أو إلى أنه ألَّف في الأضداد. نعم عقد للأضداد فصولاً في كتبه وأحصى منها قدرًا وربما ناقش ضدية بعضها إلا أن هذا لا يعني أنه ألَّف في الأضداد كتابًا مستقلاً.

---

(١) أبو حاتم السجستاني: الأضداد، ص ٧٢.

(٢) راجع ترجمته في: طبقات النحويين واللغوين، ص ٢٠٠. مراتب النحويين، ص ٨٤. تهذيب اللغة، ص / ٣٠. الفهرست، ص ١١٥. نزهة الألباء، ص ١٤٣. انباه الرواة، ص ٢/ ١٤٣. وفيات الأعيان، ص ٢/ ٢٤٦. النجوم الزاهرة، ص ٣/ ٧٥. المزهر، ص ٢/ ٤٠٩. بغية الوعاة، ص ٢٩١. شذرات الذهب، ص ٢/ ١٦٩. تاريخ بروكلمان، ص ٢/ ٢٢٢. الأعلام، ص ٤/ ٢٨٠.

• وهناك أيضًا أبو على عسل بن ذكوان النحوي العسكري[1] . ذكرته بهذا الاسم كل مصادر ترجمته سوى (الفهرست) لابن النديم ، فقد سمَّاه (عبيد بن ذكوان) ، واحتمال التصحيف وارد وقريب ، ذلك أن أسنان السين في عسل هي الباء والياء في عبيد ، واللام في تلك هي الدال في هذه بشيء من الصغر في رسم الأخيرة . ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته ، فقد اكتفت بأن حددت عصره بعصر المبرد سنة خمس وثمانين ومائتين . أما كتابه الأضداد فهو من الكتب المفقودة ، فلم يذكره من المصادر القديمة إلا (الفهرست) لابن النديم ، وعنه نقل إسماعيل البغدادي في (إيضاح المكنون) . فالفهرست هو المصدر الوحيد الذي أشار إلى الكتاب وعدَّه ثالث مصنفات عبيد بن ذكوان .

• ومن المصنفات السابقة على ابن الأنباري ما كتبه أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب (ت ٢٩١ هـ)[2] . إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه، حفظ كتب الفراء فلم يشذّ منها حرف ، وعني بالنحو أكثر من غيره ، فلما أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب ، إذ نظر في النحو وله ثمان عشرة سنة ، وصنَّف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يدرس كتب الفراء وكتب الكسائي درسًا . لازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة ، سمع من محمد بن سلام الجمحي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة بن

---

(١) راجع ترجمته في :أخبار النحويين البصريين، ص ٨٠ . مرتب النحويين ، ص ١٣٧. الفهرست ، ص ٧٩ . أنباة الرواة ، ص ٢/ ٣٨٣ . معجم الأدباء ، ص ١٢/ ١٦٨ . بغية الوعاة ، ص ٣٢٤ .

(٢) راجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٥٥ . مراتب النحويين، ص ٩٥ . تهذيب اللغة ، ص ١/ ٢٦ . الفهرست ، ص ١١٠ . نزهة الألباء نص ١٥٧ . أبناه الرواة ، ص ١/ ١٣٨ . وفيات الأعيان ، ص ١/ ٨٤ . مروج الذهب ، ص ٤/ ٢١٦ . معجم الأدباء ، ص ٥/ ١٠٢ . النجوم الزاهرة ، ص ٣/ ١٣٣ . الأشباه والنظائر ، ص ٣/ ٢١ . المزهر ، ص ٢/ ٤١٢ . بغية الوعاة ، ص ١٧٢ . شذرات الذهب ، ص ٢/ ٢٠٧ . تاريخ بروكلمان ، ص ٢/ ٢١٠ . الأعلام ١/ ٢٥٢ .

عاصم وعبيد الله بن عمر القواريري وخلف والزبير بن بكار وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم .

له من المصنفات : المصون في النحو ، معاني القرآن ، القراءات ، معاني الشعر ما ينصرف وما لا ينصرف ، الفصيح ، المجالس ، الأضداد ، وغيرها كثير.

أما كتابه الضائع في الأضداد فقد عدَّه ابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) بإن كتب الكبار من العلماء التي يُرجع إليها للاستزادة والاطلاع على الشواهد . ومما يؤكد تأليف ثعلب لكتاب الأضداد ووجوده متداولاً في الأيدي مدة طويلة من الزمن أن ابن خير الأشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) رواه عن شيوخه ، وذكر لنا هذه الرواية في فهرسته[١] . ومعنى هذا أن الكتاب وصل إلى الأندلس عن طريق أبي علي القالي البغدادي - على ما يبدو من سند الرواية - وتلقفه العلماء بالرواية واحدًا عن واحد ، وهذا يبعد الشك في تأليفه أو وجوده .

ورغم غياب الكتاب إلا أننا نستطيع أن نتبين ظواهره المنهجية وخصائصه المدرسية مما خلفته لنا المصادر التي عنيت بنقل رأيه في الأضداد ، وعلى رأسها كتابه (مجالس ثعلب) الذي حفظ لنا خمس عشرة مادة من مواد الأضداد التي ذكرها ثعلب نفسه وناقشها ، ومثله كتابه المفقود (مجاز الكلام وتصاريفه) الذي نقل السيوطي عنه إحدى عشرة لفظة من الأضداد[٢] ، كما حفظ لنا كتاب (الأضداد) لابن الأنباري رأيه في مواد الأضداد وإنشاده لشواهدها في واحد وستين موضعًا ، يضاف إلى ذلك ورود ذكره في مواد الأضداد في لسان العرب خمس عشرة مرة ، وفي مواد الأضداد في تاج العروس ست مرات ، وقريب

---

(١) فهرسة ابن خير الأشبيلي ، ص ٣٨١ .

(٢) السيوطي : المزهر ، ص ١/ ٣٩٣ .

من هذين العددين في تهذيب اللغة والصحاح . فيكون من مجموع ذلك مادة وفيرة تصلح أن تكوِّن صورة صادقة قريبة لكتابه المفقود معدَّة للدراسة واستجلاء الظواهر المختلفة . ويجدر بنا أن نشير إلى أن أبا بكر بن الأنباري في نقله عن ثعلب كان مهتمًا في المقام الأول بجوانب معينة من كتاب ثعلب ، اهتمامه الواضح بالشعر والتعليقات المختلفة على الشواهد الشعرية ، دون غيره من الشواهد الذي يشمل القرآن والحديث والمثل والمأثور وغير ذلك . ويؤيد هذا أن ثعلبًا نفسه قد اهتم بالقرآن الكريم وآياته في مجال الأضداد عندما عرض له في كتابه (المجالس) ولابد أن يكون تعرضه لها أكثر في كتاب يجرده للأضداد . إلا أن أبا بكر بن الأنباري لم ينقل عنه شيئًا من ذلك في كل المواضع التي ذكره فيها .

وفي ختام قراءتنا للمصنفات السابقة على أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري في مجال الأضداد يتبيَّن لنا مجموعة من الملاحظات تكشف لنا عن طبيعة العلاقة بين ابن الأنباري وبين هذه المصنفات ، ومدى استفادته من المادة العلمية الواردة في هذه المصنفات في باب الأضداد ، وسوف نعرض لهذه الملاحظات فيما يأتي :

● أول هذه الملاحظات أنه نقل كثيرًا من المواد المتعلقة بالأضداد عن سابقيه من العلماء سواء أكانوا بصريين أو كوفيين إلا أن نقوله عن الكوفيين كانت أكثر وفرة من نقوله عن البصريين ويبدو ذلك لأنه كان كوفي النزعة فلقد نقل عن أضداد الفراء الكوفي المذهب (٧٧ مرة) بينما نقل عن أبي عبيدة البصري المذهب (٤٢ مرة) والسبب واضح إذا علمنا أن ابن الأنباري كوفي النزعة تتلمذ لثعلب وهو تلميذ الفراء ، فمن الطبيعي أن يكون النقل عنه أو ذكره في الكتاب فائقًا ذكر أبي عبيدة البصري . ومن الكوفيين الذين نقل عنهم ابن الأنباري في أضداده ابن السكيت، وكذلك ثعلب حيث حفظ لنا كتاب ابن

الأنباري رأى ثعلب في مواد الأضداد وإنشاء لشواهدها في واحد وستين موضعًا ، وإذا تأملنا نقوله عن ثعلب وجدنا أنه كان مهتمًا في الدرجة الأولى بجوانب معينة أكثر النقل منها ، ومن اهتمامه الواضح بالشعر والتعليقات المختلفة على الشواهد الشعرية ، دون غيرها من الشواهد التي تشمل القرآن والحديث والمثل والمأثور وغير ذلك . ويؤيد هذا أن ثعلبًا نفسه قد اهتم بالقرآن الكريم وآياته في مجال الأضداد ، عندما عرض له في كتابه (المجالس) ولابد أن يكون تعرضه لها أكثر في كتاب يجرده للأضداد . إلا أن أبا بكر لم ينقل عنه شيئًا من ذلك في كل المواضع التي ذكره فيها .

كذلك نقل عمَّن اهتم بالأضداد من البصريين فلقد نقل عن قطرب الذي كان كتابه في الأضداد يضم مادة ثرية في الأضداد بلغت نحو ثماني عشرة ومائتين لفظة من الأضداد ، ففتحت الطريق أمام الذين ألفوا في الأضداد . فكثيرًا ما نقلوا عنه وأشاروا إليه وأخذوا مفرداته يضيفون إليها ويحذفون منها مشاركين تارة ومخالفين أخرى ، إلا أنهم جميعًا لم يمحصوا ما نقلوه تمحيصًا دقيقًا فتسرب من جراء ذلك خطأ كنا نريد أن يُتلافى في كتبهم ، من مثل تكرير ابن الأنباري لمادة (زَعوم) في أضداده لتكرير قطرب إياها ، ومن مثل التصحيف في (بل رِديه) فصارت (برِّديه) وعُدت من ألفاظ الأضداد.

أيضًا نقل عن أضداد أبي حاتم السجستاني الذي نشأ في كنف البصريين فأخذ النحو واللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وعمر بن كركرة وروح بن عبادة وغيرهم من أئمة البصريين ، فضلاً عن قراءته كتاب سيبويه على الأخفش مرتين . ويبدو أن ابن الأنباري لم يكتف بالنقل عنه في الأضداد فحسب بل تأثر به في منهجه في كتابه (الأضداد) وذلك لأن كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني كان أكثر منهجية ونضجًا في تصنيفه ممن وصلتنا كتبهم قبله : قطرب والأصمعي وابن السكيت . ولقد تجلى ذلك النضج عند

أبي حاتم ثم تراءى لنا عند ابن الأنباري في كتابه ، ومن ذلك عنوان الكتاب إذ اختار له أبو حاتم أن يكون (كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد) وفي هذه التسمية دقة لم نعهدها عند قرطب والأصمعي وابن السكيت ، ذلك أن أبا حاتم تنبه إلى ما يمكن أن يدخل في هذا مما عُدّ من الأضداد وهو ليس منها وهو (المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته) في تقديمه لكتابه بمقدمة قصيرة يوضح فيها أسباب التأليف ودوافعه وهذا ما لم يفعله الأصمعي ولا ابن السكيت ، أما قطرب فقد فعل مثل هذه المقدمة بشيء من الاختصار ، بينما ابن الأنباري فقد صدَّر كتابه بمقدمة أفاض فيها الحديث عن أسباب تأليفه للكتاب ودوافعه لذلك .

كذلك تأثر ابن الأنباري في أضداده بمن سبقوه من العلماء الذين صنفوا في الأضداد وتراوحت مشاربهم بين المذهب البصري والكوفي في نفس الوقت ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي الهروي الذي أخذ عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي واليزيدي وغيرهم من البصريين ، كما أخذ عن ابن الأعرابي وأبي زياد الكلابي ويحيى الأموي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء من الكوفيين كما تأثر ابن الأنباري بأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الذي قيل عنه أنه كان يغالي في مذهب البصريين إلا أنه خلط المذهبين وحكى في كتبه عن الكوفيين .

- وثاني هذه الملاحظات التي تكشف عن طبيعة العلاقة بين ابن الأنباري وسابقيه ممن كتبوا في الأضداد . فابن الأنباري في أخذه عن سابقيه لم ينقل عنهم حرفيًا وإنما كانت له شخصيته وثقافته التي تجعله يمحِّص ما يأخذه وينتقي منه ، سواء كان الذي ينقل عنه بصريًا أو كوفيًا مثله ، ولقد لاحظنا هذا في أخذه عن أبي عبيدة البصري . وإن كان قد نقل أكثر عن الفراء إمام الكوفيين ويبدو أن السبب في ذلك أن الفراء يتفق مع ابن الأنباري في نزعته الكوفية .

ولكن ابن الأنباري كانت له شخصيته وثقافته التي تجعله يُمَحّص ما يأخذه عن سابقيه حتى وإن كان يتفق معه في نزعته الكوفية ، ولقد لاحظنا هذا في أخذه عن ثعلب جوانب معينة منها اهتمامه الواضح بالشعر والتعليقات المختلفة عن الشواهد الشعرية ، دون غيرها من الشواهد التي تشمل القرآن والحديث والمثل والمأثور وغير ذلك ، بينما كان ثعلب يهتم إلى جانب ذلك بشواهد من القرآن الكريم وآياته في مجال الأضداد عندما عرض لها في كتابه (المجالس) ولابد أن يكون له تعرضه أكثر في كتاب يجرده للأضداد . إلا أن أبا بكر لم ينقل عنه شيئًا من ذلك في كل المواضع التي ذكره فيها .

● ومن الملاحظات التي تكشف أيضًا عن طبيعة العلاقة بين ابن الأنباري وسابقيه ، أن كثيرًا من النقول التي أخذها عن كثير من العلماء ضاعت كتبهم ولم تصل إلينا وبذلك ظلت هذه المادة الباقية من هذه الكتب عند ابن الأنباري هي الوثيقة التي تثبت وجود هذه الكتب قبل فقدها ، فضلاً عن أنها أتاحت لنا الفرصة للتعرف على كتب هؤلاء العلماء مما يمكننا من دراستها للوقوف على منهجهم فيما يتعلق بقضية الأضداد ، ومن بين هذه الكتب : كتاب الأضداد للفراء الذي لا نملك ذكرًا له في المصادر والفهارس القديمة إلا إشارة ابن الدهان في أضداده ، وكذلك الأصمعي الذي ذكره في أضداده مرتين[1] ، وابن السكيت في أضداد ثلاث مرات[2] أما ابن الأنباري فكان له النصيب الأكبر من النقل عنه حيث ذكره في أضداد سبعًا وسبعين مرة[3] ، وأبو الطيب اللغوي في أضداه خمس مرات ، وكلهم يذكر رأيه في اللفظة التي يعالجونها ، أو إنشاده لبيت أو أبيات من الشعر شاهدًا عليها ، أو ذكره لقراءة من القراءات السبع

(١) الأصمعي : الأضداد ، ص ٢٨ ، ٥٢ .

(٢) ابن السكيت : الأضداد ، ص ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٣) يُراجع فهرس كتاب الأضداد لابن الأنباري .

للمصحف الشريف ، أو نصه على لغة ما واستعمال معين ، وما إلى ذلك . ومن خلال هذه النقول عن الفراء في هذه المصنفات نستطيع أن نتلمس صورة الكتاب وأسس منهجه العلمي أو المدرسي الذي زعمنا توفره في مصنفات الكوفيين ، والفراء شيخهم وإمامهم .

ومن الكتب التي لم تصلنا ولكنها ظلت باقية في نقول ابن الأنباري وغيره عنها ، كتاب الأضداد لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ، حيث بلغ مجموع نقول كتب الأضداد ومصنفات اللغة عنه (١٩٢) ذكرًا موزعة كالآتي : ذُكر في أضداد الأصمعي (١٨) مرة ، وأضداد ابن السكيت (٢٠) ، وأضداد السجستاني (٢٠) مرة ، وأضداد قطرب (٣) مرات ، وأضداد ابن الأنباري (٤٢) مرة ، وأضداد أبي الطيب (٨٣) مرة ، وفي لسان العرب (٦) مرات تخص الأضداد ، ومرة واحدة في خزانة الأدب للبغدادي ، ومرة واحدة في الاقتضاب للبطليوسي ، ومرة واحدة في التنبيهات لعلي بن حمزة ، وكلها في الحديث على لفظة من ألفاظ الأضداد ، وواضح أنها مجموعة كبيرة من الذكر تفوق مجموع ذكر الفراء في هذه الكتب ، إلا أن الفراء فاقه في واحد من هذه الكتب ، وهو أضداد ابن الأنباري ، والسبب واضح إذا علمنا أن ابن الأنباري كوفي النزعة تتلمذ لثعلب وهو تلميذ سلمة الذي هو تلميذ الفراء ، فمن الطبيعي أن يكون النقل عنه أو ذكره في الكتاب فائقًا ذكر أبي عبيدة البصري .

خلاصة القول فإننا من مجموع هذه النقول وفي مقدمتها ما ورد عند ابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي حيث كان لهما الحظ الأوفر من هذه النقول ، منها جميعًا نستطيع أن نقف على صورة كتاب أبي عبيدة ومنهجه في معالجة قضية الأضداد .

ومن الكتب المفقودة في مجال الأضداد وكان لنقول ابن الأنباري عنه دور كبير في الحفاظ عليها وإتاحة الفرصة لنا للوقوف عليه مما يمكننا من معرفة ،

منهجه ، كتاب الأضداد لأبي العباس أحمد بـن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة .

هـذا الكتـاب الذي عدَّه ابن الـدهان (ت ٥٦٩ هـ) بين كـتب الكبـار من العلماء التي يُرجع إليها للاستـزادة والاطلاع على الشواهد . وبالرغم من عدم وجود الكتاب بـين أيدينا إلا أننا نستطيـع أن نتبين ظواهره المنهجيـة وخصائصه المدرسية مما خلفـته لنا المصادر التي عنيت بنقل آرائـه في الأضداد وعلى رأسها كتابه (مجالس ثـعلب) الذي حفظ لنا خمس عشر مـادة من مواد الأضداد التي ذكرها ثعلب نفسه وناقشها ، ومثله كتابه المفقود (مجاز القرآن وتصاريفه) الذي نقـل السيوطـي إحدى عشـرة لفظة مـن الأضداد[1] ، كمـا حفظ لـنا كـتاب (الأضداد) لابن الأنباري رأيـه في مواد الأضداد وإنشاده لشواهـدها في واحد وستين موضعًا ، يضاف إلى ذلك ورود ذكره في مواد الأضداد في لسان العرب خمسة عشرة مرة ، وفي مواد الأضـداد في تاج العروس ست مرات ، وقريب من هذين العددين في تهذيب اللغـة والصحاح ، فيكون من مجموع ذلك مادة وفيـرة تصلـح أن تكوِّن صـورة صادقة قـريبة لكـتابه المـفقود مـعدَّة للـدراسة واستجلاء الظواهر المخـتلفة . وهذا يكشف لنا طبيعة الـعلاقة بين ابن الأنباري وسابقيه ممن صـنفوا في الأضداد فإذا كان ابن الأنباري قـد أفاده الاطلاع على كتابات سابقيه فـإنه أيضًا أسدى لكثير منهم صنيعًا خاصة مـن فقدت كتبهم ولم تصل إلـينا حيـث ظلت كتبـهم محفـوظة من خلال نقـول ابن الأنباري عـنهم كوثيقة شاهدة على تأليفهم في مجال الأضداد .

---

(١) السيوطي : المزهر ، ص ١/ ٣٩٣ .

ثانيا: دواعي تأليفه في الأضداد

منذ أن وجد الحديث عن الأضداد اختلف موقف الدارسين منها بين مؤيِّد يدافع عنها ويدلِّل على وجودها فى اللغة ويحاول تفسيرها ، وبين منكر لهذا الوجود ينعى على العربية احتضانها لهذه المواد ويعيب عليها عدم الدقة في دلالة ألفاظها . ومن الطبيعي وجود المؤيدين أسبق في الظهور من المعارضين ، إذ لولا وجودهم لما ظهر الرد والإنكار من الطرف الآخر ، وبذلك يكون الرواة الأوائل للألفاظ المتضادة هم أوائل المؤيدين لوجود الأضداد في اللغة ، كما نفرض أن يكون مؤلفو معجمات الأضداد جميعًا على طريق التأييد كذلك ، سوى وقفاتهم العابرة في مصنفاتهم هذه حيال بعض الألفاظ التي يعالجون ضديتها ، مما نستشعر منه شكهم في تضادها ، هذا إذا لم ينصوا فعلاً على أنها ليست من الأضداد كما فعلوا في مواضع غير قليلة من كتبهم . أما إنكار الأضداد أصلاً والطعن على العربية في هذه الناحية فهو وإن تأخر على تاريخ البدء بروايتها والتأليف فيها إلا أنه كما يظهر قديمًا أيضًا وقد رافق التدوين مبكرًا لأننا نجد ذكر الطاعنين عند ابن الأنباري الذي توفى سنة ٣٢٨ هـ والذي يمكن أن يكون قد ألف كتابه في أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع ، فإذا عرفنا أن أول كتاب فى الأضداد قد تم تأليفه في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث على يد قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، عرفنا أيضًا أن هؤلاء المنكرين وُجدوا في حدود القرن الثالث قريبين من عصر التدوين الأول للأضداد ومتأخرين عن روايتها قليلاً . وعندما نقول إن التأييد سبق الإنكار يجب أن نفرق بين معنى الدفاع ، فالتأييد معنى خلص يتوفر في كل كتب الأضداد وفي أنفس مؤلفيها وإن لم تتعرض هذه الكتب إلى وجود الأضداد وعدم وجودها أو تبحث في تفسيرها أو تدافع عنها ، فمجرد القيام بوضع معجم خاص بألفاظ تضادت معانيها والاستشهاد عليها يعني وحده تأييد الفكرة. أما الدفاع فهو معنى أعم من التأييد لأنه يتطلب مع المعنى الأول البرهنة على

وجود الأضداد في اللغة والتدليل على صحة ورودها عن العرب وسلامة استعمالاتها في أساليبهم ومحاولة تفسيرها، وهو أمر لا يوجد إلا بعد وجود الإنكار[1] .

فبعد أن ظهرت كتب المؤيدين للأضداد في عصر التدوين الأول لها في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري على يد : قطرب (ت ٢٠٦ هـ)، والفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، وأبي عبيدة (٢١٠ هـ) ، وأبي القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، وأبي محمد التوزي (ت ٢٣٣ هـ) ، وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، وأبي حاتم السجستاني (ت ٢٤٨ هـ) ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، وثعلب (ت ٢٩١ هـ) وغيرهم من أوائل الأضدادين ، انبرى لإنكار ما جاء به هؤلاء من مادة جماعة من الدارسين اختلفت مناهجهم في الإنكار بمقدار ما اختلفت نيتهم فيه .

ويأتي على رأس هؤلاء المنكرين الشعوبيون وأهل الزيغ والإزراء بالعرب يودّون الطعن على العرب من ناحية أن وجود الأضداد في اللغة دليل عدم الإبانة والغموض والاضطراب ، وهؤلاء المنكرون هم الذين تصدّى لهم ابن الأنباري بالرد على ادعاءاتهم في مقدمة كتابه (الأضداد) ، ويبدو أن هذا الهدف كان الدافع الأول لتأليفه كتابه للدفاع عن العربية والوقوف في وجه هؤلاء المنكرين ، يقول ابن الأنباري في مقدمة كتابه : «ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضح تأويله فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى»[2] . وهي فكرة مجملة عن إزراء هؤلاء

(١) انظر : د. محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، ط ١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١ - ٢ .

الشعوبيين بالعرب من هذه الناحية ، فلا ندري هل وضع أحدهم كتابًا أو سُجِّلت آراؤهم ومناقشاتهم ونقلت عنهم ، ومتى بالضبط كان ذلك ومن هم رجال هذا المذهب ؟ ، كل ذلك مجهول لأن كتب الأضداد وابن الأنباري على وجه الخصوص لم يسعفنا بهذه المعلومات . غير أننا نستبعد أن يكون المقصود بهؤلاء هم ابن درستويه ومن سار على نهجه كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[1] . لأن ابن درستويه متأخر عن ابن الأنباري في الزمن فقد توفى سنة ٣٤٧ هـ، وإذا كان ابن الأنباري قد ألَّف كتابه قبل وفاته ٣٢٨ هـ بعشرين سنة مثلاً ، فتكون هذه المدة الطويلة مبعدة احتمال تأليف ابن درستويه لكتابه (أبطال الأضداد) قبل تأليف ابن الأنباري كتابه فلا يكون الأخير مشيرًا إلى ابن درستويه فضلاً عن أن يكون المقصود أحد أنصار ابن درستويه أو الذاهبين مذهبه في الإنكار[2] . فأهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب - كما يبدو - جماعة من الأعاجم تتوفر فيهم الروح الشعوبية والرغبة في الانتقاص من العرب عاشت بين ظهراني الوسط المثقف في الأضداد سندًا تسند إليه في الطعن على اللغة والنيل منها فهب ابن الأنباري للدفاع عن الأضداد وردّ دعاوي الشعوبيين وتفنيد مزاعمهم وآرائهم .

ولقد اختلف منهج ابن الأنباري في الدفاع عن وجود الأضداد في اللغة عن منهج الآخرين الذين تصدوا للدفاع عن هذه القضية . فكان منهم من اعتمد في الدفاع عن وجود الأضداد مستندًا على النقل والرواية في البرهنة على وجودها مثل ابن فارس ، ومنهم من اعتمد على المنطق والجدل العقلي مثل ابن سيده ، أما ابن الأنباري فقد اعتمد في دفاعه على تفسير نشأة الأضداد والظروف التي عملت على وجودها .

---

(١) حسين محمد : اللسان العربي المغربية ، ص ٨/٩٦ ، في ١٩٧٢ م .

(٢) انظر : د. محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، ص ٢٤٧ .

فابن فارس في دفاعه عن وجود الأضداد يقرر أولاً أن «من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد . نحو (الجون) للأسود ، و(الجون) للأبيض»[1] . وهو اعتماد محض على النقل ، واعتبار الأضداد ظاهرة (سُنَّة) لغوية شأنها شأن الترادف والاشتراك لا يمكن إنكارها وما دامت كذلك فلابد من الاعتراف بوجودها ، ثم يؤكد ابن فارس صحة البرهنة بالنقل على وجود الأضداد مطعمًا ذلك بشيء من الاستدلال العقلي فيقول «وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده ، وهذا ليس بشيء. وذلك أن الذين رووا أن العرب تُسمِّي السيف مهندًا والفرس طرفًا هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحدًا»[2] . فهو يرى أنه إذا صحّت رواية الترادف عن العرب فلماذا لا تصح رواية الأضداد عنهم والرواة هم الرواة، فإن كان علينا أن نصدقهم وجب أن نصدقهم فيما رووه جميعًا ، وإن كان علينا أن نكذبهم وجب أن نفعل ذلك في جميع ما قالوا فليس من المعقول أن نصدقهم إذا رووا لنا ما يعجبنا ، ونكذبهم إذا رووا لنا ما لم يعجبنا، وابن فارس من شدة حماسته لفكرته المتأثرة بإيمانه بنظرية (توقيف اللغة) وضع كتابًا في الرد على منكري الأضداد ، إذ يقول : «وقد جردنا في هذا كتابًا ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا ردَّ ذلك ونقضه فلذلك لم نكرره»[3]. ولكن الكتاب لم يصل إلينا . والظاهر من منهج ابن فارس ومذهبه في الاستدلال أنه ضمَّن الكتاب الكثير من الشواهد الشعرية والنثرية وذكر أقوال الرواة والعلماء، كل ذلك للتدليل على صحة ورود الأضداد عند العرب وصدق روايتهم عنهم بعد أن نطقت بها أشعارهم وأقوالهم .

---

(١) ابن فارس : الصاحبي، نشر المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م ، ص ٦٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٦٦ - ٦٧ .

أما ابن سيده فلقد حاول عن طريق الجدل المنطقي أن يثبت أولاً وجود المشترك اللفظي في اللغة ، فإذا ما أثبته بدليل النقل والعقل أثبت أيضًا وجود الأضداد في كلام العرب لأن الأضداد نوع من المشترك ولكنه نوع أخص منه[1]. وواضح أن منهج ابن سيده في الدفاع عن الأضداد يختلف عن منهج ابن فارس ففف حين يعتمد على الرواية والنقل واستقراء الظواهر اللغوية ، يعتمد ابن سيده على العقل والمحاكمة المنطقية والتقسيم الجدلي للبرهنة على وقوع الأضداد . كما اتضح لنا من خلال ردهما ودفاعهما أنهما يحاولان اثبات وجود الأضداد في العربية في مقابل المنكرين لفكرة وجود الأضداد بها . أما ابن الأنباري فلم ينظر للمسألة من هذه الزاوية ، وإنما نظر إليها على أنها أضداد موجودة الآن في اللغة ولا مانع من أن يكون أحد المعنيين لغة لقبيلة غير القبيلة التي تستعمل المعنى الثاني ، أو أن يرجع بالمعنيين إلى معنى شامل ، أو أن السياق هو الذي يعيّن أحد المعنيين ، المهم عنده أن هذه الأمور جميعًا اجتمعت فخلقت أضدادًا في اللغة ، فلقد استغل ابن الأنباري هذه التفسيرات المختلفة لنشوء الأضداد - والتي سنتعرض لها بالتفصيل في المبحث الخاص برأيه في نشأة الأضداد - للدفاع عن اللغة أمام أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب وكأنه يريد أن يبرهن لهم من ذلك على أن التضاد ليس أصلاً في وضع اللفظة وإنما هو نتيجة عامل من هذه العوامل ، ولا مانع بعد ذلك من أن نقول إن في لغتنا اليوم أضدادًا نصنف فيها الكتاب ونذكر فيه شواهدها من الشعر والقرآن ، ومن هذا الفهم الدقيق القائم على الجمع بين النظر إلى عوامل نشوء الأضداد وبين الرغبة في جمعها ودراستها انطلق ابن الأنباري في دفاعه عن الأضداد ، ردًا على المنكرين المتسائلين من أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب من الشعوبيين ،

---

(1) ابن سيده : المخصص طبعة بالأوفست ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت د. ت، ص ٢٥٩/١٣ .

يقـول: «فأجيبـوا عن هذا الـذي ظنوه وسـألوا عنه بـضروب من الأجـوبة : احدهن أن كلام الـعرب يصحح بعضـه بعضًا ويرتبط أوله بـآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيـين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال الـتكلم والإخبار إلا مـعنى واحد، فمن ذلك قول الشاعر :

كـل شـيء ما خـلا الموت جَلَلْ   والفتـى يَسْعى ويُلهيه الأمَـل[1]

فدلّ ما تقـدم قبل (جَلَل) وتأخر بعـده على أن معناه : كـل شيء ما خلا الموت يسير ، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن (الجَلَل) ها هنا معناه (عظيم)[2] .

ثم يقدّم ابن الأنباري مثالاً آخر ، فجاء قوله : «وقال آخر :

فَلَئِنِ عَفَـوْتُ لأعْفُـوَنْ جَـلَلاَ   ولَئِنْ سَطَـوْتُ لأوهِنَنْ عَظْمى[3]

قَوْمـي هُـمْ قَتَلوا أمَيْـمَ أخِـي   فإذَا رَمَيْـتُ يُصيبُنِـي سَهْمِـي

ثم يتابع شارحًا : فـدلّ الكلام على أنه أراد : فلئن عفـوتُ لأعفونّ عفواً عظيمًا ، لأن الإنسان لا يفـخر بصفحه عن ذنب حقير يسـير ، فلما كان اللّبْس في هذين زائلاً عن جميع السامعين لم ينكرْ وقـوعُ الكلمة على معنيين مختلفين

---

(١) نسبه صاحب اللسان (١٣/ ١٢٤) إلى لبيد ، وليس في لاميته التي مطلعها :

إن تقـوى ربنـا خيـر نفل   وبـإذن الله ريثـي وعجـل

وهو فـي أضداد الأصمعي ، ص ٩ وأضداد ابن السكيت ، ص ١٦٧ ، وما اتفق لفظـه واختلف معناه ، ص ٣ من غير نسبة .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢ .

(٣) الحارث ابن حـلزة : ديوان الحماسة لأبي تمـام ، شرح المرزوقي ، ص ٢٠٣ . وهناك البيت الأول قبل الثاني .

في كلامين مختلفي اللفظين»[1] .

وهذا الذي يبينه ابن الأنباري هنا هو في جواب من يقول إن وجود الأضداد في كلام المتكلم يورث اللبس لأن السامع لا يعلم أي معنيّ الضد هذا المتكلم ، فيوضح ابن الأنباري أن قرائن الكلام بما يتقدم الضد وما يتأخر عنه هو الذي يخصص أحد المعنيين ويحصر اللفظة فيه ، وعليه فلا لبس ولا فوضى في الكلام . وفي الواقع أن ابن الأنباري يدافع عن اللغة التي احتضنت الأضداد نفسها ، لأن الشعوبيين الذين أشار إليهم ، كانوا يعيبون اللغة لوجود الأضداد فيها ولم ينكروا وجود الأضداد في اللغة وطرائق التعبير فيها لا على أصل وجود الأضداد ، فالذين يجابههم ابن الأنباري أنكروا على العربية وجود الأضداد فيها ، أما المنكرون عند ابن فارس وابن سيده فقد أنكروا وجود الأضداد في العربية فراح ابن فارس يثبت وجودها بالرواية والنقل وذهب ابن سيده إلى إثباتها بالجدل والمنطق والعقلي . ولهذا عبر ابن الأنباري عن المنكرين الذين عرض لموقفهم بـ (أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب) ، ولكن ابن فارس وابن سيده لم ينعتا المنكرين بذلك .

فابن الأنباري يرى أن الاعتلال لنشوء الأضداد على هذا النحو الذي فصله في مقدمة كتابه ، هو مما يجب أن يُعنى به المتصدي للتأليف في الأضداد وبدونه يكون العمل ناقصًا ، إذ لا تقوم الحجة على المنكرين الذين أزروا بالعرب لاستعمالهم ما يورث التعمية وعدم الإبانة لولا بيان هذه الأمور التي توضح أن الأضداد موجودة ولكنها لا تسبب ما زعموه من التعمية والغموض ، ولهذا فهو ينعى على الذين ألفوا في الأضداد أنهم لم يعتلوا لها فيقول : «وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، كل واحد منهم أتى من الحروف

---

(1) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣ .

بجزء ، وأسقط منها جزءً ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها ، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه ؛ إذ اشتمل على جميع ما فيها ؛ ولم يُعْدَمْ منه زيادةُ الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد»[1] . فالاعتلال لها لا يمنع القول بها وجمع موادها وإحصائها ، بل كان ابن الأنباري أكثر موضوعية من هذا فقد ناقش في متن كتابه كثيراً من الأضداد التي ذكرها راداً بعضها وشاكًا في البعض الآخر وناصًا على عدم ضدية القسم الثالث ، ومع ذلك فابن الأنباري قد أهمل النظر في أضداد كثيرة حفل بها كتابه وتخلى عن تطبيق شروطه في مواضع كان يجب عليه الأخذ بهذه الشروط - وسوف نعرض لذلك حين الحديث عن منهجه في كتابه - فكأنه خاف أن يقال له : لماذا إذن وضعت كتابك وأكثر مادته ليست من الأضداد ، وبالرغم من ذلك فإننا نكتفي بأن نعرف أن صورة الأضداد في ذهنه كانت واضحة وإن لم تتحقق كل التحقق في كتابه .

ثالثا : الأضداد عند ابن الأنباري المفهوم والمصطلح ودواعي النشأة :

(١) الأضداد المفهوم والمصطلح :

الأضداد مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف إلى معنيين متضادين وهي - لغة - جمع ضد وهو النقيض والمقابل ، وعليه فليست الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني دون أن يتحد اللفظ كالليل والنهار والطول والقصر والنور والظلمة ، والتي اعتمدت لها بعض كتب الأدب

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٣ .

القديمة فصولاً من هذا النوع[١] . ولقد ذكر صاحب لسان العرب أن الضد هو كل شيء ضادّ شيئًا ليغلبه ، وجاء التعريف نفسه في تاج العروس للزبيدي وأضاف : السواد ضد البياض ، والموت ضد الحية ، قاله الليث والضد والضديد : الضد والشبيه والقرين ، ويقال لقي القوم أضدادهم وأندادهم أي أقرانهم . وعن الأخفش : الند : الضد والشبه ، ومنه : ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾[٢] اى أضدادًا وأشباحًا . والضد : ضد ، كما قال أبو عمرو ، قال تعالى : ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[٣] أي تكون الأصنام أعوانًا على عابديها يوم القيامة ، وسمع أبو تراب من زائدة : صده وضده صرفه منعه ومنعه برفق . وفي الصحاح : الضد بالفتح الملء : ضد»[٤] . وجاء في المصباح المنير : الضد هو النظير والكفء . والجمع أضداد . والضد خلافه . و (ضادّه مضادةً) إذ باينه مخالفة ، و(المتضادان) اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار[٥] . وأشار الشرنوبي في أقرب الموارد إلى ما دعاه «لغات الأضداد» : اللغات الدالة على معنيين متضادين كالضد للمثل والمخالف[٦] . ولقد عرَّف ابن الأنباري الأضداد من خلال حديثه عن كتابه بقوله : «هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديًا عن معنيين مختلفين»[٧] .

---

(١) الهمذاني : الألفاظ الكتابية ، تحقيق لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩١٣ م ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٩ .

(٣) سورة مريم : الآية ٨٢ .

(٤) الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٠ م الجزء الثامن ص ٣١٠ .

(٥) الفيومي (احمد محمد بن علي الفيومي المقرّى) : المصباح المنير ، المكتبة العصرية ، صيدا ، الطبعة الثانية ١٩٩٧ م ، ص ١٨٦ .

(٦) سعيد الخوري الشرنوبي : اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، مطبعة مرسلي اليسوعية . بيروت ١٨٨٩ م ، ص ٦٧٩ .

(٧) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١ .

ونظرًا لأن مؤلفي الأضداد الذين سبقوا ابن الأنباري تزيَّدوا في جمع مادة الأضداد في كتبهم وإحصائها بدافع الاستلطاف والغرابة من جهة كما هو عند قطرب ، وبدافع خدمة القرآن الكريم والحرص على مؤدَّى ألفاظه من جهة أخرى كما هو عند أبي حاتم السجستاني ، مما أدى إلى دخول شيء كثير مما هو بعيد عن الضدية وضعيف الصلة بها ، مما جعل ابن الأنباري يضع نصب عينيه تنقية تلك المادة ونقد كثير من مزاعم سابقيه في تضاد ألفاظها ، فوضع شروطًا معينة يجب أن تتوفر في اللفظة لكي يصح عدّها من الأضداد مما يعطي صورة عن الفهم الجديد للأضداد الذي لم يتوفر عند أكثر سابقيه ، فيقول : «وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في إحصائها كتبًا نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء وأسقط منها جزءً ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال ، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ؛ ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب المؤلفة في مثل معناه ؛ إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يُعْدَم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد»(1) . فهو ينظر بعين ناقدة لمصنفات سابقيه في الأضداد بل كل منهم جاء بجزء وأغفل الجزء الآخر ، كما أنهم لم يحصوا ما جمعوه وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لهذه الألفاظ ولم يستوف الاحتجاج والشواهد التي تدعم ما ذكروه من ألفاظ الأضداد في مصنفاتهم ، بينما ابن الأنباري في مصنفه وعلى حد قوله فقد تلافى كل هذه الهنَّات التي وقع فيها سابقوه من واضعي المصنفات في الأضداد فلقد جمع موادها وأحصاها وكان أكثر موضوعية من سابقيه ، فقد ناقش في متن كتابه كثيرًا من الأضداد التي ذكرها رادًا بعضها وشاكًا في البعض الآخر وناصًا على عدم ضدية القسم الثالث . ومن بين الشروط التي وضعها ابن الأنباري للتعرف

(1) نفس المصدر السابق : ص ١٣ .

على ضدية اللفظ قوله : «ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادة ، فلا يعرف المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله ، كقولك : حمل لولد الضأن من الشاة، وحمل اسم رجل ، ولا يعرف أحد المعنيين إلا بما وصفنا»[1] . ويفسر ابن الأنباري ما ذكره من قبل بقوله : «إن كلام العرب يصحح بعضه بعضًا ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد»[2] ، ثم يضرب لذلك الأمثلة ويسوق الشواهد الشعرية والقرآنية ويعلق عليها ويبين أن سياق اللفظة هو الذي يحدد المعنى ويفرده عما سواه ويخصصه للسامع . وهو بهذا يعتبر أول من فسَّر التضاد بالسياق، فانفتح لكثير من الباحثين المحدثين الغربيين والعرب هذا الباب ، فراحوا يفسرون المشترك بالسياق أيضًا ، وأيدوا هذه الفكرة بالأضداد .

فلقد رأى ابن الأنباري أن الأضداد «هذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب»[3] ، معتبرًا هذا الضرب من الألفاظ هو أحد الأضرب الثلاثة لألفاظ العربية ، إذ أن «أكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين : أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين ، كقولك : الرجل والمرأة والجمل والناقة ، واليوم والليلة . . . والضرب الآخر أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد كقولك : البُر والحُنطة ، والعير والحمار ، والذئب

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣ - ٤ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٢ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٦ .

والسيّد»[١] . وهو بهذا التقسيم ينحو منحى سيبويه ويفيد منه ، لأن سيبويه في كتابه (الكتاب) هو أول من قسم لغة العرب أقسامها الثلاثة[٢] ، التي أخذها عنه من جاء بعده من المعنيين باللغة والأضداد والمشترك خاصة وصدروا بها كتبهم ومصنفاتهم ، وابن الأنباري واحد منهم .

ووفقًا للشروط التي وضعها ابن الأنباري للأضداد أخذ يمحص ما جاء عن سابقيه فأخرج من الأضداد ما كان تضاده بين (فَعَل وأفْعَلَ)[٣] . واستبعد أيضًا ما كان تضاده بين (فَعْل وفعّل)[٤] ، واستبعد كذلك ما كان تضاده بين (فَعْل وفَعِل ومَفْعول وفَعِيل)[٥] . وأخرج ما كان تضاده بين (فاعِل ومفْعول)[٦] . وأخرج ما كان تضاده بين (الاسم والفعل)[٧] هذه شروط ابن الأنباري من ناحية اللفظ أو الشكل ، وذلك بأن يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين وكل منهما على وزن واحد وصيغة متشابهة ، وإلا فلا يجوز الحكم على ما شذّ عن ذلك بالتضاد . أما من ناحية المعاني أو المضامين فقد أرجع ابن الأنباري معنيي بعض الأضداد إلى أصل واحد[٨] ، ومن ذلك لفظ (الطَّرب) : للفرح والحزن . يقول ابن أبي السرور : «ومنه قولهم : حصل لفلان الطرب، يخصونه (بحركة) الفرح ، وهو يطلق على (حركة) الحزن أيضًا»[٩] ، فهو إذن

(١) نفس المصدر السابق : ص ٦ - ٧ .

(٢) انظر : المبرد : ما اتفق لفظه واختلف معناه ، ص ٢ - ٣ . ابن فارس : الصاحبي ، ص ٩٦ . السيوطي المزهر ١/٣٨٨ . قطرب : الأضداد ، ص ٢٤٤ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٧١ (خَذَمت واخذَمت) .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٠٠ (بدن وبدّن) .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ٤٠٦ (نَجْد ونَجِد ومَنْجُود ونَجِيد) .

(٦) نفس المصدر السابق : ص ٣٩٤ (الطاحي) .

(٧) نفس المصدر السابق : ص ٣٧٣ (جَمَرت المرأة) .

(٨) نفس المصدر السابق : ص ١٠٢ (طَرَبَ) .

(٩) ابن أبي سرور : القول المقتضب ، تحقيق إبراهيم سالم ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ١٦ .

مطلق الحركة ، ولذا قال ابن الأنباري في تعليقه على هذه المادة : «لأن الطرب ليسهو الفرح ولا الحزن ، وإنما هو خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه ، فيقال قد طرب إذا استخف»[1] . وهذه الخفة التي تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه ، فيقال قد طرب إذا استخف»[2] . وهذه الخفة التي تلحق الإنسان هي الحركة ، وهي الدلالة العامة ، قبل أن تتخصص في الفرح أو الحزن ، فتكاد تكون دلالتها على الحزن منقرضة . ومما سبق يتضح لنا أن صورة الأضداد منقرضة في ذهنه كانت واضحة ، وإن لم تتحقق كل التحقق في كتابه وذلك لأن ابن الأنباري قد أهمل النظر في أضداد كثيرة حفل بها كتابه وتخلى عن تطبيق شروطه في مواضع كان يجب عليه الأخذ بهذه الشروط . ولذلك فنحن نتساءل : إذا كان ابن الأنباري قد وضع الضوابط والشروط للتضاد فلماذا جاء كتابه لا يخلو من الاصطناع والتكلف والبعد في التفسير ؟! ، فلقد حفل كتابه بطائفة كبيرة من الألفاظ التي ألصقت بالأضداد ، ولا تتوفر فيها فكرة التضاد بوجه من الوجوه ، مما يدل «على أن الذين تصدوا لجمع الأضداد اندفعوا في هذا السبيل اندفاعًا عجيبًا ، فصاروا يتلمسون هذه المادة في ضروب من التأويل والتفسير ، والنظر الصحيح لا يمكن أن يُثبت ذلك»[3] . فأي تضاد حقيقي مثلاً في (إذْ وإذا) الأولى للماضي والثانية للمستقبل[4] . و(إنْ) للنفي والشرط[5] . و(حايْ حايْ) لزجر الغنم ودعوتها[6] . و(لا)

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٠٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) د. إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي، دار الرائد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٠٠ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١١٨ .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ١٨٩ .

(٦) نفس المصدر السابق : ص ٤٠٢ .

للجحد والإثبات[1] . و(ما) اسمًا وحرفًا[2] . و(هل) للاستفهام وبمعنى قد[3] . وغير ذلك مما يُتَوَصَّل إليه بالتكلف الشديد والإلصاق المتعمد الضعيف . ثم ما وجه الخلاف في الدلالة اللغوية ، واللغة سماع ونقل ، يقول ابن الأنباري في مادة (الناهل) : «ويقال : رجلٌ مُنْهِلٌ إذا كانت إبله عطاشًا ، كما يقال : رَجلٌ مُنْعِطشٌ . . ورجلٌ مُنْهِلٌ على القياس إذا كانت إبله رواء»[4] . والظاهر أنه بهذا متأثر بالنظرة البصرية للغة ، وقد عرفنا أنه نقل عن سابقيه سواء من البصريين أو من الكوفيين كثيرًا من الآراء ووجهات النظر في الكتاب . ونحن نعلم أن القياس خصيصه من خصائص مدرسة البصرة ، ومع ذلك فلا يُقْبَل من البصريين أنفسهم أن يقيسوا في دلالة الألفاظ وفي مباحث الأضداد ، فضلاً عن أن ابن الأنباري كوفي لا يأخذ بالقياس ويؤمن بالنقل والرواية في اللغة ويدرسها واصفًا مستقريًا لا متكلفًا مفتعلاً .

ويبدو أن الرغبة والاندفاع عند ابن الأنباري شانه في ذلك شأن الذين تصدوا لجمع الأضداد جعلتهم يتسابقون في هذا السبيل باندفاع عجيب ، فصاروا يتلمسونها في ضروب التأويل والتفسير فأدخلوا فيها أشياء كثيرة لم تكن تشتمل على طبيعة الأضداد . وبالرغم من ذلك يظل كتاب (الأضداد) لابن الأنباري من أجلّ ما أُلّف في هذا الموضوع ، ويُعد من أكمل المحاولات الجادة لدراسة هذه الظاهرة ، بما اشتمل عليه من استيعاب واستقراء ودقة في أكثر الأحيان . وكان وما يزال المصدر الرئيسي الذي يُرجع إليه في هذا الباب من اللغة ، فقد نقل القدماء عنه كثيرًا واستشهدوا بآراء المؤلف فيه في كل

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢١١ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ١٩٥ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ١٩١ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ١١٧ .

مصنفاتهم ومعجماتهم اللغوية ، بدءً من تلاميذ ابن الأنباري نفسه وانتهاءً بالبغدادي صاحب خزانة الأدب[1] ، كما رجع إليه الباحثون المحدثون في دراساتهم القيمة عن الأضداد وعدّوه أنضج الدراسات القديمة في هذا الموضوع وأشهرها جميعًا .

(ب) دواعي نشأة الأضداد عند ابن الانباري :

لو كان لنا أن ننطلق في دراسة الأضداد والوقوف على حقيقتها في اللغة في ضوء المفهوم النظري لمصطلح الأضداد الذي أشار إليه ابن الأنباري في كتابه ، لو أخذنا بهذا التحديد الدقيق وحاولنا تطبيقه على مجموع الأضداد تطبيقًا بعيدًا عن الغلو لتضاءل عدد هذه الألفاظ حتى لا يبقى منها إلا الشيء القليل الذي يعبر عن آثار المراحل التاريخية التي مرت بها اللغة . فنحن نعتقد أن التضاد ليس أصيلاً في الوضع ، وإنما دعت إلى وجوده في اللغة دواع مختلفة سنعرض لها في هذا المبحث ، وذلك لأن فكرته تقوم على ما ينافي الفطرة ويخالف الطبيعة اللتين يفترض أن اللغة صدرت عنهما فكانت صدى لهما ، لأن اللغة قائمة على الوفاء بحاجة الناطق إلى الكلام ، والتفاهم بواسطتها مع الآخرين ، فلا يعقل بعد هذا أن يكون التفاهم مضطربًا مشوشًا بسبب وجود الأضداد التي ينصرف كل منها إلى معنيين متضادين لا يعرف السامع أيهما عنى المتكلم وقصد إليه ، وهذا ما ذهب إليه الشعوبيون ، حيث يقول ابن الأنباري : «ويظن أهل البدع والزَّيغ والإزراء بالعرب ، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالْتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه ، ومُوضِحٌ تأويله ، فإذا اعتور اللفظة الواحدة

---

(١) البغدادي : خزانة الأدب ، مطبعة بولاق ، القاهرة د. ت ، ص ٣/٣٥٦ ، ٤/٧٦ .

معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى»[1] . وهذا بعيد عن واقع الحال ، إذ المفروض في الضد لكي يصح وصفه بصفة التضاد أن يكون ضداً مستعملاً في الزمان الواحد والبيئة اللغوية الواحدة وإلا فلا غرابة أن يحصل التضاد لو انعدم هذان الشرطان بأن تمرّ اللفظة ذات المعنى الواحد بظروف معينة إلى أن تصبح من ألفاظ التضاد ، أو أن تكون هذه اللفظة عند أهل بيئة لغوية تعني معنى وعند البيئة الأخرى تعني معنى مضاداً وهو ما ندعوه باختلاف اللهجات ، فوحدة الزمان والبيئة إذا تحققت وكانت اللفظة منصرفة إلى المتضادين جاز أن تعد بحق من الأضداد ، مع ملاحظة جملة ظروف ودواع متعددة تعتبر هي الأخرى من عوامل وجود الأضداد . ولقد فطن إليها ابن الأنباري وأشار إليها وإلى دورها في نشأة الأضداد ، وسوف نفصّل حديثه عنها في هذا المبحث فيما يلي :

* **رأي ابن الأنباري في دور اللهجات في نشأة الأضداد :**

إن اللغة تتشعب بفعل عوامل معينة إلى لهجات قد تكثر حتى تصل إلى العشرات ، إلا أن علماءنا القدامى كانوا يصطلحون على اللهجة باللغة أو اللحن ، كقولهم مثلاً : «الشَّعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأضداد وإنما هي لغة قوم»[2] أي لهجة قوم ، وكقولهم : «العَرِم : المُسنّاة بلحن اليمن»[3] . أي بلهجة اليمن . ولكنهم اصطلحوا على اللغة باللسان يدل على هذا مجيء اللفظة ثماني مرات في القرآن الكريم منصرفة إلى معنى اللغة[4] .

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ١ - ٢ .

(٢) السيوطي : المزهر ، ص ١/٣٩٦ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٤٠ .

(٤) د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ١٧ .

واللهجة من حيث هي سلوك لغوي لا تختلف عن اللغة الأم ، لأنها في الاصطلاح العلمي الحديث مجموعة من صفات لغوية تخص بيئة واحدة ، ويشترك جميع أفراد هذه البيئة بتلك الصفات . وتختلف البيئات اللغوية الواحدة عن الأخرى بصفات لهجاتها وظواهرها اللغوية الخاصة ، إلا أنه تنتمي جميعًا إلى لغة عامة مشتركة تنتظم جميع هذه الظواهر فتيسر اتصال أفراد البيئات فيما بينهم ، وفهم ما يدور من كلام فهمًا يتفاوت مقداره حسب قوة الرابطة التي تربط بين اللهجتين[1] . والظاهر أن الانعزال كان أهم العوامل في نشوء اللهجات العربية القديمة قبل الإسلام ، إذ كانت طبيعة الجزيرة العربية الصحراوية تفرض على الجماعات أن تنعزل في أماكن يتوافر فيها الماء والكلأ ، وهي مواضع متباعدة منتشرة في أطراف الصحراء ، تعسَّر الاتصال المستمر بين هذه الجماعات ، فلا تلبث لغاتهم أن تستقل بمرور الزمن على شكل لهجات ، تتميز بصفات خاصة يفرضها هذا الانعزال اللغوي .

فاللهجات العربية استقلت بعض الشيء بخصائص لغوية متميزة ، إلا أنها تنضوي جميعًا تحت خصائص عامة في اللغة الأم ، لأنه حين تمسكت القبائل بلهجاتها الخاصة في الحديث العادي وفي التخاطب وفي المعاملات ، كانت تلجأ في أحايين كثيرة إلى تلك اللغة الأم التي نشأت في مكة ، إذا أرادت أن تنظم أو تخطب ، لأنهم يرون أن التمسك بلهجاتهم غير مستساغ في مثل هذا المجال، فهم يدخرون التكلم بلهجاتهم لبيئاتهم بعد عودتهم إليها[2] . ومع ذلك فلا يمكننا أن ندعي أن جميع خصائص لهجاتهم اللغوية كانت متروية انزواءً تامًا في أشعارهم وخطبهم ، بل على العكس فقد كشفت لنا هذه النصوص بعد تدوينها عن كثير من تكلم الخصائص بشكل واضح ، خصوصًا بعد أن مالت

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ١٦ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٤٦ .

هذه اللهجات للتوحد بعد الإسلام ، وما ترتب على ذلك من اقترابها من النص القرآني المقدّس .

وما هذه الإشارات الواردة في ثنايا كتب اللغة حول استعمالات القبائل ومفرداتها واختلافاتها في الدلالة ، إلا من بقايا تلك الحقبة من تاريخ اللغة حين لم تتوحد بعد تحت ظل الإسلام ، فالمتصفح لكتب اللغة يعثر على كثير من الألفاظ معناه في القبيلة الفلانية كذا وهو خلاف الشائع ، أو معناه عند تلك القبيلة هكذا وهو الأشهر ، وأشباه ذلك من الإشارات(١) .

والأضداد من تلك الظواهر التي خلفها لنا اختلاف اللهجات التي أشرنا إليه ، وذلك بأن تكون اللفظة بمعنى في لهجة عربية وبمعنى مضاد في لهجة أخرى ، واجتمع المعنيان في اللفظة بعد توحد اللغة وتدوين مفرداتها ومعانيها في معجمات الألفاظ الأولى ، وإذا كان الأمر كذلك فليست هذه الألفاظ من الأضداد لأن شرط الأضداد أن يكون استعمالها في المعنيين المتضادين في لهجة واحدة من حيث يستعمل أفراد هذه اللهجة الأضداد في كلامهم فيحصل اللبس في فهم المعنى فيما بينهم وتكون الغرابة بعدئذ من وجود هذه الألفاظ التي تورث الاضطراب والفوضى في دلالة الألفاظ ، أما إذا كان التميميون جميعًا يستعملون (السُّدْفَة) بمعنى الظلمة فلا يمكن أن تسمى هذه اللفظة من الأضداد بحجة القيسيين يستعملونها بمعنى الضوء ، لأن لغة هؤلاء غير لغة أولئك ، وكل قبيلة منها قد تعارفت فيما بينها على معنى واحد تنصرف إليه اللفظة في الاستعمال فلا يحصل في كلامها لبس ولا غموض ، لأن اللفظة عندها ليست من الأضداد ، وبديهي أن تكون اللفظة عندها ليست من الأضداد ، في

(١) انظر : ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٤٠ . ابن فارس : الصاحبي ، ص ١٥ . ابن جني : الخصائص ، ١/ ٣٩٥ .

معجمات اللغويين بعد أن يجتمع هذا المعنى بذلك وتدوَّن اللفظة على أنها منصرفة إلى المعنيين ، ولكن ذلك في المعجم فقط لا في لغة التخاطب ، لأن العرب بعد أن توحدت لغتهم ونشأ منهم جيل يتكلم هذه اللغة الموحدة وقفوا من هذه الألفاظ موقفين تلقائيين : الأول أنهم أماتوا قسمًا كبيرًا منها فزالت من الاستعمال وذلك لعدم حاجتهم إلى معانيها ، والثاني أنهم استعملوا القسم الآخر منها بأشهر المعنيين المتضادين وخصصوه في الاستعمال . أضف إلى ذلك أن الجيل الجديد علم أن اللفظ انصرفت انصرافًا مضادًا بفعل توحد اللغة ، فلم يكثر استعمالها ، وقل ورودها في نصوصه الأدبية بشكل واضح . ويبين ابن الأنباري هذه الفكرة في مقدمة كتابه فقال : «إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجَوْن الأبيض في لغة حي من العرب ، والجَوْن الأسود في لغة حي آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر»[1] ، وينقل ابن الأنباري لتأييد ذلك آراء ثعلب والفراء والكسائي في اللغات التي اعتورت (حَسِب يحسِب) و (فَضِل يَفْضَل) و (مِتّ وأمُوت) وغيرها ، وكيف تداخلت هذه اللغات فيما بينها فكان لكل ماض منها صورتان ولكل مضارع منها صورتان أيضًا .

ولقد أرجع ابن الأنباري إلى اختلاف لهجات القبائل كثيرًا من الاختلاف في مدلول اللفظ مثل قوله في (المعْصِر) وقد نقله عن قطرب : «فهو في لغة قيس وأسد : التي دنت من الحيض ، وهو في لغة الأزد : التي ولَدَت أو تَعَنَّسَت»[2] ، وقوله في (وَثَب) يقال : وثب الرجل إذا نهض وطفر من موضع

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) نفس المصدر السابق : ٢١٦ .

إلى موضع ، وحمير تقول : وثب الرجل إذا قَعَد»[1] ، وقوله في (السُّدْفَة) : «بنو تميم يذهبون إلى أنها الظلمة ، وقيس يذهبون إلى أنها الضوء»[2] . وقوله في (الحائب) : المتندِّم والقاتل ، والأخير في لغة بني أسد[3] . وكذلك (عيّن): للخلف والجديد ، والأخير في لغة طيء[4] . و(المقوَرّ) : للمهزول والسمين ، والأخير في لغة الهلاليين[5] . و(القَلْت) النقرة الكبيرة عند أهل الحجاز والنقرة الصغيرة عند تميم وقيس وأسد[6] . و(العَريض) : الصغير والجذع من ولد الشاة ، والثاني لبني تميم[7] . و(لم أرْجُ) : لعدم الرجاء وعدم المبالاة ، والخير بلغات كنانة وخزاعة ونضر وهذيل[8] .

*** رأي ابن الأنباري في ظاهرة التداخل على جهة الاتساع ودورها في نشأة الأضداد :**

إن اللفظة العربية تحيا حياة متجددة متغيرة ، شأنها شأن اللفظة في جميع اللغات الإنسانية الحَيَّة ذلك أن اللغة باعتبارها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لابد لها من أن تخضع لما يطرأ على المجتمع من تغير في عقليته وثقافته ووسائل إنتاجه المختلفة ، سالكه في ذلك سبلاً عديدة اختلف الدارسون في تحديدها وفي مدى قبولهم لنتائجها . وسُنَّة التغير شملت دلالة مجموعة من الألفاظ متجهة بها في اتجاهين متقابلين ، فخلقت منها أضدادًا تنصرف الواحدة منها إلى

(١) نفس المصدر السابق : ٩١ - ٩٢ .
(٢) نفس المصدر السابق : ١١٤ .
(٣) نفس المصدر السابق : ١٧٠ .
(٤) نفس المصدر السابق : ٢٩٣ .
(٥) نفس المصدر السابق : ٢٩٤ .
(٦) نفس المصدر السابق : ٤٢٠ .
(٧) نفس المصدر السابق : ٣١٩ .
(٨) نفس المصدر السابق : ١٨ .

المعنى وضده في الظاهر ، فتكون اللفظة من هذه الطائفة ذات دلالة قديمة عامة تشمل المعنيين المتضادين ، بحيث يصح أن يكون كل منهما دلالة تلك اللفظة ومعناها القديم ، وهذا الذي سماه ابن الأنباري بالتداخل على جهة الاتساع[1]. إلا أن علماء الأصول كانوا يصطلحون أحيانًا على مثل هذه الألفاظ (بالمشترك المعنوي) مفرقين بينها وبين ألفاظ المشترك اللفظي التي صرحوا باستحالة العمل بمقتضاها لعدم العلم بها[2] . وعلى هذا فالأضداد التي تندرج تحت هذا العنوان، والتي يمكن أن يستشعر فيها التغير الدلالي بسهولة ، على طائفتين : الأولى هي الألفاظ التي كان لها مدلول عام تغير على جهة التخصص إلى مدلولين متضادين . والثانية هي الألفاظ التي تغيرت مدلولاتها وانتقلت إلى آخر لعلاقة مكانية أو سببية بين مدلولين فكانت من الأضداد .

● ومن أمثلة الطائفة الأولى والتي وردت عند ابن الأنباري : «القُرْء حرف من الأضداد . يقال : القُرْءُ الطهر ، وهو مذهب أهل الحجاز ، والقُرْءُ للحيض، وهو مذهب أهل العراق. ويقال في جمعه: أقراء وقروء»[3]. والظاهر أن المدلول للفظة هو (الوقت) كما صرح بذلك أبو عمرو بن العلاء فقال : «إنما القرء الوقت فقد يجوز أن يكون وقتًا للطهر ووقتًا للحيض ، وأقرأت الرياح هبّت لوقتها ، والقارئ الوقت ، وقال مالك بن الحارث الهذلي :

كرهتُ العقْرَ عقْرَ بَنِ شَلَيلٍ   إذا هبَّت لقارئها الرِّياحُ

وأنشد أبو عمرو هذا البيت ، أي هبَّت الرياح لوقتها في الشتاء»[4] ويبدو

(١) نفس المصدر السابق : ص ٨ .

(٢) الأصول للخضري ، ص ١٧٦ عن مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢/٢٤٣ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٧ .

(٤) الأصمعي : الأضداد ، ص ٥ . ابن السكيت : الأضداد ، ص ١٦٤ . ابن الأنباري : ص ٢٧ - ٢٨ .

من كلام أبي عمرو أنه لا يرى اعتبار اللفظة من الأضداد ، وذلك لتأكيده معنى الوقت فيها ، بحيث أدى شمول هذا المدلول إلى أن يصدق على طهر المرأة وحيضها ، لأن كليهما وقت معتاد تعرفه هي . فتخصص عند فقهاء العراق بمعنى الحيض وعند فقهاء الحجاز بمعنى الطهر ، وغاب هذا المعنى العام عنهم جميعًا ، فبنوا أحكامهم المختلفة تبعًا لاختلاف الدلالتين الخاصتين كما هو مفصّل في كتبهم ، وتبعهم في ذلك الأضداديون ، ولقد سار ابن الأنباري سيرتهم في أنه لا يعتبر هذه اللفظة من الأضداد لعلتين الأولى أنها جاءت من قبيل التداخل على جهة الاتساع ، والثانية أن كل دلالة خاصة بأهل الحجاز والأخرى لأهل العراق .

وأشار ابن الأنباري في إطار حديثه عن هذه الظاهرة إلى (الصّريم) لليل والنهار ، يقول «فمن ذلك : الصريّم ، يقال لليل صريم ، وللنهار صريم ، لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع»[1] . فعلى هذا تكون الدلالة قد تخصصت بالليل مرة والنهار مرة والنهار أخرى ، لأن كلا منهم ينقطع عن صاحبه ، فيصح على كلا المنقطعين أن يقال (صَريم) وبهذا الشكل من النظر نستطيع معرفة منشأ التضاد في هذه اللفظة ، وهو منشأ ولّده تغير الدلالة عن طريق التخصص.

وتحدّث ابن الأنباري أيضًا عن (السُّدْفَة) : للضوء والظلمة فقال إنها : «حرف من الأضداد. يذهبون إلى أنها الضوء»[2] ، فالمعنيان من جهة لغتان لقبيلتين ، ومن جهة أخرى يرجعان إلى معنى عام هو اختلاط الضوء والظلمة، ثم تحدد معناها وتخصص عند القبيلتين ، لأن المدلول الأول كان يشمل المعنيين

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٨ ، وكذلك ص ٨٤ . وانظر كذلك : الثعالبي : فقه اللغة ص ٤٦٨ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١١٤ .

المتضادين . ثم بفعل تغير الدلالة عن طريق انتقال مجالها صارت السُّدفة تعني الباب أو الستِرة التي على الباب ، وذلك لأنهما يمنعان شدة الضوء ويشفان عنه، فيكون من الداخل حال بين الضوء والظلمة[1] ثم أُستُعْمِلَ منه الفعل (أسْدِفْ) أي تَنَحّ عن الضوء ، تقال للواقف على الباب يسدّ النور الداخل منها إلى البيت المظلم ، تقال له لكي يدخل ضوء فتكون سُدْفَة . ومما يؤكد أن المدلول الأول كان يعني اختلاط الضوء بالظلمة أنهم كانوا يطلقون السدفة على الفجر لاختلاط بقايا ظلام الليل بأول ضوء الصبح كما نقل ذلك ابن الأنباري، «قال الشاعر:

قد أسدف الليل وصاح الخِنْزابْ

والخِنْزاب هو الديك ، وهو يصيح في الفجر حين يسدف الليل ويختلط ظلامه بضوء النهار[2] ، وقال ابن مقبل :

وليلةٍ قد جعلتُ الصُّبْحَ مَوْعِدَها بِصُدرةِ العَنْس حتى تَعْرِفَ السُّدَفا[3]

وقال ابن الأنباري في تفسيره للبيت السابق : «العنس : الناقة . ومعنى البيت أني كلفت هذه الناقة السير إلى أن يبدو الضوء وتره»[4] . وهو أمر لا يتحقق إلا فجرًا . وهكذا نجد أن معنيي الظلمة والضوء ما هما إلا نصفا المعنى الشامل ، بافتراقهما يكون التضاد الذي وجدناه في (السدفة)[5] .

(١) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٢) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٣) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٤) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٥) وفي إطار ظاهرة التداخل على جهة الاتساع مما ينتمي إلى الألفاظ التي تغيرت دلالتها وانتقلت لمجال آخر لعلاقة مكانية أو سببية بين المدلولين ، انظر نفس المصدر السابق : (الجَوْن) : للأبيض والأسود ، ص ١١١ . و(الصَّرِخ) : المغيث والمستغيث ، ص ٨٠ . و(الجَلَل) : للعظيم والحقير ، ص ٨٩ .

• ومن أضداد الطائفة الثانية التي قلنا إنها طرأ عليها تغير فتغير مجال دلالتها، وانتقلت إلى ما يوحي بأن المعنى الجديد ضد المعنى الأول ، ومن أمثلتها :

(الظَّعينة) : للهودج وللمرأة[1] وكان إطلاق الظعينة أصلاً على الهودج ثم انتقلت الدلالة إلى المرأة التي في الهودج للعلاقة المكانية بين الاثنين ، ثم على كل مرأة وإن كانت في بيتها لتشابه جنس المرأتين . وقد أشار إلى هذا غير واحد من القدماء ، كابن الأنباري الذي قال «الظَّعينَة ؛ المرأة في الهودج ، وقد يقال للمرأة وهي في بيتها ظعينة ، والأصل ذاك»[2] يعني الهودج ، ووضحه ابن دريد بقوله : «ولا تسمى المرأة ظعينة حتى تكون في هودج ، ثم كثر ذلك في كلامهم حتى لزم المرأة اسم الظعينة»[3] .

(الكأس) للإناء وللشراب الذي فيه[4] . والأصل في المعنى (الزجاجة المملوءة) ثم انتقل في الاستعمال إلى السائل الذي فيها ، وهذا التغير واضح الترابط والعلاقة ، يقول الفراء : «الكأس الإناء بما فيه ، فإذا شُرِب الذي فيه لم يُقل له كأس ، بل يُرد إلى اسمه الذي هو اسمه من الآنية»[5] . ويقول الثعالبي : «لا يُقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة»[6] .

= و(الوَراء) : للخلف والقدّام ، ص ٦٨ . و(الطرب) : للفرح والحزن ، ص ١٠٢ . و(دُرْع) : لليالي السود الصدور البيض الأعجاز من آخر الشهر ولليالي البيض الصدور السود الأعجاز من أول الشهر ، وللغنم السود البيض المقادم السود المآخر وللغنم السود المقادم البيض المآخر ، ص ٢٦٥ . الذَّفر : للرائحة الطيبة والرائحة المتننة ، ص ٨٨ .

(١) نفس المصدر السابق : ص ١٦٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٣) ابن دريد : الاشتقاق ، ص ١١٧ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٦٢ .

(٥) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة.

(٦) الثعالبي : فقه اللغة ، ص ٥٠ .

ولهـذا عبّر ابن الأنبـاري في صدر كلامـه على هذه المـادة بأنها (مـن الحروف المشـبهة لـلأضداد) فكـأنه حين عـرف منشأ هـذا التجـوّز في تسـمية الـشراب بـ(الكأس) شك بضدية اللفظة .

(الرَّهْو) : للارتفـاع والانخفاض[1] . وفي الحـقيقة أن كـلا من المعنـيين مرتبط بالآخـر ارتباطًا سببًا ومكانيًا ، ذلك أنـهم استشهدوا على كل مـنهما بما يدل علـى أن الأمرين حاصـلان معًا ، فقرب كل انـخفاض ارتفـاع وقرب كل ارتفاع انخفاض ، فكل واحد من المعنيين وُلِد في الاستعمال عن الآخر ومنتقل إليه ، ومما يؤكد ذلك استعمال الرهو بمعـنى الفجوة بين مكانين ، وقد نقل عن الأصـمعـي أنه قـال : «مَرَّ فالـجٌ بأعـرابي فـقال : سـبحـان الله ، رَهوٌ بـين سنامين»[2] . فلا تكون هـناك فجوة بين مكانـين ما لم يكن هناك ارتـفاع على جانبيهـا ، فانتقال مجال الدلالة واضـح في هذه المسألة ، ولعل معـنى الفجوة متطـور أيضًا عن معنى (الـفضاء) فقد ذكـر ابن دريد : «الرّهاء : الفـضاء من الأرض»[3] . فمـن معنـى الفـضاء انتـقل إلى مـعنى الـفجـوة بين مكـانين أو ارتفاعين، ومن مشاهدة الانحدار من أحد الارتفاعين الذي يستتبعه الصعود في الارتفاع المقابل ، صارت اللفظة تعني الانحدار على حدة والارتفاع على حدة. وبمثل هذا التفسير ينبغي أن تفسّر (الـتلعة) لما ارتفع من الوادي ولما انخفـض[4] و (فرّع) إذا صعـد وإذا انحدر[5] ، و(نزلت في الجبـل) علوت وانحدرت[6] ،

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٦٢ .

(٢) أبو العميثل الأعرابي : المأثور ، تحقيق فريتز كرنكو - لندن ١٩٢٥ م ، ص ٢٧ .

(٣) ابن دريد : الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م ، ص ٤٠٥ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢١٨ .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ٣١٥ .

(٦) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(الشرف) للارتفاع والانحدار[1] . فهي جميعًا من هذا القبيل[2] .

*** رأي ابن الأنباري في دور العوامل النفسية في نشأة الأضداد :**

أشار القدماء إلى فكرة الحمل على النقيض في اللغة وعرضوا لأمثلة من ذلك ، ويبدو أن أول أولئك القدماء الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وإن كنا لا نملك له نصًا يؤيد دعوانا ، وإنما استشعرنا ذلك من تعرض تلميذيه الكسائي وسيبويه إلى هذه الفكرة في مباحثهما اللغوية ، ونحن نفترض أنهما أفادا ذلك من الخليل ، وذلك لتأثرهما معًا بهذه الفكرة وصدورهما عنها . فالكسائي علق على تعدية الفعل(رضى) بحرف الجر (على) في بيت القحيف العقلي :

إذا رَضِيَت علـيَّ بنـو قُشَـيرٍ ... لعمـرُ الله أعجبنـي رِضـا

بقوله : «حمله على ضدّه ، وهـو سَخَطت ، لأن العرب قد تحمل الشيء على ضده كما تحمله على نظيره»[3] ، ونقل عن أبي علي الفارسي أنه استحسن قول الكسائي هـذا في تخريـج الاستعمـال ، وقلل السيوطي : «وقد سلك سيبويه هـذه الطريق فـي المصادر كثيراً ، فـقال : قالوا كـذا وأحدهمـا ضد الآخر»[4]. وإن كانت إشـارة الكسائي أكثـر وضوحًا من محاولـة سيبويه تفسير

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢٠٣ .

(٢) وفي إطار هذه الطائفة التي طرا عليها تغير فتغير مجال دلالتها ، انظر أيضًا : (الماثِل) : للقائم المنتصب وللاطـيء بالأرض ، ابن الأنباري ، ص ٢٨٨ . و(الشعب) : لـلجمع والتفريق أو لـلإصلاح والأفساد ، ص ٥٣ . و(الزُبية) لحفيرة يصاد بها الأسد، والحفيرة تحفر في أماكن عالية ، ص ٣٣٨ . و(الخجل) : للمرح والنشاط وللكسل والخمول ، ص ١٥٢ . و(رَكنتُ) و (ظَنَنْتُ) و (حَسِبْتُ) و(خلتُ) و (رَجَوتُ) : التي تستعمل كلها للشك واليقين ، ص ١٤، ٢١، ٢٢، ١٦ .

(٣) الاقتضاب فـي شرح أدب الكتاب للبطليوسي : تحقيق عبد الله البستـاني ، المطبعة الأدبيـة ، بيروت ١٩٠١ م ، ص ٢٤١ .

(٤) السيوطي : الأشباه والنظائر ، مطبعـة دائرة المعـارف العثمـانية ، حيدر اباد الدكن ١٣٥٩ هـ، ص ١/١٩٥.

صيغ المصادر التي لم تجيء على القاعدة بالحمل على صيغ أضدادهما في المعنى.

إن هذا الاستعداد النفسي للحمل على النقيض وإن حدث عفويًا في ذهن الإنسان فإنما يخلقه في اللاشعور اعتبارات اجتماعية ينشأ المتكلم بين ظهرانيها ويترعرع على تشربها وتمثلها حتى تكون فيه بديهة في التفكير وسجية في الأخلاق ، وتتبلور هذه السجايا الاجتماعية فيه فتتخذ شكل الغريزة التي ترافقه في نشاطاته الفكرية ومزاولاته المنطقية[1] ، فإذا أراد مثلاً أن يعبر عن معنى سئ تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة به وفرَّ منها إلى غيرها . وأفضل المعاني التي ينبغي أن يفر إليها هي أضداد المعاني الأُوَل ، فيستعملها تفاؤلاً بالخلاص من ذلك السوء ، فكانت الألفاظ الخاصة بالموت والمرض والمصيبة والكارثة هي من الأضداد بسبب نزعة المتكلم إلى التفاؤل بالخلاص من هذه الأمور وكراهية ذكر الألفاظ الأصلية التي تعبر عن هذه الألفاظ الأصلية التي تعبر عن هذه المعاني تشاؤمًا من هذا الذكر وابتعادًا عنه . وقديمًا تطير العرب من اللون الأسود فَعُبِّرَ عنه بالأبيض في أحايين كثيرة[2] . ومثل ما يقال في نوازع التفاؤل والتشاؤم والتأدّب والتطيّر يقال في التهكم والاستهزاء ، وواضح أنها جميعًا مشاعر مرتبطة الواحدة منها بالأخرى ارتباطًا وثيقًا في نفس الإنسان التي غذّتها الاعتبارات الاجتماعية السائدة بمفاهيمها المختلفة ، حتى إن هذه المشاعر كثيرًا ما تتداخل فيما بينها ويكتنفها اللبس ، فيصعب على الدارس تحديد إحداها في تفسير ضد من الأضداد ، إذ قد يكون تضاد لفظة بسبب عامل التهكم ، لأن الظروف الاجتماعية التي مهدت لهذه اللفظة أن تسلك هذه الطريق متنوعة ومتعددة بحيث يكون من المتعذر أحيانًا تعيين الدافع بدقة .

---

(١) د. محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) د. إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ، الرائد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٠٣ .

ولقد ورد عند ابن الأنـباري في كتابه (الأضداد) الفاظ أشار بـصدد حديثه عنها إلى عوامل الـتفاؤل والتطير والاستهزاء والخوف من الـعين في نشأة الضد لهذه الألفـاظ ، ونستطيع أن نـحصى من هذه المجمـوعة عدداً ينظم فـي ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويشمـل الألفاظ التي يمـكن أن تُفَسَّر بالخوف مـن العين ، ومنها :

- (امرأة بلهـاء) : إذا كانت ناقصة العـقل وإذا كانت كاملـة العقل[1] . فكأنهم خافوا على كاملة العـقل من أن تصاب بالعين فلجأوا إلى درء ذلك بتسميتها بالبلهاء .
- (فَرسْ شَوهاء) : إذا كانت جميلة وإذا كانت قبيحة[2] . قال أبو حاتم السجستـاني : «لا أظنهم قالوا للجـميلة شوهاء إلا مخافة أن تـصيبها عين ، كما قالوا للغراب أعور لحدّة بصره»[3] .
- (الأعور): للذاهبة أحد عينيه وللصحيح العينين حديد البصر بهما[4] .

أما عن القسم الثاني : ويشمل الألفاظ التي تُفَسَّر بالتطير والتشاؤم ومنها:

- (السَّليم) للسليم واللديغ[5] . ونقل لابن الأنباري عن الأصمعي وأبي عبيد أنه : «إنما سُمـي الملـدوغ سليمًا على جهة التفاؤل بالسلامة»[6]،

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٣٣ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٢٨٤ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص ١٣٧ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٦٦ .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ١٠٥ .

(٦) نفـس المصدر الـسابق : ص ١٠٦ . وعن الأصـمعي فـي التنبيـه علـى حدوث التـصحيف لحـمزة الأصفهاني ، ص ١١٦ .

علـى أن ثعلبًا نـقل عن ابـن الأعرابي وسـلمة والفـراء أنه إنما قـيل (سليـم) لأنه أسلم لما بـه ، وقد نسب الـفراء هذا إلى بنـي أسد من قبائل العرب[1] .

- (المَفازَة) للمنجاة والمهلكة[2] وقال ابن الأنباري : «قال الأصمعي وأبو عبيد وغيرهما: سُميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز»[3]، وإلى مثل هذا التفسير ذهب ابن قتيبة وثعلب[4]، وسائر الأضداديين، غير أن ابن الأعـرابي ذهب إلى اعتبار الـتسمية علـى الأصل ، يقول ابن الأنباري : «وقال ابن الأعرابي : إنما قيـل للمهلكة مفازة ، لأن من دخـلها هـلك ، من قـول العرب : قـد فوَّز الرجـل إذا مات»[5] ولكن ابن الأعرابي توهم فيما ذهب إليه أن اشتقاق الفعل (فوَّز) من المفـازة وانصـرافه إلى مـعنـى الموت قد تـأخر عـن التـسميـة الأولى والانصراف الأول ، فبعد أن شاعت تسميـة المهلكة بالمفازة شاع أيضًا تبعًا لذلك انـصراف (فوَّز) إلى معنى هلـك ، وبهذا المعنى استعـملها

---

(١) ابن الأنـباري : الأضداد، ص ١٠٦ . مجالس ثـعلب ، ص ١/ ١٧٠ . حمزة الأصفـهاني : التنـبيه على حدوث التصحيف، ص ١١٧ . أبو عبيد البكري : سمط اللآلئ ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦ م ، ص ١/ ٤٩٠ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٠٦ .

(٣) نفـس المصدر الـسابق : ص ١٠٥ . وعن الأصـمعي فـي التنبيه علـى حدوث الـتصحيف لحـمزة الأصفهاني ، ص ١١٦ .

(٤) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ١٤٢ . مجالس ثعلب ص ١/ ١٧٠ .

(٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٠٥ . وعن ابن الأعرابي في مجالس ثعلب ، ص ١/ ١٧٠ . والتنبيه على حدوث التصحيـف لحمزة الأصفهاني ، ص ١١٦ وما بعدها . ولسان الـعرب لابن منظـور ، ص ٥/ ٣٩٣ .

كعب بن زهير في قوله (.. وفوّز جَرولُ)[1] .

- (النّاهِل) : للراوي والعطشان[2] . يقول ابن الأنباري : «وإنما قيل للعطشان ناهل تفاؤلاً بالري»[3] .
- (العَقوق) : للحامل والحائل[4] . قال أبو حاتم السجستاني : «أظن هذا من التفاؤل كأنهم أرادوا أنها ستحمل إن شاء الله»[5] .
- (المَطْبُوب) : للمسحور وللمُعَالج من السحر[6] . قال الزمخشري : «إنه قيل للمسحور مطبوب على سبيل التفاؤل ، كما قيل للديغ سليم ، أي أنه يُطب ويعالج فيبرأ»[7] .
- (المَسْجُور) : للملآن والفارغ[8] . ذهب إلى ذلك ابن الأنباري ، كما ذكر أبو حاتم السجستاني : «يمكن أن يكون هذا على التفاؤل ، كما يقال للعطشان ريّان وللملدوغ السليم»[9] .

أما القسم الثالث ويشمل الألفاظ التي تُفَسَّر بالتهكم والاستهزاء ، فمنها :

- (مَرحبًا بفلان) : إذا أريد قربه وإذا لم يرد[10] . وقدّ صدر ابن

---

(1) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ٢/٥٥٨ .

(2) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١١٦ .

(3) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(4) نفس المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(5) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص ١٣٨ .

(6) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٣١ .

(7) الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

(8) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٥٤ .

(9) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص ١٢٧ .

(10) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٥٧ .

الأنباري كلامه على هذه المادة بقوله : «ومما يشبه الأضداد قولهم في الاستهزاء . . . »[1] .

- (يا عاقل) : للعاقل وللجاهل[2] . قال ابن الأنباري : «ومما يشبه الأضداد أيضًا قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل إذا استهزءوا به : «يا عاقل»[3] .
- قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[4] .
- قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[5] .
- (الأسْوَد) للدّرهم الأبْيَض[6] .

نخلص من ذلك إلى أن هذه الأنواع من التعبير ليست من الأضداد في شيء ، ذلك أن المتفائل مثلاً يريد من إطلاق (السَّليم) على الملدوغ أن يوهم نفسه وسامعه - دون وعي - بحقيقة معنى اللفظ لا ضده ، لأنه يرغب في أن يُبعد عن نفسه صورة الملدوغ المتألم ، ويقرّب صورة السليم المعافى ، فيتفاءل بهذه التسمية بسلامة الملدوغ وعافيته ، وكذلك سائر أضداد التفاؤل والتشاؤم. وشبيه بهذا ما نقوله في المتهكم المستهزئ الذي يصف الجاهل بالعاقل مثلاً ، فهو لم يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل أراد وصفه بالعقل ، لأنه لم يرد أن يتصور السامع من قوله (يا عاقل) إنسانًا جاهلاً ، بل أراد أن تتكون صورة إنسان عاقل في الذهن ، لأن استحضار هذه الصورة وتطبيقها

---

(١) نفس المصدر السابق: ونفس الصفحة .

(٢) نفس المصدر السابق: ونفس الصفحة ص ٥٤ .

(٣) نفس المصدر السابق: ونفس الصفحة .

(٤) سورة الدخان : الآية ٤٩ : ابن الأنباري ، ص ٢٥٨ .

(٥) سورة الدخان : الآية ٨٧ : ابن الأنباري ، ص ٢٥٨ .

(٦) ابن الأنباري : ص ٣٤٩ .

على الإنسان الجاهل الذي أطلقت عليه اللفظة ، هو ما يقصد إليه المستهزئ ، فمن المفارقة بين الصورتين تتم فكرة التهكم والاستهزاء والضحك ، ولو كان العكس أي أنه لو أراد معنى الجاهل في (يا عاقل) لانطبقت الصورتان ولما تمت المفارقة التي هي أساس السخرية[1] . ونحن حين نقول إن المتكلم أراد كذا ولم يرد كذا لانعني أنه كان يتحرى هذه المفارقة تحريًا مستقلاً عن بديهته ويخطط للاستهزاء ويرسم له حدوده بعيدًا عن فطرته ، وإنما كان يتم كل ذلك في ذهنه بسرعة وبشكل عفوي وتلقائي .

* السياق عند ابن الأنباري ودوره في نشأة الأضداد :

تحدث ابن الأنباري في مقدمة كتابه عن تفنيد إشكالية الالتباس الذي يحصل من جراء انصراف اللفظة إلى المعنيين المتضادين ، فيقول : «إن كلام العرب يصحح بعضه بعضًا ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار عن معنى واحد»[2] . فهو يرى أن سياق اللفظة هو الذي يحدد المعنى ويفرده عما سواه ويخصصه للسامع . وهو بهذا يعتبر أول من فسر التضاد بالسياق ، فانفتح لكثير من الباحثين المحدثين الغربيين والعرب هذا الباب فراحوا يفسرون المشترك بالسياق أيضًا ، وأيدوا هذه الفكرة بالنسبة للأضداد .

ولقد ذكر أمثلة عديدة للتدليل على ذلك ، منها :

لفظة (جلل) للعظيم واليسير فيقول : «من ذلك قول الشاعر :

---

(١) انظر مقالة حسين محمد في اللسان العرب : ٨/ ١٢٠ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢ .

كل شيءٍ ما خلا الموتَ جَلَلْ والفتَى يَسْعَى ويُلْهِيه الأمَلْ

فدلّ ما تقدم قبل (جلل) وتأخر بعده على أن معناه : كل شيء ما خلا الموت يسيرٌ ، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن (الجَلَل) ها هنا معناه (عظيم) .

وقال آخر :

فَلَئِن عَفَوْتُ لأعفُوَنْ جَلَلاً ولَئِنْ سَطَوْتُ لأوهِنَنْ عَظْمِي

قَوْمِي هُمُ قتلوا أُمَيْمَ أخِي فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فدلَّ الكلام على أنه أراد : فلئن عفوت عفوًا عظيمًا ، لأن الإنسان لا يفخر بصفحة عن ذنب حقير يسير ، فلما كان اللبْس في هذين زائلاً عن جميع السامعين لم يُنكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفي اللفظي»[1] .

ويبدو أن ابن الأنباري توسَّع في الاعتماد على فكرة السياق في تفسير الأضداد فأدخل في الأضداد ما ليس منها ، حيث أغفل ما يتصل بهذه اللفظة من المعنيين ويجرها إلى حظيرة الألفاظ الدالة على معنى واحد ، لأن فكرة الضدية في هذه الحالة لا تتوفر في اللفظة نفسها وإنما تتوفر في الاختلاف الذي ينشأ من تفسيرها بسبب ما يُفَسّر به السياق أو التركيب العام للجملة ، فالتضاد في التأويل لا في اللفظة ، وفي متعلقاتها من الحروف لا بأصلها المفرد . ويدخل تحت هذا الباب من الألفاظ التي اعتبرها ابن الأنباري من الأضداد - وهي ليست كذلك في رأينا - ثلاثة أقسام هي :

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢ - ٣ . وانظر في ذلك أيضًا عند ابن الأنباري : (ظنّ) ، ص ٣ . و(بتلمظان) و (يكتسبان) ، و(يقوم عبد الله) ، و(جُدَّ ثَدْياها ، و(بَهِر) و (بَدب) ، ص ٤ - ٥ . و(غسق) ، ص ٥ .

القسم الأول : هو ما كان تضاده بسبب حروف الجر المتعلقة بالفعل ، ومن أمثلته :

(أغار الرجل إلى القوم) : بمعنى أغاثهم ، و (أغار على القوم) : بمعنى قتلهم[١] . و (راغ فلان على القوم) : اى أقبل عليهم ، و(راغ عنهم) إذا ولّى عنهم[٢] . و(فزعه) : إذ أخافه ، و (فزّع عنه) : كشف عنه الفزع[٣] . و(أوْزَعْتُه بالشيء) : أولعته به ، و (أوْزَعْتُهُ) : كففته عنه[٤] . و(ظاهرٌ عليك): لم يزل عنك[٥] ، وأشبه ذلك من الاستعمالات ، وفي رأينا أن التضاد غير حاصل في كل هذه الأفعال إلا بسبب المتعلقات التي تصرف الفعل إلى معنى إيجابي أو آخر سلبي ، فحقيقة الضدية هي بين (إلى وعلى) و (على وعن) و (في وعن) وهكذا ، وليس بين الفعل ونفسه في أي من استعماله ، فقد احتفظت المواد الأصلية للأفعال بمعانيها ، فأغار : اشترك في صراع ، ولكنه مر مع القوم وقد أفادته (إلى) ، ومرة عليهم وقد أفادته (على) . وراغ: تحرك بخفاء ، ولكنه تحدد بالإقبال بـ (على) ، وتحدد بالإدبار بـ (عن) . فالحروف لها معان خاصة تتضح وتتبلور إذا اتصلت بالفعل ، فالحرف (إلى) يفيد معنى الإفضاء والإقبال والإقدام وهي معانٍ إيجابية ، و(على) يفيد معنى الإيقاع والنزول والتمكن ، وهي معانٍ سلبية ، كما أن (في) يفيد معنى الرغبة والإرادة ، بعكس (عن) الذي يفيد معنى الترك والعزوف . . . إلخ فهذه الحروف التي تعلقت بها حروف الجر هي ألفاظ رُسم لدلالتها الطريق وحُدِّد

---

(١) نفس المصدر : ص ٣٦٨ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٥٣ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٩٩ .

(٤) نفس المصدر : ص ١٤٠ .

(٥) نفس المصدر : ص ٥٦ .

المعنى إيجابيًا أو سلبيًا بواسطة هذه الحروف ، «وذلك أن العرب جعلت أكثر استعمال (على) في لغتها للشر والأذى ، وجعلت أكثر استعمال (لام الجر) للخير والمنفعة»[1] . ولقد اعتبرها أحد الباحثين قاعدة عامة في اللغة أو شبه عامة ، إلا إذا كانت (على) موضوعة للفعل أصلاً ، فحينئذ لا تفيد معنى الشر، مثل أشفق عليه وعطف عليه واتفق عليه وأبقى عليه[2] فهذه الأفعال هي بنفسها تفيد معنى الخير فلا يضيرها تعلق (على) بها . كما ضرب للام أمثلة مُدِلا بها على أن تعلقها بالفعل مما يصرفه إلى معنى الخير[3] . واللام قريبة من (إلى) في مجال استعمالها لذا يصح أن تكون شواهدها على هذا المعنى هي شواهد (إلى) التي تعني الإقبال والإفضاء ، كما كانت تفيد (عن) الانصراف ، يقول السيوطي معلقًا على قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾[4] : لما كان في معنى الإفضاء عدّاه بإلى ، ومثله قول الفرزدق : (قد قَتَل الله زيادًا عَني) لأنه في معنى صرفه[5] .

ونستطيع أن نخلص مما سبق إلى أن دعوى التضاد في الألفاظ الواردة في هذا القسم الذي نحن بصدده غير واردة لأن الضدية شيء خارج اللفظة ، وطريقة الاستعمال هي التي تقصد إليه قصدًا بهذا الحرف أو ذاك من حروف الجر ذوات المعاني الإيجابية أو السلبية .

---

(١) د. مصطفى جواد : المباحث اللغوية في العراق ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة، ص ٨ .

(٢) نفس المصدر : ص ٤٢ .

(٣) نفس المصدر : ص ٤٣ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٥) السيوطي : الأشباه والنظائر ، ص ١/ ١٩١ .

أما القسم الثاني : وهو ما كان تضاده بسبب موقع اللفظة من السياق : ومن أمثلته :

لفظة (فَوْق) : التي تـأتي بمعنى دون[1] . وفي قوله تـعالى : ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾[2] . و(بَيْن) للوصل والفراق[3]، في قوله تعالى : ﴿ **لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ** ﴾[4] . و(جَدِيد) للجديد والبالي[5] . وغير ذلك من أشباه هذه الألفاظ ، التي كان اختلافهم في تفسير معناها في مواضعها التي وردت فيها هو الذي أكسبها صفة الضدية ولم تكن بها قبل هذا الخلاف ، كما لا تكون بعده لو أنها انتزعت من مواضعها الذي هي فيه ، ذلك أن السياق هو الذي يعين بالضرورة معنى اللفظة وعلاقتها السلبية أو الإيجابية فيه، فهو لا يخفي مقصد المتكلم منه إذا وعى السامع نظم الجملة وأسلوب تركيب الكلام . وإلى هذا رمى ابن الأنباري بقوله : «كلام العرب يصحح بعضه بعضًا، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد»[6] . فبمعونة السياق يستطاع معرفة المعنى والوقوف على حقيقته غير أن الشيء الذي سبب تضاد طائفة من الألفاظ هنا هو الاختلاف في تفسير معانيها وأغراضها عند ورودها في نصوص كان احترامهم لها حينًا ، وجهلهم بملابساتها حينًا آخر هو الذي دفعهم إلى

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٧٥ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٤ . وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عباس وحمزة .

(٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٠٨ .

(٦) نفس المصدر السابق : ص ٢ .

الاختلاف في معاني الألفاظ فيها ، إذا لم يقصد المتكلم أن يستعمل نصه ضداً ، وإنما كان فهم السامعين متضاداً ، فالكلمة في منأى عما يحدث في ذهن السامع من إدراك ، وعليه فليست من الأضداد .

أما القسم الثالث : وهو ما كان تضاده من النصوص بسبب اختلاف التفسير :

وهذا القسم شبيه بالقسم السابق إلا أنه يفرق عنه بأن التضاد المزعوم في ذلك النوع كان في اللفظة المفردة بسبب اختلافهم في مؤداها من سياق الكلام. أما التضاد في هذا القسم فهو في المعنى العام للنص ، كأن تكون آية برمتها من الأضداد أو بيت شعر بكامله من الأضداد وذلك لاختلافهم في تفسير مراد القائل من مجموع تعبيره. ومن أمثلته في القرآن الكريم : يقول ابن الأنباري: ويُفسر أيضًا قوله عز وجل : ﴿**لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾[1] تفسرين متضادين ، فيقول الكلبي : هذا يقوله الله جل وعز لأصحاب الأعراف في النار رؤساء المشركين فينادونهم : يا عاصي بن وائل ويا وليد بن المغيرة ويا أسود بن المطلب ويا أبا جهل بن هشام ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا وما كنتم تستكبرون ، إذ أنتم الآن في النار ، ويرون في الجنة المستضعفين من المسلمين : سلمان الفارسي وعمار بن ياسر وصهيبًا وعامر بن فهيرة فيقولون للمشركين : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، فيقول الله تبارك وتعالى لأصحاب الأعراف : (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون). وقال مقاتل بن سلمان : يُقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف على الصراط : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، ويقولون لهم أيضًا : (ادخلوا

(١) سورة الزخرف : الآية ٦٨ .

الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) . . .»[1] . وهكذا نرى أن المسألة لا تتعدى أن تكون اختلافًا بين المفسرين في مؤدى الآية وهو مما حفلت به كل كتب تفسير القرآن الكريم ومعاني ، فهل تعدّ هذه الكتب من كتب الأضداد ؟ . والظاهر أن الذي دفع ابن الأنباري إلى الخوض في ذلك هو اتصاله بالقرآن اتصال بحث دقيق ودرس مستوعب واضعًا فيه مصنفاته ودراساته فانعكس ذلك على دراساته اللغوية ، إذ لا نجد مثل هذا في كتب الأضداد الأخرى . ولذا نجد ابن الأنباري كثيرًا ما يُحيل القارئ إلى مصنفاته القرآنية لزيادة الاطلاع على الخلاف في التفسير[2] . ومثل هذه الآية آيات أخرى كثيرة[3] ومن أمثلة هذا النوع في الشعر : يقول ابن الأنباري : «ومما يُفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس بن الخطيم :

أتعرفُ رسمًا كاطرادِ المذاهب لِعَمْرةَ وحشًا غير موقفِ راكبِ

قال ابن السكيت: أراد بقوله (غير موقفِ راكبِ) إلا أن راكبًا وقف ، يعني نفسه . وقال غيره لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن (غير) نعت للرسم ، تأويله : أتعرف رسمًا غير موقف راكب ، أى ليس بموقف للراكب لا ندرس الآثار منه وامحاء معالمه ، فمتى بصر به الراكب من بعد ذعر منه فلم يقف به . وتفسير ابن السكيت يدل على أن الراكب أراد به الشاعر نفسه ، أي إلا أني أنا وقفت به مذكرًا لأهله ، ومتعجبًا من خرابه وخلائه من سكانه الذين كنت أشاهد وأعاشر»[4] . وشبيه بهذا الاختلاف اختلافهم في أبيات

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) نفس المصدر السابق : انظر مثلاً ص ٤٢٨ .

(٣) نفس المصدر السابق : انظر أيضًا ص ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨١، ٣٨٦ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

أخرى[1] . ونقول في هذه الأبيات ما قلناه في الآيات، من أن هذه الآراء المختلفة في تفسيرها لا تجعل منها أضدادًا بالمعنى الذي حددناه وحدده قبلنا الأضداديون أنفسهم ، إذ لابد أن يكون البحث عن التضاد قائمًا على دراسة اللفظة الواحدة دراسة تاريخية دقيقة آخذة في الاعتبار استقلالها المعنوي عن كل ما يتعلق بها من كلام وتركيب ، ولعل ما يؤيد ذلك أننا لا نجد مثل هذه البحوث عند غير ابن الأنباري من الأضداديين ، فكأنهم تنبهوا إلى أن الخوض في هذا المضمار ليس مما يدخل في كتبهم التي محضوها لدراسة تضاد الألفاظ وجمع الأضداد . ونستطيع أن نقول إن ابن الأنباري هو المتكثر الوحيد من هذا النوع من الأضداد ، لأننا لا نكاد نعثر على مثله في كتب سواه ممن صنفوا في الأضداد ما عدا ابن الدهان الذي وضع كتابه اختصارًا لكتاب ابن الأنباري.

* المجاز والمقلوب من التراكيب ودوره في نشأة الأضداد عند ابن الأنباري :

(١) ما جاء من الأضداد في باب المجاز :

في مواد الأضداد طائفة غير قليلة يتضح فيها أن أحد معنييها حقيقي والآخر مجازي ، ذلك أن الانتقال من الحقيقة إلى المجاز عن طريق استعمال ألفاظ مستعارة من معانيها الأُوَل إلى معانٍ جديدة ، تدفع إليه حاجات كثيرة في نفس المتكلم قد يكون منها الحياء أو الخجل أو أي دافع آخر متعمد أو غير متعمد ، يقول الأصمعي : «ولما أرادوا أن يجيئوا بالشيء فلا يمكن ، فيأتون بشيء من سببه يستدل عليه به»[2] . حتى إذا شاع إطلاق اللفظة مجازًا على معنى معين وكثر استعمالها فيه تقترب شيئًا فشيئًا إلى أن تكون حقيقة في دلالتها

---

(١) انظر مثلاً : نفس المصدر السابق : ص ٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٥ .

(٢) ابن السكيت : الحروف ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ٤٤ .

على ذلك المعنى ، ونكون بعد ذلك إزاء لفظة تنصرف انصرافين حقيقيين ، فإذا كان المعنياه متضادين أو ما يشبه المتضادين عدت هذه اللفظة من الأضداد ، والوهم في عدّ هذه الألفاظ من الأضداد واضح ، ذلك أن الأسرار البلاغية لا علاقة في الواقع بوضع اللغة ، فهي أمور نسبية تتفاوت طرق التعبير عنها بتفاوت الأشخاص . وهذا المذهب يُعَدّ بُعْدًا عن حقيقة المسألة لأن كثيرًا من الأضداد أمكن الرجوع به إلى اختلاف اللهجات وإلى التغير الدلالي والصوتي الذي يطرأ على الألفاظ ، وغير ذلك من عوامل نشوء الأضداد ، فلا يمكن حصر هذه العوامل جميعًا بالمجاز أو الحيلة اللغوية التي يقصد إليها المتكلم قصدًا ، وذلك ما لا يؤيده الدرس العلمي الحديث لهذه الظاهرة ، كما لا يؤيده الدرس التاريخي لطبائع العرب وسلوكهم .

وسوف نسوق فيما يلي بعض من أضداد المجاز التي تعرَّض لها ابن الأنباري :

- (الهَجْر) : يقال هجرت الرجل إذا شددت في أنفها الهجار وهو حبل ، ليعطفها على ولد غيرها[1] . فقد انتقلت اللفظة عن طريق المجاز من معنى هجر الرجل فاطلقت على هجر الناقة لولدها والعطف على ولد غيرها .
- (إرَة) : للحفرة التي تشعل فيها النار ، وللنار بعينها[2] .
- (الإشْرارَة) : يقال إشرارة للخصفة التي يشرر عليها الملح والأقط ، ويقال إشْرارة لما يُشَرّر على الخصفة من الملح والقط[3] .

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٢٣ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٣١٩ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٣١٨ .

- (الثِني) : يقال ناقة ثني إذا وضعت بطنين ، ويقال للذي في بطنها ثني[1] .
- (الناس) : يقال ناس للناس ، وناس من الجن[2] .
- (الغانية) : يقال غانية للمرأة التي استغنت بزوجها ، ويقال غانية للمرأة الجميلة التي تستغني بجمالها عن الزينة[3] .
- (الأيِّم) : يقال امرأة أيِّم إذا كانت بكرًا لم تُزَوّج ، وامرأة أيِّم إذا مات عنها زوجها[4] .
- (الظهارة والبِطانَة) : يقال للظهارة بطانة ، وللبطانة ظهارة ، لأن كل واحد منهما قد يكون وجهًا[5] .
- (الثَّغْب) : يقال للماء ثغب ، وللموضوع فيه الماء ثغب[6] .
- (الأحْمَر) : للأحمر والأبيض[7] .
- (الأخْضَر) : للأخضر والأسود[8] .
- (الأخْضَر) يقال رجل أخضر إذا مُدِح بالخطب والعطاء والسخاء ، ورجل أخضر إذا كان لئيمًا[9] . فالمعنى الأول مجازه واضح ، أما الثاني فربما كان من السواد الذي تنصرف إليه لفظة الأخضر السابقة .

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣٢٠ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٣٢٨ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٣٣٠ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٣٣١ .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ٣٤٢ .

(٦) نفس المصدر السابق : ص ٣٤٥ .

(٧) نفس المصدر السابق : ص ٣٤٦ .

(٨) نفس المصدر السابق : ص ٣٤٧ .

(٩) نفس المصدر السابق : ص ٣٨٢ .

- (الأكْسَة) : للذي تلده أمه أعمى ، وللذي يُبصر بالنهار ولا يبصر بالليل[1] .

هذه المواد التي ذكرناها هي من الأضداد أمكننا تفسير نشوئها بالمجاز الذي حصل فيها ، وهو تفسير المح إليه ابن الأنباري تلميحًا ، فكان في صدر المادة أحيانًا عبارة (ومما يشبه الأضداد) أو (ما يجري مجرى الأضداد) مشيرًا إلى أنه يجد فيها شيئًا ما ، بالإمكان أن يرد إلى ما يشبه المجاز ، على أن أبا الطيب اللغوي الذي صنف كتابه بعد ابن الأنباري ، كان صارمًا تجاه هذه الفئة من الأضداد ، فلم يُدرجها في مواضعها من كتابه ، وإنما أفرد لها فصلاً في آخر الكتاب أطلق عليه (باب ما جاء مسمًّى باسم غيره لما كان من سببه ، فأدخله من كان قبلنا في الأضداد)[2] . ويدرج فيه مجموعة مما يُفَسّر بالمجاز ، ويُشعرنا عنوان الباب أنه لولا إدخال من كان قبله لهذه الطائفة من الألفاظ في الأضداد لما عدّها هو منها ولما ذكرها في كتابه ، ومع ذلك فإفراده لها ينبئ عن برودة موقفه من ضديتها .

(٢) ما جاء من الأضداد في باب المقلوب :

وهو ما يُسمى أحيانًا بـ (المزال عن جهته) ، وقد اعتبرته بعض كتب الأضداد قسمًا من الأضداد ومنها مصنف ابن الأنباري بينما استبعدته كتب أخرى . ويُقصد به تغير تركيب العبارة عن ترتيبها المتعارف عليه ، وذلك بأن يُقلب الفاعل مفعولاً أو المفعول فاعلاً أو ما يشبه ذلك مما لا يلتبس معناه لدى السامع لأن القصد فيه واضح . ومن أمثلته التي ذكرها ابن الأنباري :

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣٧٧ .

(٢) ابو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ٢/ ٧١١ - ٧١٩

- (ناءَ بي الحِمْل) : والأصل نؤت بالحمل[1] .
- (تهيَّبُني البلاد) : والأصل تهيبتها[2] .

وغيرها من التراكيب المقلوبة التي يمكن أن يُفسّر ما ورد منها في الشعر بالضرورة الشعرية وبصرامة التفعيلة وحركة الرويّ ، وما ورد منها في النثر بالمجاز حينًا وبالسهو والخطأ أحيانًا ، إلا أن استقراء هذه الفئة من التراكيب المقلوبة يدل على أن أكثرها بل كلها قُصد منه المجاز باستعارة معنى لفظ آخر يجاوره في التركيب الواحد وبالعكس ، فلا يمكن أن يُفَسّر (ناء بي الحِمْل) مثلاً بغير المجاز البليغ ، فلا اضطرار يدفع إلى هذا التعبير ، وإنما تكون هذه التراكيب أوقع في النفس مما لو كانت واردة بترتيبها الطبيعي من الكلام . ولم يؤثر عن العرب أنهم التبس عليهم المعنى فضحكوا من المتكلم لأنه قصد إلى أن ينوء الحمل بالحامل ، بل على العكس فقد استكثروا من هذه الصياغات المجازية ودار على ألستهم قلب التراكيب دون أن يُزعِج ذلك فهمهم للمعاني ، لهذا فمن الخطأ أن تعدّ من الأضداد للأسباب التي بيّناها من جهة ، ولأن هذه التراكيب ليست ألفاظًا مفردة وردت متضادة المعنى ، وإنما توهم التضاد في هذه التراكيب كان بسبب التركيب نفسه ، إذ لو جزّأنا العبارة لما وجدنا في ألفاظها (ناء) (بي) (الحمل) أي نوع من أنواع الضدية ، ولقد وقف أبو حاتم السجستاني من هذا النوع موقف الشك ، كما ألغى أبو الطيب اللغوي هذا النوع من الأضداد وأفراده في باب تكلّمت به العرب مقلوب المعنى ، مزالاً عن جهته ، فخُلط بالأضداد وليس منها)[3] ، فعبارته «وليس منها» صريحة بعدم قناعته بضدية هذه التراكيب ، واعتقاده أنه من أساليب العرب في مجازها واستعارتها وتفننها في الكلام ، وقد خُلطت بالأضداد وهي شيء آخر .

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٤٤ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ١٥٢ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ٢/ ٧٢٠ - ٧٣٢ .

* **التصحيف عند ابن الانباري ودوره في نشأة الأضداد:**

قد تتعرض أصوات لفظة من الألفاظ إلى التغير أو الحذف أو الزيادة ، بحيث يترتب على هذا التغير الصوتي الذي يلحق اللفظة أن تتحد في أصواتها مع لفظة أخرى مضادة لها في المعنى ، فتنشأ بسبب ذلك ألفاظ تعدّ وهمًا من الأضداد ، ومن أمثلة ذلك عند ابن الأنباري في مصنفه :

- (الغابر) : للماضي والباقي[1] . ولعله في معنى الماضي من (العابر) وبه يمكن أن تُفَسَّر الشواهد التي تعبر عن معنى المضيّ ، ونستشعر ذلك في قول العجاج :

أعابِرانِ نحن في العُبّارِ ... أم غابران نحن في الغُبّار[2]

وواضح هنا أن الغابر للباقي لا غير وأن العابر للماضي ، فلو كان الغابر يحتمل المعنيين لاستعماله فيهما ، لا كما يذهب ابن الأنباري إلى أن المعنى هنا الماضي ، ويؤيد هذا أن العجاج قصد في قوله :

فما وَنى محمدٌ مذ أنْ غفر ... له الإله ما مضى وما غَبَرْ[3]

بمعنى الباقي كما ذهب ابن الأنباري[4] . لأنه لا يمكن لنفس القائل أن يستعمل الضد في مكانين بمعنيين كما قررنا ذلك قبلاً ، فحين استعمل العجاج (غبر) بمعنى بقر في هذا الشاهد ، لا يصح أن نعتقد أنه استعمل (الغابر) بمعنى الماضي في الشاهد الأول لأن القائل هو نفسه ، وعلى هذا فإن استعمال الغابر بمعنى الماضي قد يكون بسبب التصحيف الذي أعجم العين من (العابر) .

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٢٩ .

(٢) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(٣) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(٤) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

- (سَمَل) : أصلح بين القوم ، وفقأ العين[١] . والظاهر أن سمل بالمعنى الأول هي (شَمَل) بالشين جاءت إلى الأضداديين مصحفة في شاهد من الشواهد[٢] .

- (بَرَّد) برَّد وسخَّن[٣] . وذلك استناداً لما ذكره ابن الأنباري من قول الشاعر :

عافتِ الشربَ في الشتاءِ فقُلنا بَرّديه تُصادِفيه سخيناً[٤]

وهو في الواقع (بل رديه) وعلى هذا اللفظ يجب أن يُروى البيت ، وبفك الإدغام الذي أوهم خطأً بالتضاد . وقد أشار ابن الأنباري نفسه إلى ذلك ونقله عن ثعلب .

رابعاً : منهج ابن الأنباري في تصنيف كتاب الأضداد :

كتاب (الأضداد) لابن الأنباري من أجلّ ما أُلّف في موضوعه ، ومن أكمل المحاولات الجادة لدراسة هذه الظاهرة ، بما اشتمل عليه من استيعاب واستقراء ودقة في أكثر الأحيان . وكان ولا يزال أحد أهم المصادر الأساسية إن لم يكن أهمها الذي يُرجع إليه في هذا الباب من اللغة ، فقد نقل القدماء عنه كثيراً واستشهدوا بآرائه في كل مصنفاتهم ومعجماتهم اللغوية ، بدءً من تلاميذ ابن الأنباري نفسه وانتهاءً بالبغدادي صاحب خزانة الأدب[٥] . كما رجع إليه

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢٨٥ .

(٢) د. إبراهيم انيس : في اللهجات العربية ، ص ٢٠٦ . وانظر الشواهد على ذلك في الأضداد لابن الأنباري ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٦٣ .

(٤) نفس المصدر السابق : ونفس الصفحة .

(٥) البغدادي : خزانة الأدب ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ص ٣/٣٥٦ ، ٤/٧٦ .

الباحثون المحدثون في دراساتهم القيّمة عن الأضداد ، وعدّوه من أنضج الدراسات القديمة في هذا الموضوع وأشهرها جميعًا .

وسوف نعرض فيما يلي لخطة ابن الأنباري في تصنيفه لكتابه الأضداد من خلال ثلاثة مباحث ، يعالج الأول منها يعالج مصادره التي استقى منها مادة الأضداد ، والثاني يتناول المنهج الذي اتبعه في عرض مادة الأضداد ، أما الثالث فنوضح من خلاله أهم القضايا التي تناولها في عرضه للأضداد .

(أ) مصادر ابن الأنباري في دراسة قضية الأضداد :

إن مصادر ابن الأنباري في كتابه متنوعة ، إلا أنها في الأغلب الأعم كوفية، فقد روى عن أستاذه ثعلب عن سلمة بن عاصم عن الفراء عن الكسائي، وعن ابن الأعرابي بوساطة ثعلب أيضًا ، وعن ابن السكيت . وهؤلاء هم شيوخ مدرسة الكوفة في اللغة . ولكنه روى كذلك عن بعض شيوخ مدرسة البصرة كقطرب وأبي عبيدة والأصمعي وأبي حاتم السجستاني وابن قتيبة ، وقد ناقشهم وردهم ووقف منهم موقف المفنِّد في كثير من المواضع وخصوصًا ابن قتيبة . ومال إلى أساتذته الكوفيين وأيّدهم وكرر النصّ على أن ما يقولونه هو الصواب. بحيث يعطي كتابه بشكل عام صورة واضحة لنزعته الكوفية الخالصة المتمثلة أولاً بتلمذته لثعلب والإكثار من الرواية عنه وعن شيوخه ، وثانيًا بموقفه من بعض شيوخ البصريين وردّه لآرائهم ، وثالثًا بذوقه اللغوي القائم على الإكثار من الشواهد الشعرية والقرآنية وذِكر آراء المفسرين والاحتجاج بالقراءات ولهجات العرب وأساليبهم المختلفة وما إلى ذلك، مما يؤكد فكرة الاعتماد على النقل والرواية واحترامهما ، والبعد عن التمحّل والتقعّر والنظر الفلسفي العقلي.

ولقد نصَّ ابن الأنباري على اعتماده النقل والرواية كأساس لمنهجه في

تصنيف كتابه وفضله على غيره حيث زاد فيه مما ليس في سواه ، فيقول : «وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة وصنفوا في احصائها كتبًا ، نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء ، وأسقط منها جزءً، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها ، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه إذا اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد[1] .

ولقد وصلنا كتابه وطُبع عدة طبعات ، فقد صدر في طبعة حديثة أولى في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ اعتنى بضبطها بالشكل وتصحيحها - حضرة - ملتزم طبعها الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي ، صاحب المكتبة الأزهرية مع العلامة اللغوي الشيخ أحمد الشنقيطي بعد مقابلتها على نسخة قديمة من خط المؤلف (أي ابن الأنباري)[2] . كما صدر هذا الكتاب أيضًا في الكويت من تحقيق أبي الفضل إبراهيم بالكويت سنة ١٩٦٠ م[3] واعتماد ابن الأنباري على النقل والرواية كأساس لمنهج كتابه ، والذي نص عليه كما أشرنا من قبل تجلى في أن كتابه يعدّ أكبر وأوسع كتب الأضداد ، إذ وصل عدد الأضداد فيه إلى سبعة وخمسين وثلاثمائة ضدًا ، ويكاد يكون هذا العدد ضعف عدد الأضداد عند أبي حاتم السجستاني ، وضعفيه عند الأصمعي ، وثلاثة أضعافه عند ابن السكيت ، وفي هذا تتجل سعة الحفظ والرواية ، وقد جاءت شروحه غاية في الإفاضة والاكتظاظ والاستطرادات والتعليقات .

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٣ .

(٢) الأضداد في اللغة ، تاليف : تاج اللغة محمد بن القاسم محمد ابن بشار الأنباري النحوي - المطبعة الحسينية المصرية بكفر الطماعين بمصر - أواخر شهر شعبان ١٣٢٥ هجرية .

(٣) الأضداد : محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م . وصدر منها طبعة أخرى عن المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

ب) منهج ابن الانباري في عرض الأضداد :

ولقد أكثر ابن الأنباري من الاعتماد على الشواهد فجاءت في كتابه كثيرة جدًا ومتنوعة تنوعًا عجيبًا ، أكسبت كتابه هذه الضخامة والسعة ، بحيث لو أننا جردنا الكتاب من الشواهد واقتصرنا على مواد الأضداد وبيان معانيها المتضادة فقط ، لم يبق في أيدينا إلا جزء صغير لا يتعدى ثلث الكتاب . وتتوزع هذه الشواهد على الشعر والآيات القرآنية والأحاديث والأمثال والمأثور من كلام العرب والقصص والأخبار ، وما يستتبع كل ذلك من شرح لألفاظ الشواهد اللغوية والتعليق على موطن الشاهد والتعرض لآراء المفسرين والفقهاء في دلالة الآيات والأحاديث واختلاف القراءات وعرض وجهات نظر النحاة واللغويين في استعمالات العرب المختلفة في كلامهم ، حتى كان من مجموع ذلك دراسة لغوية غزيرة المادة واسعة الرواية دقيقة النتائج . فلا يكاد يخلو الكلام على أي مادة من مواد الأضداد في الكتاب من الاستشهاد بمجموع هذه الأنواع المختلفة من الشواهد أو ما هو قريب من هذه النسبة . إذ بلغ عدد الآيات التي استشهد بها في الكتاب (٢٦٩) آية ، والأحاديث (٥٣) حديثًا ، والأشعار (٧٩٦) بيتًا، أنصاف الأبيات (١١) شطرًا ، والأرجاز (٩٩) رجزًا ، ومثل هذه الأعداد استشهد بالأمثال والأخبار والمأثور وهكذا . وشعراؤه يتوزعون مختلف العصور فيهم الجاهليون كامرئ القيس والأعشى وزهير بن أبي سلمى والأفوه الأودي وطرفة بن العبد والنابغة الذبياني والخنساء وغيرهم ، وفيهم الإسلاميون (المخضرمون وصدر الإسلام) كحسان بن ثابت وابن الزبعري وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير وكعب بن مالك وغيرهم ، وفيهم الأمويون كالأخطل والكميت والفرزدق وجرير وذي الرمة والراعي النميري وكثير وابن قيس الرقيات . ولم يستشهد للعباسيين مطلقًا كأنه ممن لا يحتج بلغتهم في الشعر ، ولكنه مع ذلك يعتبر من المتوسعين في الاستشهاد والمتساهلين فيه باستشهاده

بشعر الفرزدق وجرير والأخطل وغيرهم من شعراء العصر الأموي الذين أسقطهم غيره من اللغويين والنحاة - البصريين خاصة من دائرة الاحتجاج بلغتهم والاستشهاد بشعرهم .

ولكننا نأخذ عليه عدم الدقة في المنهج في أحايين كثيرة ، إذ ليست كل استطراداته والاستشهاد موفقة إذ كثيراً ما يورد شاهداً على أحد المعنيين المتضادين ثم يستطرد في شرح الشاهد وإيراد شواهد أخرى على شرحه مبتعداً بها عن صلب الموضوع ، ففي مادة (أخْلَفْتُ) مثلاً أتى بعشرة أبيات من الشعر ليس منها سوى بيت واحد على فكرة الأضداد[1] . ومثل هذا الأمر نجده في أكثر من نصف مواد الكتاب . وبما أن «أكثر دراسة ابن الأنباري منصبَّة على الألفاظ التي جاءت في القرآن واعتبرها السابقون من الأضداد وأخطأوا فيها التأويل ، يمكن أن يقال إنه حاول أن يهدم نظرية الأضداد السابقة بتوسّع وإفاضة . ويجتهد فيما وقف العلماء حياله صامتين من آيات القرآن ، فيحاول أن ينفذ من الحيّز الضيق المضروب حول اللفظ القرآني . ويحاول أن يوفق بين اللفظ والسياق دون التحامل على الآية أو على اللفظ ، ويرفض القول بالقلب والتناقض والتضاد ، دون مبرر ودون إعمال فكر»[2] . ولكن لسان حال تعامل ابن الأنباري مع بعض آيات القرآن الكريم يناقض ما ذهب إليه الدكتور محمد زغلول سلام ، ومما يثبت ذلك ما جاء حول لفظ (اللحن) التي طرأ عليها تغير دلالي فصارت لها معانٍ بلغت العشرة تقريبًا وكل معنى منها متطور عن المعنى السابق لوجود العلاقات السببية بينهما وقرب مجال الدلالة وكلها ترجع إلى معنى عام قديم هو (إزالة الشيء عن جهته) ، إلا أن ابن الأنباري عدّها من

---

(١) نفس المصدر : ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

(١) د. محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ م . ص ١٨٠.

الأضداد وقال : «واللحن حرف من الأضداد ، يقال للخطأ لحن ، وللصواب لحن. فأما كون اللحن على معنى الخطأ فلا يحتاج فيه إلى شاهد ، وأما كونه على معنى الصواب فشاهده قول الله عز وجل : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[1] ، معناه : في صواب القول وصحته»[2] . فابن الأنباري عدا أنه اقتسر تضاد هذه اللفظة التي لم تتمخض للمعنيين المتضادين ، فقد نسى أن الآية التي استشهد بها على معنى الصواب نزلت في شأن المنافقين ، ولا يمكن أن يوصف قولهم بالصواب . وإنما أراد القرآن الكريم بها التلميح والتورية الخفية التي يشير بها المنافقون إلى نواياهم من النبي ﷺ ، وقد عرض لهذه الآية أحد المستشرقين فقال إنها : «في وصف طريقة التعبير المعسولة التي لا يبدو في ظاهر جرسها سوء ، والتي يرمز بها أعداء محمد إلى معان يفهمها إخوانهم في الرياء والنفاق»[3] . فالآية إذن لم تسعف ابن الأنباري بمعنى الصواب ، وبمثل هذا اليسر تُرَدُّ أغلب الألفاظ التي زعم أنها من الأضداد ويُرجع بها إلى مواضعها الصحيحة من اللغة . وهذا الأمر ليس قاصرًا على ابن الأنباري وإنما ينسحب على باقي كتب الأضداد ، إذ لا تصمد أغلب مواد هذه الكتب أمام البحث العلمي والتفسير الدقيق ، لأن ما رُوي عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية ، فإننا حين نحلل أمثلة التضاد ونستعرضها جميعًا ، ونُرجع ما يمكن ما يمكن إرجاعه إلى التكلف والتعسّف في اختيارها ، يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد إلا نحو عشرين كلمة في كل

---

(١) سورة محمد : الآية ٣٠ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٣٨ .

(٣) يوهان فك : العربية ، تعريب د. عبد الحليم النجار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ٢٤٣ .

اللغة كما توصل إلـى المستشرق جيز (Giese) بعد دراسته للشعر الجاهلي[1] ، ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات الأضداد لا يشكل مشكلة بالمعنى الدقيق ، وإنما يعبّر عن مرحـلة من تاريخ اللغة ، خصوصًا وأن مصـير هذه الألفاظ إلى الانقـراض ، وذلك بأن يـجري الاستـعمال بمعـنى واحد مـن الضد مـع مرور الزمن[2] ، كما كان الأمر قبل التدوين الذي رسّخ الضدية في هذه الألفاظ .

* إن ابن الأنباري لم يرتـب كتابه حين وضعه ترتيبًا أبـجديًا أو ألفبائيًا أو صوتيًا أو موضوعيًا كما جرت العادة في وضع المعجمات . فلقد بدأه بحرف هو السابع عشـر في الأبجدية العربية هـو (الظاء) في كلمة (الظنّ) الـتي استغرق شرحـها زهاء خمـس صفحات . فـي حين نجد حـرفي (الألف) و(الجيـم) في الصفحات الأخيرة من الكتاب .

* لم يميز ابـن الأنباري في عرض مفـرداته وشرحها بين فـعل وبين اسم وبينَ حرف ، كان يقـدمها ويتحدث عنها دون تـرتيب أو تنظيم وإنما كـان ينتقل علـى هواه من الحـروف إلى الأسمـاء فالأفعـال دون حرج . ففـي صفحـتين متتاليتين في الكتاب تحدث عن هذه الكلمات :

- (مُشِبّ) : للمسن والشاب .
- (أعبل) : فعل : إذا سقط ورقة ، وإذا أخرج ثمره .
- (طلعت) : فعل : على الرجل : أقبلت عليه ، وأدبرت عنه[3].

---

(1) في كتابه :

Giese, Untersuchungen Uber Addad auf Grund Von stellen in Altarabischen Dichtern

الذي نشره في برلين عام ١٨٩٤ م : مجلة المجمع الملكي ٢/ ٢٣٠ .

(2) د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص ٢١٥ .

(3) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

* يعتمد ابن الأنباري الإسهاب في الشرح باستمرار ، وربما لا تدعو الحاجة إلى ذلك ، ويمكن أن نرى نموذجًا لهذا الإسهاب في حديثه عن (أشُدّ) يقول : «بلغ فلان أشده إذا بلغ ثماني عشرة سنة ، وبلغ أشده إذا بلغ أربعين سنة . قال الله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[1] . قال الفراء : ويقال الأشدّ أربعون سنة . قال : وحكى لي بعض المشيخة بإسناد ذكره أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة ، والاستواء أربعون سنة . قال : وحكَى أن الأشدّ ثماني عشرة سنة . وقول من قال ثلاث وثلاثون سنة أشْبَهُ بالآية ؛ لأنه عطف (الأربعين عليه ، والأربعون أقرب إلى ثلاث وثلاثين منها إلى ثماني عشرة سنة، فكان ذلك أولى . . . إلخ»[2] .

* يميل ابن الأنباري إلى الاستطراد كلما سنحت أمامه فرصة لذلك ، ولا غرابة ما دام قد وُلد بعد وفاة سيد الاستطراد وظريفه الجاحظ بعشرين سنة تقريبًا (الجاحظ : ١٦٣ - ٢٥٥ هـ) ، و(ابن الأنباري : ٢٧١ - ٣٢٨ هـ) فلابد أنه قرأ مؤلفاته جيدًا ، وتأثر بأسلوبه في الكتابة . فلننظر ماذا فعل وهو في صدد كلمة (وثب) : «يقال وثب الرجل إذا نهض وطفر من موضع إلى موضع . وحِمير تقول : وثب الرجل إذا قعد . وقال الأصمعي وغيره : دخل رجل على ملك من ملوك حِمْيَر ، وكان الملك جالسًا في موضع مشرف فارتقى إليه ، فقال الملك : ثِبْ ! يريد اجلس . فطفر فسقط فاندقت عنقه . فقال الملك من «ظَفَار» حمَّر ، أي تكلم بلسان حمير . وقال بعضهم : معنى حَمَّر) تزيًّا بزيهم ، ولبس الحمْر من الثياب . و«ظَفَار» اسم مدينة باليمن ، يُنسب إليها الجَزْع الظَفاري . و«ظَفَارِ» كسرت : لأنها أجريت مجرى ما سمى

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

بالأمـر كقولـك «قِطام وحَذام لأنهمـا على مـثال : قَوال ونَظار . ومـن ذَلك (خلاقِ من أسماء المنيَّة ، وطَمَارِ اسم حبل»[1] .

* يسوق ابن الأنـباري الحكاية مع الـشاهد بين وقت وآخر خـلال شرحه مفرداته في الأضداد . مثال ذلك ما كان وهو يتحدث عن لفظة (لحن) فبعد أن بيّن أنها تقال للخطأ ولـلـصواب ، وبيّن وجوهًا وشواهد في ذلك ، قال موردًا حكاية ، هي :

«خبّرنا الأصمعي عن عيسى بن عمـر قال ، قال معاوية للناس : كيف ابن زياد فيكم . قالوا ظريف على أنه يَلْحَن ، قال فذلك أظرف له . ذهب معاوية إلى أن معنى يلحن : يفطُن ويصيب»[2] .

* تبدو النزعة العربية واضحة لـدى ابن الأنباري في كثير من المواضع في الكتاب فهـو يمر بأسماء يعرفها كثـيرون على أنها أعجمية ، فـيرى ابن الأنباري وجهًا لعروبتها ، لـكنه يتحفظ قائلاً «لا قياس من ذلـك ، مثلاً اسم يعقوب ، يقـول ابن الأنبـاري : يكون عـربيًا لأن الـعرب تـسـمي ذَكَر الحَجَل يعـقوبًا ، ويجمعونه : يَعاقيب ، قال سلامة بن جندل[3] :

أودى الشبابُ حميدًا ذو التعاجيـب أودى وذلك شـأو وغير مطلـوب
ولّى حثيثًا وهـذا الشيـب يطلبـه لو كان يدركه ، رَكْضَ اليعاقيـب[4]

وهناك اسم «اسحق» وقوله فيه : يكون أعجميًا مجهول الاشتقاق ، فيُمنع الإجراء في باب المعرفة بثقل التعريـف والعجمة . ويكون عربيًا من أسحقه الله

(١) نفس المصدر السابق : ص ٩١ - ٩٢ .
(٢) نفس المصدر السابق : ص ٢٣٩ .
(٣) المفضليات : ص ١١٩ .
(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٤١٥ .

إسحاقًا أي أبعده إبعادًا ، من ذلك قوله جل اسمه ﴿فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1] أي : بعدًا لهم[2] .

ومثل ذلك اسم «أيوب» وفيه يقول ابن الأنباري : يكون أعجميًا مجهول الاشتقاق ، ويكون عربيًا مُجْرىً في حال التعريف والتنكير ، لأنه يجري مجرى «قيّوم» من قام يقوم . ويكون فيعولاً من آبَ - يَؤوب إذا رجع . قال عبيد الأبرص[3] :

وكل ذي غَيْبَةٍ يَؤوب   وغائِبُ المَوْتِ لا يؤوبُ[4]

ولكن ابن الأنباري يتمهل ليتحفظ مع أبي بكر الذي قال : «ولا يقاس على هذه الأسماء الثلاثة - أعني إسحاق ويعقوب وأيوب - غيرها من الأسماء الأعجمية مثل إدريس وغيره ، لأنه لم يُسمع من العرب إجراء سوى هؤلاء الثلاثة في باب المعرفة . ومحال أن يعمل من هذا بالقياس ما تنكبه العرب ولا تعرفه»[5] .

* وابن الأنباري له رأي في المترادفات ، حيث توقف مليًا في مقدمة كتابه ، أمام ما يمكن أن ندعوه : الأضداد أو النقائض والمترادفات فيقول إن أكثر كلام العرب «يأتي على ضربين آخرين ، أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك : الرجل والمرأة ، والجمل والناقة ، واليوم والليلة ، وقام وقعد ، وتكلم وسكت وهو الكثير الذي لا يحاط به والضرب الآخر، أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد، كقولك: البُرّ والحنطة ،

---

(١) سورة الملك : الآية ١١ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص : ص ١٣ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٤١٦ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

والعير والحمار ، والذئب والسِّيد ، وجلس وقعد ، وذهب ومضى[1] . ولكن ابن الأنباري يرفض أن يعدّ هذه الألفاظ مترادفات ، كما درج بعضهم على ذلك ، محتجًا برأي ابن الأعرابي نقلاً عما قاله ابن العباس : «كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به . وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»[2] .

* يؤكد ابن الأنباري على ربط الأسماء بالمعاني ، فيقول ناقلاً عن ابن الأعرابي إنه «الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصصت منها من العلل ما نعلمه منها وما نجهله» ، ثم يتابع عن ابن الأعرابي ، مسندًا الكلام إلى أبي بكر أن مكة سميت مكة لجذب الناس إليها ، والبصرة سميت البصرة للحجارة البيض الرخوة بها - والكوفة سميت الكوفة لازدحام الناس بها ، من قولهم : قد تكوّف الرمل تكوّفًا إذا ركب بعضه بعضًا . والإنسان سمى إنسانًا لنسيانه ، والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز من قولهم : أمر مبهم إذا كان لا يعرف بابه ، ويقال للشجاع : بُهْمَة لأن مقاتله لا يدري من أي وجه يوقع الحيلة عليه . فإن قال لنا : قائل لأي علة سمي الرجل رجلاً والمرأة امرأة ، والموصلُ الموصلَ ، ودعد دعدًا . قلنا لعلل علمتها العرب وجهلناها أو بعضها»[3] .

(جـ) من القضايا التي تناولها ابن الانباري في عرضه للأضداد :

* هناك بعض الصيغ الصرفية التي أقر ابن الأنباري مجيء الأضداد منها ، وهناك صيغ أخرى استبعد مجيئه منها : فمن الصيغ الصرفية التي يجيء

(1) نفس المصدر السابق : ص ٦ .

(2) نفس المصدر السابق : ص ٦ - ٧ .

(3) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

منها الأضداد صيغة (فَعُول) ، يقول ابن الأنباري : (فَعُول) من حروف الأضداد. يقال رَكوب للرجل الذي يركب ، وركوب للطريق الذي يُركب ، وانشد : «يَدَعْنَ صَوَّانَ الحَصى رَكُوباً» .

أي مركوبًا ، وانشد لأوس بن حجر :

تَضَمَّنَهَا وَهـم رَكُـوبٌ كانه ... إذا ضَمَّ جنبيه المخارِم رَزْدَقُ

الرزدق : الصف من الناس ، وأصله أعجمي[1] .

وعلى هذا المنوال يتابع حديثه على صيغة «فَعُول» قائلاً : وكذلك (الفجوع) يكون الفاجع والمفجوع . ومثل ذلك (ذَعُور) تحتمل تأويلين أحدهما، ذعرت رجلاً يذعر الناس . وكذلك (الزجور) يقال للزاجر وللناقة التي لا تدرّ حتى تزجر . و(الرغوث) ، يقال : رغوث التي يرغثُها ولدها ، فيكون للمفعول ، ويقال : رَغوث للولد الذي يرغثها فيكون للفاعل . ومنه أيضًا (نَهُوز) و(غَمُوز) و (عصوب) و (شكوك وضغوث وعَرُوك). . .[2] .

أما عن الصيغ الصرفية التي استبعد ابن الأنباري مجيء الأضداد منها ، ما كان تضاده بين (فَعَل وأفعَل)[3] وما كان تضاده بين (فَعَل وفَعَّل)[4] ، واستبعد كذلك ما كان تضاده بين (فَعْل وفَعِل ومَفْعُول وفَعِيل)[5] ، وأخرج ما كان تضاده بين (فاعِل ومَفْعول)[6] .

* أخرج من الأضداد ما كان تضاده بين (الاسم والفعل) حيث اشترط

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣٥٦ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٣٧١ (خَذَمَت واخذمت) .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٤٠٠ (بَدَن وبَدَّن) .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ٤٠٦ (نَجْد ونَجِد ومَنجود ونَجِيد) .

(٦) نفس المصدر السابق : ص ٣٩٤ (الطاحي) .

ابن الأنباري من ناحية اللفظ (الشكل) أن يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين وكل منهما على وزن واحد وصيغة متشابهة ، وإلا فلا يجوز الحكم على ما شذ عن ذلك بالتضاد . يقول ابن الأنباري كمثال على ذلك : «قال قطرب : من الأضداد قولهم : (قد جَمَّرْتُ المرأة) ، إذا جعلتَ لها كالنَّزَعَتَيْن من حَلْق ونَتْف ، والنَّزْعة : ما ينحسر من شعر جانبي الرأس الذي يَعْضُد ، نابت في الجبين ، قال : ويقال للذؤابة جِمَار ، ويقال للمرأة جِماران، أي ذؤابتان ضُفِرتا مُقْبِلَتَيْن على وجهها» . ويقول ابن الأنباري معلقًا على ذلك بقوله : إن «قول قطرب : (جَمَّرت المرأة) ، و(لها جماران) من الأضداد ليس بصحيح ؛ لأن (جَمَّرت) لا يكون بمعنى وفَّرت الشعر ؛ ولا يقال: جمار لما يضادّ الذؤابة ، فلا وجه لإدخاله في حروف الأضداد»[1] .

* وتحدث ابن الأنباري عن التصغير ، فذكر أن «التصغير من الأضداد لأنه يدخل لمعنى التحقير ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول العرب : (أنا سُر يسير هذا الأمر) . أي أنا أعلم الناس به . ومن قول الأنصارى يوم السقيفة : أنا جذيلها المُحك وعذيقها المُرجَّب . اى أنا أعلم الناس بها فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير . والجُذَيل تصغير الجِذل وهو الجذع وأصل الشجرة. والمُحكَّك : الذي يُحتكّ به . أراد : أن يُشتفى برأيي كما تشتفى الإبل أولات الجِرب باحتكاكها بالجذع . والعُذيق تصغير العذق ، وهو الكباسة والشمراخ العظيم . والمُرجَّب الذي يُعمد لعظمه. وقال لبيد في هذا المعنى :

وكل أناسٍ سوف تَدْخُل بينهم ... دُوَيْهِيَّة تصفرّ منها الأنامِلُ[2]

فصغّر الداهية معظِّمًا لها ، لا محقِّرًا لشأنها ثم يدخل ابن الأنباري في

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٢) ديوانه : ص ٢٨ .

بحث نحوي في التصغير فيرى أنه ثمانية أوجه . إلا أن ما يهمنا منها هنا : تصغير العين لنقصان فيها كقولك : هذا حُجَيْر ، إذا كان صغيراً وكذلك هذه دويرة إذا لم تكن كبيرة واسعة . ويكون التصغير على جهة تحقير المصغَّر في عين المخاطب وليس به نقص في ذاته ولا صِغَر كقول القائل : ذهبت الدنانير فما بقي منها إلا دُنَينيرٌ واحدٌ . وكذلك هلك القوم فما بقي إلا أهل بُيَيْت . ويكون التصغير على معنى الذم كقولهم : يا فُوَيْسِق يا خُبَيْثُ .

ويكون التصغير على معنى الرحمة والإشفاق والعطف كقولهم للرجل : يا بُنيّ ويا أُخيّ ، وللمرأة : يا أخيَّة[1] .

* وذكر ابن الأنباري أن من الأضداد (الأفعال) . فيرجع في الفعل (يهوي) إلى قطرب لإثبات أنه من الأضداد ، فيقول : «يكون بمعنى يصعد ، ويكون بمعنى ينزل ، وأنشد :

«والدلوُ تهوي كالعُقَاب الكاسرة» وقال : معناه تصعد . والمعروف في كلام العرب ، هوت الدلو تهوى هوياً إذا نزلت . قال ذو الرمة[2] :

كأنَّ هَوِيَّ الدلو في البئر شَلَّهُ ... بذات الصُّوى آلافُهُ وانشلالُها

آلافه : جمع الف»[3] .

وفي تقديمه الفعل (أخفيت) الشيء إذا سترته ، واخفيته إذا أظهرته ، يستشهد بقوله تعالى : ﴿إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكَادُ أُخْفِيهَا﴾[4] . فمعناه أكاد أسترها ، وفي قراءة أُبَيّ (أكاد أخفيها من نفسي) فكيف أطلعكم عليها . ويذهب إلى أن

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) ديوان ذي الرمة : ص ٥٣٣ . انشلالها : طردها .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٧٩ .

(٤) سورة طه : الآية ١٥ .

تأويل من نفسي ، من قبلي ومن غي ، كما قال ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[1] . ويقال معنى الآية أن الساعة آتية أكاد أظهرها . ويقال خَفَيتُ الشيء إذا أظهرته ويستشهد على معنى الإظهار بقول الشاعر :

يَخْفِـي التُّراب بأظـلافٍ ثمـانيةٍ في أربَعٍ منهـن الأرضَ تَحْلِيـلُ[2]

وعلى معنى الاخفاء يقول الكنديّ :

فإن تَدْفِنُـوا الـدَّاءَ لا تَخْفِـهِ وإنَّ تبعَثُوا الحـربَ لا نَقْعُـدِ[3]

وفي (خبت النار) إذا سكنت وإذا حميت يستشهد بقول الكميت[4] :

ومِنَّا ضِرارٌ وابْنَماه وحاجِـبٌ مُؤَجِّ نيرانِ المكـارمِ لا المُخْبِـي

أراد بالمُخْبي المسكِّن للنار . ثم ينتهي ابن الأنباري إلى قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[5] . ويقول ابن الأنباري : «قال بعض المفسرين معناه توقدت . وهذا ضد الأول . ويروي عن الحجاج عن ابن جريج - بعد العنعنة - أنه قال في (كلما خبت) : خُبُوهـا توقدها ، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئًا ، صارت جمرًا يتوهج ، فإذا أعادهم الله عز وجل خلقًا جديدًا عاودتهم »[6] . ثم يتابع الاستشهاد والتأويل في هذين المعنيين .

* وذكر ابن الأنباري أن معنى الأضداد : (الأسماء) . ومن ذلك لفظة (اللحن) : يقال للخطأ ، ويقال للصواب . يقول ابن الأنباري : فأما كون

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢) المفضليات : ص ١٤٠ : تحليل تحلة قسم .

(٣) هو امرو القيس ، انظر ديوانه : ص ١٨٦ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ص ١٨/ ٢٤٤ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٩٧ .

(٦) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٧٥ - ١٧٨ .

اللحن على معنى الخطأ ، فلا يُحتاج فيه إلى شاهد . وأما كونه على معنى الصواب ، فشاهده قول الله عز وجل : ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾[1] . معناه في صواب القول وصحته . . . إلخ»[2] .

وكذلك لفظة (المستخفي) : يكون الظاهر ويكون المتواري . فإذا كان المتواري فهو من قولهم : قد استخفى : الرجل ، إذا توارى . وإذا كان الظاهر فهو من قولهم : خفيتُ الشيء ، إذا أظهرته . من ذلك الحديث المرويّ (ليس على المختفي قَطْع) معناه : ليس على النبّاش . وإنما سمّي النباش مختفيًا لأنه يخرج الموتى ، ويُظهر أكفانهم[3] .

ومن ذلك أيضًا لفظة (بعض) : تكون بمعنى بعض الشيء وبمعنى كله . قال بعض أهل اللغة في قول الله عز وجل حاكيًا عن عيسى عليه السلام ﴿ولأُبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾[4] . معناه : كل الذي تختلفون فيه . واحتج بقول لبيد[5] :

تَرّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضَها أو يعتلق بعضَ النُّفوسِ حِمَامُها

معناها : أو ما يعتلق كل النفوس ، لأنه لا يسلم من الحِمام هو القدر . ويتابع ابن الأنباري قائلاً : وقال غيره : بعض ليس من الأضداد ولا يقع على الكل أبدًا: وقال في قوله عز وجل: ﴿ولأُبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ : ما أحضُرُ من اختلافكم لأن الذي أغيب عنه لا أعلمه ، فوقعت (بعض) في الآية على الوجه الظاهر فيها . وقال في قول لبيد أو يعتلق بعض النفوس

---

(١) سورة محمد : الآية ٣٠ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٣٨ - ٢٤٦ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٧٦ .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٦٣ .

(٥) من المعلقة ، ص ١٥٥ ، بشرح التبريزي .

حِمامها ، أو يعتلق نفسي حمامها ، لأن نفسي هي بعض النفوس»[١] .

* كما ذكر ابن الأنباري أن من الأضداد : (الحروف) . ولكنها قليلة جداً في كتابه إذا قيست بالأسماء خاصة ، وبالأفعال عامة . ومنها : (لا) : ويكون هذا الحرف بمعنى الجَحْد وهو الأشهر فيها ، ويكون بمعنى الإثبات وهو المستغرب عند عوام الناس منها . فكونها بمعنى الجحد لا يُحتاج فيه إلى شاهد . وكونها بمعنى الإثبات ، شاهده قول الله عز وجل : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٢] . معناها : أنهم يرجعون . وكذلك قوله عز وجل : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[٣] . معناه أن تسجد ، فدخلت (لا) للتوكيد . ويستطرد ابن الأنباري إلى أربعة أوجه نحويه في (لا)[٤] .

* ومن الحروف التي تدخل في الأضداد عند ابن الأنباري (ما) ، حيث تكون اسمًا للشيء ، وتكون جحداً له ، وتكون مزيدة للتوكيد ، فيقول القائل: (طعامُكَ ما أكلْتُ) ، وهو يريد : طعامك الذي أكلتُه . فتكون (ما) اسمًا للطعام . وتقول : (طعامَك ما أكلتُ) ، وهو يريد : طعامَك أكلت ، فيؤكد الكلام بـ (ما) . وتقول أيضاً (عبد الله ما قام) على جحد القيام . و(عبد الله ما قام) على إثباته ، و(ما) زيدت للتوكيد . فكون (ما) جحداً لا يحتاج فيه إلى شاهد لشهرته وبيانه . وكونها اسمًا شاهده قول الله عز وجل : ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[٥] . وكونها مزيدة للتوكيد شاهده قول الله عز وجل : ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[٦] . معناه : من خطاياهم . وقوله

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٥ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٢ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢١١ - ٢١٦ .

(٥) سورة النحل : الآية ٩٦ .

(٦) سورة نوح : الآية ٢٥ .

أيضًا: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾[1] ، فمعناه : فبنقضهم ميثاقهم»[2] .

ومن الحروف التي اعتبرها ابن الأنباري من الأضداد (هل) : فتكون استفهامًا وتكون للتحقيق بمعنى قد ، يقول ابن الأنباري : «تكون استفهامًا عن ما يجهله الإنسان ولا يعلمه ، فيقول : (هل قام عبد الله؟) ملتمسًا للعلم وزوال الشك . وتكون (هل) بمعنى (قد) في حال العلم واليقين وزوال الشك. فأما كونها على الاستفهام ، فلا يحتاج فيه إلى شاهد . وأما كونها على معنى (قد) فشاهده قول الله عز وجل : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾[3] . قال جماعة من أهل العلم ، معناه : قد أتى على الإنسان .

ثم يستشهد بالحديث الشريف : قال النبي ﷺ في بعض غزواته : (اللهم هل بلّغت ؟) ، هل بلّغت ، فمعناه : قد بلّغت . وقال بعض أهل اللغة إذا دخلت (هل) للشيء المعلوم فمعناه الإيجاب والتأويل»[4] .

وبعد وفي ختام بحثنا يجدر بنا أن نذكر أنه مع هذا كله يظل كتاب (الأضداد) لابن الأنباري من أجل ما أُلّف في هذا الموضوع ، وأكمل المحاولات الجادة لدراسة هذه الظاهرة . فهو أوسع المصنفات في بابه خطرًا ، وأوسعها كمّاً وأحفلها بالشواهد وأشملها ، للعلل . فلقد أتى على جميع ما أُلّف قبله وأربى عليه ، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب وشواهد الشعر والحديث والقرآن ، في كثرة بالغة ، وإسهاب كثير ، مع عذوبة المورد ، ووضوح التعبير ، وإشراق الدلالة ، واطراد التنسيق وسهولة الأسلوب ، وأعانه على كل ذلك كثرة محفوظه ، ووفرة روايته ، ووضوح الفكرة في

---

(١) سورة النساء : الآية ١٥٥ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) سورة الإنسان : الآية ١ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٩١ - ١٩٥ .

عقله ، مع دقة التعليل وقوة الحجاج ، ثم استطرد لشرح الشواهد شرحًا أبان فيه المعنى الدقيق ، وكشف النقاب عن اللفظ الغريب . وقدّم لكتابه ببحث ضاف شامل ؛ انتصر فيه للعرب فيما ورد على ألسنتهم من ألفاظ الأضداد ؛ وأبان عن حكمتهم فيما أرادوا ؛ وعلل كل ذلك تعليلاً دقيقًا أمينًا ؛ وبهذا عُدَّ كتاب ابن الأنباري أشمل كتاب وأوفاه في هذا الموضوع ، ولذلك كان وما يزال المصدر الرئيسي الذي يُرجع إليه في هذا الباب من اللغة ، فقد نقل القدماء عنه كثيرًا واستشهدوا بآرائه في كل مصنفاتهم ومعجماتهم اللغوية ، بدءً من تلاميذ ابن الأنباري نفسه وانتهاءً بالبغدادي صاحب «خزانة الأدب» ، كما رجع إليه الباحثون المحدثون في دراساتهم القيّمة عن الأضداد ، وعدّوه أنضج الدراسات القديمة وأشهرها جميعًا .

المراجع العربية والأجنبية :

أولاً : المراجع العربية :

١ - د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦١ م .

- دلالة الألفاظ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- طرق تنمية الألفاظ في اللغة ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م - في اللهجات العربية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥ م - من أسرار اللغة ، المطبعة الفنية الحديثة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٢ - إبراهيم خورشيد وآخرون : نقلوا إلى العربية : دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب القاهرة د. ت .

٣ - د. إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريـخي ، دار الراشد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٤ - ابن أبي السرور : القول المقَضب ، تحقيق إبراهيم سالم ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٥ - ابن الأثير : المرصّع ، تحقيق د. إبـراهيم السامرائي ، مطـبعة الإرشاد ، بغداد ١٣٩١ - ١٩٧١ م .

٦ - ابن الأنباري (محمـد بن القاسم) : الأضداد ، تحقيق محـمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م .

٧ - ابن الجزري : النشر في القراءات العشر تحقيق على محمد الصبّاغ ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، د. ت .

٨ - ابن جني (أبو الفـتح عثمان) : الخصائص ، تحـقيق محمد علـي النجار ، مطـبعة دار الكتـب المصرية ، الـقاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م - سر صـناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وجماعة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤ م .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها ، تحقيق علي النجدي وآخرين ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٩ - ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٢٥ هـ - ١٣٢٧ هـ .

١٠ - ابن دريـد : الاشـتقاق ، تحقيـق عبد السـلام هارون ، مطـبعة السـنة المحمدية ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .

- جمهرة اللغة ، طبعة حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .

● الملاحن ، تحقيق إبراهيم أطفيش الجزائري ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .

١١ - **ابن الدهان** : الأضداد في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة دار التضامن ، بغداد ١٩٦٣ م .

١٢ - **ابن رشيق القيرواني** : العمدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، القاهرة ١٩٥٥ م .

١٣ - **ابن السراج** : الأصول في النجوم ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٤ - **ابن السكيت** : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م .

● الألفاظ ومعه تهذيب الخطيب التبريزي . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥ م .

● إصلاح المنطق ، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٦ م .

● الحروف : تحقيق د. رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٦٩ م .

١٥ - **ابن سيده** : المخصص ، طبعة بالأوفست ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت د. ت .

١٦ - **ابن الشجري** : الأمالي الشجرية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٤٩ هـ .

١٧ - **ابن فارس** : الاتباع والمزاوجة ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٨٤٧ م - الصاحبي، نشر المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .

- فتيا فقيه العرب ، تحقيق د. حسين علي محفوظ ، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨ م .
- مجمل اللغة ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١ م .
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٣٢٢ هـ - ١٩٧٢ م .

١٨ - ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ .

- أسماء الأضداد ، المنسوب للثعالبي ، مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء بالنجف .
- تاويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- عيون الأخبار ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- المسائل والأجوبة ، نشر مكتبة القدسي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- المعاني الكبير ، تحقيق سالم الكرنكوي ، حيدر أباد الدكن ١٩٤٥ - ١٩٥٠ م .

١٩ - ابن منظور : لسان العرب ، نشر دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٥ م .

٢٠ - ابن النديم : الفهرست ، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر د. ت . وطبعة فلوجل . وطبعة دانشكاه طهران ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

٢١ - **أبو بكر السجستاني** : غريب القرآن ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٢ - **أبو حاتم السجستاني** : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٧٣ م .

٢٣ - **أبو زيد الأنصاري** : النوادر في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، العلم ١٨٩٤ م .

٢٤ - **أبو الطيب اللغوي** : الإبدال ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

- الاتباع ، تحقيق عز الدين التنوخي نشر المجتمع ٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- الأضداد في كلام العرب ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ م .
- مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٢٥ - **أبو عبيد البكري** : سمط اللآلىء في شرح أمالي القالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦ م .

٢٦ - **أبو عبيد القاسم بن سلام** : الغريب المصنف ، مخطوطة بمكتبة النجف بالعراق .

٢٧ - **أبو عبيدة** : مجاز القرآن ، تحقيق د. فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م .

٢٨ - **أبو علي القالي** : الأمالي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .

● البارع ، تحقيق هاشم الطعان ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٧٢ م .
٢٩ - أبو العميثل الأعرابي : المأثور ، تحقيق فريتز كرنكو - لندن ١٩٢٥ م .
٣٠ - د. أحمد علم الدين الجندي : اللهجات العربية في التراث ، الدار العربي للكتاب ، طرابلس ليبيا ١٩٨٣ م .
٣١ - أحمد بن مصطفى اللبابيدي : لطائف اللغة ، دار الطباعة العامرة . د. ت .
٣٢ - أحمد مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
٣٣ - الأخفش : معاني القرآن ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥ م .
٣٤ - الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤ م .
٣٥ - د. إسرائيل ولنسون : تاريخ اللغات السامية ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م .
٣٦ - الإستانداني : معاني الشعر ، تحقيق عز الدين التنوخي ، وزارة الثقافة والسياحة ، دمشق ١٩٦٩ م .
٣٧ - الأصمعي : الإبل ، تحقيق د. أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٣ م .
● الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م .

٣٨ - **الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)** : المؤلف والمختلف ، طبعة القاهرة د. ت .

٣٩ - **أوغست هفنر** : ثلاثة كتب في الأضداد ، للأصمعي والسجستاني وابن السكيت ويليها ذيل في الأضداد للصغاني دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩١٢ م .

٤٠ - **البكري** : التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، تحقيق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦ م .

٤١ - **البطليوسي (أبو محمد عبد الله السيد)** : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق عبد الله البستاني ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٠١ م .

٤٢ - **ثعلب** : المجالس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٤٣ - **الثعالبي** : أسماء الأضداد ، المنسوب للثعالبي ، مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء ، النجف بالعراق .

- فقه اللغة وسر العربية ، ونشر المكتبة التجاري الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- يتيمة الدهر ، طُبع بنفقة على محمد عبد اللطيف ، مطبعة الصاوي القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .

٤٤ - **الجوهري** : الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٤٥ - **حجازي (محمود فهمي)** : علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة العمرانية للأوفست ١٩٩١ م .

٤٦ - الحريري : درة الغواص في أوهام الخواص ، طبعة بالأوفست عن طبعة لايبزك ، مكتبة المثنى بغداد د. ت .

٤٧ - د. حسين نصار : الأضداد ، مقالة مطبوعة بالرونيو لطلبة الدراسات العليا في القاهرة د. ت .

٤٨ - حمزة الأصفهاني : التنبيه على حدوث التصحيف ، تحقيق الشيخ حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٧ م .

٤٩ - الخطيب التبريزي : شرح مقصورة ابن دريد ، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٦١ م .

٥٠ - الخفاجي : شرح درة الغواص ، نشر نظارة المعارف ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

٥١ - الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٧ م .

٥٢ - ديوان الهذليين ، دار الكتب المصرية ، القسم الأدبي ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

٥٣ - الرضى : شرح الرضى على شافية ابن الحاجبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة د. ت .

٥٤ - د. رمضان عبد التواب : فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٥٥ - الزبيدي : تاج العروس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ - ١٩٧١ م .

٥٦ - الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) : الأمالي ، طبعة القاهرة، ١٣٣٤ هـ .

٥٧ - **الزمخشري** : أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود / مطبعة أولاد أورثاند ، القاهرة ١٩٥٣ م .

- الكشاف ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٦٥ هـ .
- المفصل في علم العربية ، دار الجيل ، بيروت ١٣٢٣ هـ .

٥٨ - **السنهوري** : شرح مثلثات قطرب ، تحقيق أوغست هفنر ولويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٤ م .

٥٩ - **د. السيد يعقوب بكر** : دراسات في فقه اللغة العربية، بيروت ١٩٦٩ م.

٦٠ - **السيرافي** : أخبار النحويين البصريين ، تحقيق الزيني وخفاجي ، طبعة مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥ م .

٦١ - **السيوطي** : الأشباه والنظائر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تصحيح أمين الخانجي / مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٦ هـ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت .
- همع الهوامع بشرح جميع الجوامع ، مصر ١٣٢٧ هـ .

٦٢ - **شوقي ضيف** : المدارس النحوية، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م.

٦٣ - **الصغاني** : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ .

- التكملة والذيل والصلة ، تحقيق عبد العليم الطحاوي وجماعة ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ .

٦٤ - **الطبري** : جامع البيان في تفسير القرآن ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، القاهرة ١٩٥٤ م .

٦٥ - **د. عبد الحميد الشلقاني** : رواية اللغة ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

٦٦ - **عبد الله العلايلي** : مقدمة لدرس لغة العرب ، المطبعة العصرية بمصر د. ت .

٦٧ - **العبكري** : التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق محمد علي البخاري ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت .

٦٨ - **علي بن حمزة** : التنبيهات ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٧ م .

٦٩ - **د. علي عبد الواحد وافي** : علم اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة د. ت .

- فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة د. ت .
- اللغة والمجتمع ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٨٤٧ م .

٧٠ - **الفخر الرازي** : التفسير الكبير ، المطبعة البهية بمصر د. ت .

٧١ - **الفراء (أبو زكريا بن زياد)** : معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٥ (الجزء الأول) ، والدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة د. ت . (الجزء الثاني) .

٧٢ - **فندريس** : اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ م .

٧٣ - **الفيروز أبادي** : بصائر ذوى التمييز ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٥ م .

٧٤ - **قطرب** : الأضداد ، تحقيق هانز كوفلر ، مجلة إسلاميكا ، المجلد الخامس ١٩٣١ م .

٧٥ - **كارل بروكلمان** : تاريخ الأدب العربي ، تعريب د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦١ م .

٧٦ - **المبرد** : الفاضل ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

- الكامل ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة د. ت .
- ما اتفق لفظه واختلف معناه ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٧٧ - **محمد فؤاد عبد الباقي** : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

٧٨ - **محمد المبارك** : فقه اللغة وخصائص العربية دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨ م .

٧٩ - **محي الدين توفيق إبراهيم** : ابن السكيت اللغوي ، مطبعة دار الجاحظ .

٨٠ - **د. مراد كامل** : دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، معهد الدراسات العربية العالي ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٨١ - **نشوان الحميري** : شمس العلوم ، تحقيق ك. و. سنز ستين ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٥٣ م .

٨٢ - **هاشم الطعان** : تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٨ م .

٨٣ - **الهمذاني** : الألفاظ الكتابية ، تحقيق لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء اليسوعين ، بيروت ١٩١٣ م .

٨٤ - **د. يحي كمال** : التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة ، طبعة بيروت ١٩٧٢ م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

(1) **Afnan, S. M. A** philosophical lexicon in Persian and Arabic Beirut 1969 .

(2) **Al**. Toma, S. J. The problem of diglossia in Arabic. Cambridge, Mass 1969 .

(3) **Al** - Yasin IZZ - al - din. The Lexical relations between Ugaritic and Arabic. New York 1952 .

(4) **Ansaldi, C. Il** Yemen nell a storiae nella Leggenda. Roma 1933 .

(5) **Beeston, A. F. L.,** The Arabic Language today. London 1970 .

(6) **Bergstrsser, G. Glosser des neuar** a mischen Dialekts von Ma'Lula. Leipzig 1921. Neudeuck: 1966 .

(7) **Bloomfield, L. Languager, New York 1922**, London 1934... 1967 .

(8) **Brokel mann, C. Arabische** Grammatik. Leipzig 1969 .

(9) **Cantineau, J. Ladialectologie** arab, In : orbis 1955, in : Etudes de linguistique arabe. Paris 1960 .

(10) Giese, Untersuchungen Uber Addad auf Grund Von steuen in Altarabischen Dichtern, Berlin, 1894 .

(11) **Ullmann, S,** Principles of semantics. Oxford 1957 .

(12) **Yush manov, N. V. The structure of the Arabic Language Trans, by: Moshe Perlmann. Washington, D. C. 1961** .

(13) **Younge, G. D. Concerdance of Ugaritic. Roma 1956** .

الاشتغال والتقديم
بين التوليديين والسيوطى

ا.د/ صلاح الدين صالح حسنين

أستاذ اللغويات بآداب بنى سويف

١ - المنهج التوليدى :

يدرس المنهج التوليدى بناء الجملة فى ضوء عدد من البنى ، هى البنية الدلالية ، والبنية التركيبية ، والبنية التداولية . ويدرس كذلك العلاقات بين الجمل .

١ : ١ البنى الدلالية والتركيبية والتداولية

١ : ١ : ١ البنية الدلالية

تعتمد البنية الدلالية على المعجم وعلى تكوين الإطار الحملى .

١ : ١ : ١ : أ المعجم : يضم المعجم مفردات اللغة ، ويقسمها إلى مفردات مجزدة ومشتقة . سأركز هنا على الأفعال باعتبار أنها تشكل المحمولات . ينقسم الفعل إلى مجرد ومزيد . يأتى الفعل المجرد على وزن فَعَلَ - فَعِلَ - فَعُلَ - فَعْلَلَ . ويشتق المزيد من المجرد على وزن : أفعل - فاعل - فَعَّلَ - افتعل - تَفعَّلَ - تفاعل .

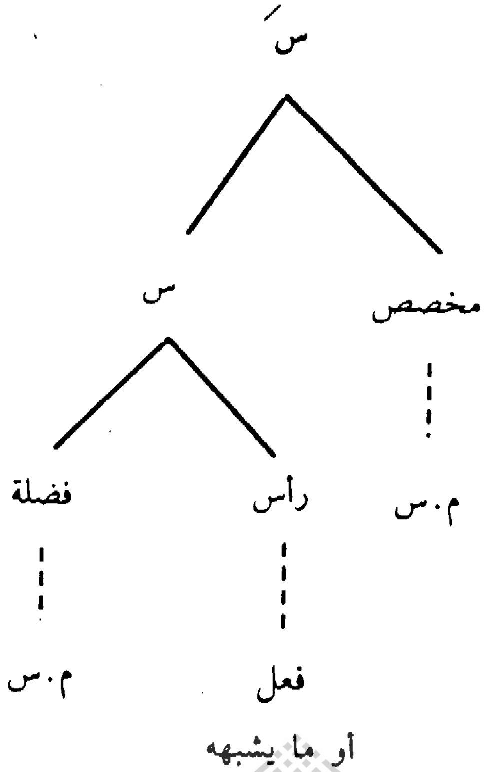
١ : ١ : ١ : ب الإطـار الحمـلـى : الذى يحدد الإطارَ الحـملى المحمولُ ، وصنفه التركيبى : هل هو فـعل أم وصف أم مركب حرفى أو مركب ظرفى أو مركب اسمى . ومـحلات الحدود التى يُرمز إليها بـالمتغيرات : س^{١} - س^{٢} - س^{٣} - س^{٤} . والوظائف الدلالية: المنفـذ والمُتقبَّل والمُتَقبَّل والمستفيد والمتأثر . وهذه الوظائف تحمـل محلات الحدود ، وقيود الاختيار التى يـفرضها المحمول على محلات حدوده الأساسية ، وهى التى تسمى بالموضوعات Arguments .

مثال : المحمول شَرِب وإطاره الحملى سيكون كالآتى :

الفعل	محلات الحدود	س^{١}	س^{٢}	س^{٣}	س^{٤}
شرب	الأدوار الدلالية	منفذ	تُتَقبَّل	زمان	مكان
الوحدات المعـجمية	قيود الاختيار	كائن حى	سائل مفيد	....	....
	شرب	الولد	الشايَ	صباحًا	فى المنزل

١:١:٢ البنية التركيبية :

تعتمـد البنية التـركيبية على نـظرية / سَ / ، والشكل الآتـى يوضح هذه النظرية :



ملحوظات :

(١) سَ هى العقدة الأم ، وتفرعت إلى عقدتين هما المخصص وس ، ثم تفرعت س إلى عقدتين هما الرأس والفضلة .

(٢) يُسند إلى المخصص م.س ويُسند إلى الرأس الفعل أو ما يشبهه ويُسند إلى الفضلة م.س .

(٣) يُسند إلى المخصص وظيفة نحوية هى الفاعل ، ويُسند إلى الفضلة وظيفة نحوية أخرى هى المفعول به .

(٤) إن ما سبق يوضح القواعد العامة فى اللغة الإنسانية Principles أما اللغة العربية فتخضع إلى قاعدة خاصة Para meters إلى جانب هذه القواعد العامة وتتمثل فى إصعاد الفعل إلى الصدارة نحو كتب الولد الدرس .

(٥) طبقًا لقاعدة العمل يُسند إلى الفاعل حالة الرفع ويسند إلى المفعول حالة النصب .

١:١:٣ البنية التداولية :

فى هذه البـنية تُسند الوظـائف التداولية ، والـوظائف التداوليـة نوعان : وظائف داخلـية ووظائف خارجية ، الـوظائف الداخلية هــى المحور والبؤرة ، والوظائف الخارجية هى المبتدأ ، والمسطـرة الآتية تحدد مواقع الوظائف النحوية والتداولية .

جـ

م٢	م٢	م٥	محمول	فاعل	مفعول	س
المبتدأ	الصدارة	(محور) / (بــؤرة)	فعل	محور	بؤرة	

١:١:٤ الوظائف التداولية الداخلية : هى المحور والبؤرة :

١ : ١ : ٤ :أ المحور

المحور هو المـكون الذى يشكـل الشىء المتـحدَّثَ عنه داخل الحـمل ، لذا يكون هذا الشىء هو القاسم المشترك بين المتكلم والمتلقى . وتسند هذه الوَظيفة إلى وظيفة من الـوظائف الدلالية الآتية : المنفذ - المـتقبَّل - المَتَقَبِّل - المفيد - والمستـفيد - الزمـان - المكان بشرط أن تـليها البـؤرة ، وإلاَّ فيقع المحـور بعد المحمول مباشرة . ويقع المحور داخل البنية الحملية أو فى م٥ .

المحور داخل البنية الحملية :

٥ - رجع زيدٌ البارحةَ

٦ - ضرب زيدٌ عمراً

٧ - أعطى زيدٌ الكتاب عمراً

٨ - ما عندى كتابٌ

٩ - أقائمٌ محمدٌ

١٠ - كان زيد متعبا

١١ - قرأت فى الليلة الماضية كتابا

ملحوظات:

١ - ما تحته خط فى الأمثلة السابقة محور ، لأنه وقع بعد المحمول مباشرةً ، وتليه البؤرة وفضلاً عن هذا نجد أن المحور أسند إلى العنصر الذى يحمل وظيفة المنفذ فى ٥ و ٦ و ٩ و ١٠ وأسند إلى العنصر الذى يحمل وظيفة المفيد فى ٧ ، وأسند إلى العنصر الذى يحمل وظيفة المُتَقَبَّل فى ٧ و ٨ وأسند إلى العنصر الذى يحمل وظيفة الزمان فى ١١

٢ - يلاحظ فى ٨ أن المحور أسند إلى عنصرين هما زيد والكتاب ، هذا يعنى أن المحور يمكن أن يُسند إلى عنصرين .

المحور فى م°

أوضحت أن المحور يُشكل الشيءَ المتحدَّثَ عنه وأنه يجب أن يُسبق بالحمل ، وعند وقوع المحور فى م° يفيد أيضًا المعلومة المتحدَّث عنها ، ولكنه فى هذا الموقع يحتاج إلى تفسير لذا نجد الحمل يقوم هنا بوظيفة هذا التفسير ، يقول الزمخشرى فى وصف ذلك «ومن المنصوب باللازم إضماره ما أضمر عامله على شريطة التفسير فى قولك زيدًا ضربته كأنك قلت ضربتُ زيدًا ضربته، إلاَّ أنك لا تبرزه استغناءً بتفسيره (شرح المفصل ١/ ٣٠) . ويقول ابن الحاجب فى باب المنصوب على شريطة التفسير «الثالث : ما أضمر عامله على

شريطـة التفسير ، وهـو كل اسم بعده فعـل أو شبهه مشـتغل عنه بضـميره أو متعلقـه لو سُلِّط عليه هو أو مناسبـه لنصبه ، نحو : زيدًا ضـربته وزيدًا مررت به، وزيدًا ضربتُ غلامَهُ ، وزيدًا حبست عليه ، يُنصب بفعل يفسره ما بعده ، أى ضربت وجاوزت وأهنت ولابست» (شرح الرضى على الكافية ١/ ٤٣٧ من عمل يوسف حسن عـمر) ، وقد أطلق السيوطى وشراح ألفيـة ابن مالك على ظاهرة التـفسير هذه مصطـلح الاشتغال على أسـاس أن الحمل مشتغل بـضمير يعود على الاسم المنصوب الواقع قبل الحمل بشرط أن الحمل أو ملابسه يكون صالحًا لنصب هذا الاسم لولا وجود هذا الضمير (الهمع ٥/ ١٤٩ تح عبد العال سالم مكرم) .

١ : ١ : ٤ : ب البؤرة :

تسنـد البؤرة إلى المـكون الذى لا يدخل فـى القاسم المشـترك بين المتـكلم والمتلقى ، ومن ثم تمثـل البؤرة معلومة كان المتلقى يجهـلها قبل الحديث ، لذا تسمى ببؤرة الجديد Focus of hew .

هناك مكـونات لها الأسبقيـة فى إسناد البؤرة إلـيها هى المكونات الـتى لها وظائف دلالية مثل الحال والعلة والمكان والزمان . وقد يضاف إليها مكونات لها وظائف دلالية وتركيبية هى المفعـول والفاعل الذى يكون دور أى منهما الدلالى هو المتقبِّل أو المستفيد أو الاستفادة كل ذلك بشرط وقوع العنصر بعد المحور .

أمثلة :

١٢ - تصبَّبَ زيدٌ عَـرَقًا

١٧ - جاء زيد مبتسـما

١٤ - وقف خالدٌ احتـراما لأبيه

١٥ - عاد زيدٌ من السفر أمسِ

١٦ - شرب خالدٌ شايا

١٧ - رأى خالدٌ زيداً

١٨ - أعطى زيدٌ عليا الكتاب

١٩ - يقرأ زيدٌ حتى الشعر

ملحوظات :

ما تحته خط فى الأمثلة يمثل المعلومة الجديدة التى كان المتلقى يجهلها قبل الحديث وقد أسندت البؤرة إلى العناصر التى تحمل هذه المعلومة الجديدة . وكما يلاحظ فإن لهذه العناصر وظائف دلالية ، كالتمييز فى ١٢ والحال فى ١٣ والتعليل فى ١٤ والزمان فى ١٥ أو وظائف دلالية وتركيبية كالمفعول فى (١٦) وهو يحمل وظيفة المتقبل ، وفى (١٧) وهو يحمل وظيفة المتقبَّل أيضًا وكذلك فى ١٨ و ١٩ .

١:١:٥ الوظائف التداولية الخارجية :

١ : ١ : ٥ : أ المبتدأ Theme :

المبتدأ هو العنصر المشترك بين المتكلم والمتلقى ، ويُشكل فضلاً عن ذلك موضوع الحديث الذى تعبر البنية الحملية عنه .

مثال : السيارة ، نجا سائقها من الموت .

السيارة هى المعلومة التى تمثل العنصر المشترك بين المتكلم والمتلقى، فهى إذن الموضوع الذى ستلقى الضوء عليه البنية الحملية التالية :

نجا سائقها من الموت

مقولاته : قد تكون مقولات المبتدأ : جـ أو م.س أو ضمير

أمثلة :

٢٠ - أما إنك قد نجحت فى الامتحان ، فذلك ما كنتُ أتوقَّعُ

٢١ - الإنسان قد تأكدت من ضعفه

٢٢ - السمن ، منوانِ منه بدرهم

٢٣ - زيد : قام أبوه

٢٤ - هو : زيد قام

فى ٢٠ المبتدأ جـ وهو أما إنك قد نجحت فى الامتحان ، وفى ٢١ و ٢٢، ٢٣ المبتدأ م. س هو على التوالى : الإنسان - السمن ، زيد وفى ٢٤ المبتدأ ضمير (هو) .

إحاليته : المبتدأ عنصر محيل ، أوضحت من قبل أن المبتدأ يمثل المعلومة المشتركة بين المتكلم والمتلقى ، لذا يجب أن يكون هذا العنصر محيلاً ، بمعنى أن يكون المتلقى قادراً على التعرف على ما تُحيل إليه العبارة ، لأنه مرتبط بالوضع التخابرى . والأمثلة من ٢٠ - ٢٤ توضح أن المبتدأ إحالى .

موقعه : يقع المبتدأ فى م٢ لأن م١ موقع مخصص للأدوات الصدور كأدوات الاستفهام ، والمؤكِّدات نحو

٢٥ - زيد هل لقيت أباه

٢٦ - زيد إن تكرْمهُ يكرِمْك

٢٧ - محمد إنه تلميذ مُجدٌ

الرابط : يحتاج المبتدأ إلى رابط يربطه بالبنية الحملية التالية له ، ويكون هذا الرابط غالبًا ضميرًا نحو :

٢٨ - زيد أبوه مريض

٢٩ - زيد قام أبوه

ويرى التوليديون أن المبتدأ فى كثير من أحواله ناشئ عن تفكيك بناء الجملة بتقديم أحد عناصرها إلى م٢ ، وهو موقع خارجى عن الجملة ، ثم إعادة بنائها من جديد وتكوين بنية تركيبية مدمجة . إن إعادة البناء من جديد يحتاج إلى الرابط ، أى الضمير ، وتفسير ذلك أن العنصر المنقول يراقب موضعه الأساسى فى البنية الدلالية ، لذا يخلف أثرا مملوءًا يتطابق مع العنصر المنقول فى السمات الذاتية دون السمات الوظيفية . وأقصد بالسمات الذاتية . الشخص والجنس والعدد ، وأقصد بالسمات الوظيفية الإعراب ، فالضمير الأثر يقع فى نفس الموقع الذى كان العنصر المنقول يحتله فى البنية الدلالية ، أما العنصر المنقول نفسه فيستقبل حالة تركيبية أخرى عند نقله إلى م٢ ، وهذه الحالة هى الرفع .

أمثلة :

٣٠ - أبو زيد مريض ← زيد أبوه مريض

٣١ - قام أبو زيد ← زيدٌ قام أبوه

١ : ٢ العلاقات بين الجمل :

إن ما سبق يمثل بناء الجملة الأساسية ، ولكن الوضع الاتصالى بين المتكلم والمتلقى يتطلب تغييرًا فى بناء الجملة لإيضاح معنى تداولى معين أو لإيضاح سمة أسلوبية معينة . والذى يهمنا فى هذا التغيير هو مسألة التقديم . يعتمد التقديم على نظرية حرك ألفا Move A وتعتمد هذه النظرية على نظريتين فرعيتين ، هما نظرية القيود Bounding Theory ونظرية الروابط Binding Theory ، ومجال عمل هاتين النظريتين هو نقل العنصر من موقعه الأساسى ، ومجال عمل النظرية الأولى هو نقل العنصر مع المحافظة على بنية الجملة ، ويترك العنصر المنقول أثرًا . ومجال عمل النظرية الثانية هو نقل العنصر مع تفكيك الجملة ، ومن ثم يصبح العنصر المنقول خارج نطاق الجملة ، ويفقد وظيفته التركيبية داخل جملته ، وتصبح له وظيفة تداولية فقط ، لذا يترك العنصر المنقول ضميرًا رابطًا .

٢ - نظرية القيود :

أوضحتُ أن مجال هذه النظرية هو نقل العنصر من مكانه الأساسى إلى الموقع م° ، وهو موقع تداولى . ويترك العنصر المنقول أثرا ، يتحدد هذا الأثر فى ضوء الوظيفة التداولية للعنصر المنقول ، فإن كان العنصر المنقول بؤرة فإنه سيترك أثرًا فارغا وإن كان محورًا فإنه سيترك أثرًا سواء فارغا أو مملوءًا، وقاعدة هذا الأثر أنه يرشد إلى المكان الأساسى للعنصر المنقول فى البنية الدلالية ، وهذا الأثر يطابق العنصر المنقول فى السمات الذاتية وأقصد بها الشخص والنوع والعدد ويطابقه أيضًا فى الوظيفة النحوية .

مثال :

قابل عَمْـرٌ زيـدًا ← زيـدًا قابـل عمـرٌو ø

فى المثـال السابق عـمرو هو المحور وزيـدًا هو البؤرة ، وقـد نُقل العنـصر (زيدا) وهو يحمل وظـيفة البؤرة إلى مø وترك أثرًا يشير إلـى موقعه الأساسى فى البنية الدلاليـة ، وهذا الأثر فارغ يطابق العنصر المنقول فـى السمات الذاتية وهى الشخص والجنس والعدد ويطابقه أيضًا فى السمات التركيبية .

٢ : ١ تقديم *الفاعل* :

١ - محبُوسٌ أنت على زيـد ← أنت محبوس ø على زيد

هنا يلاحظ أن الجملة الأساسية تبدأ بالوصف، وأنت نائب فاعل لهذا الوصف، ويجوز هذا طبـقًا لمبدأ الكوفيين، وقد قُدِّم العـنصر أنت إلى مø فحافـظ على وظيفته التركيبية، وترك أثرًا فارغًا يطابقه فى السمات الذاتية والتركيبية .

٢ - ضـــاربٌ زيـــدٌ هـندًا ← زيـدٌ ضاربٌ ø هندًا

هنا يلاحظ أن الجملة الأساسية تبدأ بالوصف ، وزيدٌ فاعل لهذا الوصف، طبقًا للمذهب الكوفـى ، ثم قُدِّم العنصر زيدًا إلى مø وترك أثرًا فارغًا لـيشير إلى مكانه الأساسى فى البنية الدلالية .

٣ - يضربُ زيدٌ عمرا ← زيـدٌ يضربُ ø عمرًا ← لزيدٌ يضربُ عَمْرًا

هنا يـلاحظ أن الجملة الأساسـية تبدأ بالـفعل وزيدٌ هو الفـاعل ، ثم قُدُّمَ العنصـر (زيد) إلى مø فحافـظ على وظيفـته التركيـبية وترك أثرًا فارغًا يـطابق العنصر المنقول فى سماته الذاتية والتركيبية .

ويلاحظ أيضًا أن لام الابتداء تصدرت زيداً فأصبح التركيب لـزيدٌ يضرب عمرا وهذه اللام تحتل الموقع م[1] . وهذه اللام هى لام تأكيد فى الأصل ، ولكن لما كان المحور عنصراً مشتركا بين المتكلم والمتلقى أطلق عليها النحاة لام الابتداء .

٤ - أظَنَّ زيدٌ نَفْسَهُ منطلقا ← أزيد ظنَّ ⌀ نفسه منطلقا ← أزيد ظنه منطلقا

٥ - أظنَّ الزيدان أنفسيهما منطلقين ← الزيدان ظنا أنفسيهما منطلقين ← الزيدان ظنًّا هما منطلقين

هنا يلاحظ أن جـ٤ و جـ٥ تبدأن بهمزة الاستفهام، ثم يلى الهمزة الفعل فالفاعل والمفعول به هنا هو العنصر نَفسَهُ ، وهنا يلاحظ أن العنصر (نفسه) ليس توكيدًا وإنما هو مفعول به وقد قُدِّم زيدٌ إلى م⌀ لذا نلاحظ أنه سبق بهمزة الاستفهام لأن همزة الاستفهام تقع دائمًا فى م[1] ونحن نعرف من المسطرة السابقة أن م[1] تسبق م⌀ .

حدث بعد ذلك أن حذف العنصر (نفس) واكتفى بالضمير فلحق بالفعل وهو ضمير فى محل نصب مفعول به .

يقول السيوطى هنا إن العنصر (زيد) لابد أن يكون مرفوعا وأن ضمير الهاء لا يعود على زيد ، ونحن عرفنا أن العنصر (زيد) فاعل والضمير العائد عليه فارغ أو مستتر والهاء فى محل نصب مفعول به . (راجع الهمع ٥/ ١٥٠) يقول الرضى إن الاسم الذى بعده فعل مسند إلى ضمير متصل راجع إليه لا يجوز فيه إلاَّ الرفع نحو زيد ظنَّه منطلقا ، وذلك أنك لو سلطت عليه الفعل المؤخر وقلت زيداً ظنَّ منطلقا لم يجز لأن المفعول المقدم على الفعل لا يُفَسِّر الضمير المسند إليه ذلك الفعل ، إلاَّ إذا كان الضمير منفصلا ، فلا يقال : زيدًا ضرب، على أن الضمير عائد إلى زيد ، ويجوز ذلك فى المنفصل ، نحو زيدًا لم يضرب إلاَّ هو (الرضى ١/ ٤٤٣) .

يفهم من كلام الرضى السابق أن ضمير الهاء فى «زيد ظنه منطلقا» لا يفسره العنصر (زيد) السابق ، لأنه بلغتنا نحن نكون قد أهدرنا الفاعل من بناء الجملة وهذا لا يجوز ، لذا فالذى يفسر زيد هو الأثر الفارغ أو الضمير المستتر، والدليل على هذا أنه إذا اتى بالضمير المنفصل نحو (هو) فإنه يجوز أن يكون العنصر (زيد) منصوبا ، وفى هذه الحالة يترك أثرا فارغا ويكون هذا من باب تقديم البؤرة وليس من باب تقديم المحور .

٥ - قال تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الإنشقاق : ١- ٥)

يقول الرضى إن النحاة اختلفوا فى إعراب الاسم الواقع بعد إذا الظرفية المُضمنّة معنى الشرط ، نُقل عن الكوفيين أنها كإذ فى جواز وقوع الجملتين بعدها ، إلاّ أن الجملة الاسمية لابد أن يكون الخبرُ فيها فعلا ، ونُقل عن سيبويه والأخفش موافقتهم فى جواز وقوع الاسمية المشروطة بعدها ، لكن على ضعف ، والأكثر كونها عندهما فعلية ، إما ظاهرة الفعل نحو إذا جاء زيدٌ ، أو مقدرة نحو إذا السماء انشقت ، أى إذا انشقت السماء انشقت ، ونقل عن المبرد اختصاصها بالفعلية ، فيجب عند تأويل نحو قوله قوله تعالى : إذا السماء انشقت بالفعلية أى إذا انشقت السماء .

وإنما لم يوجب سيبويه والأخفش الفعل بعدها لأنها ليست عريقة فى الشرط كإن ولو ، ولا ظاهرة فى تضمين معناه كمن ومتى . وأما على مذهب المبرد فينبغى الاَّ يجوز بعدها الرفع إلاَّ على وجه أذكره ، وهو أن يرتفع (ما بعدها) بالفعل المقدر الذى هو لازم ذلك الفعل الظاهر» (شرح الكافية ١/ ٤٦١) .

يفهم مما سبق أن إذا ظرف، ويقول ابن هشام إن إذا ظرف يفيد الاستقبال، (المغنى/ ١٢٧) وأنها تضاف إلى الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية غير الأكثر

أن تضاف إلى الجملة الفعلية ، وإذا أُضيفت إلى الجملة الاسمية فيشترط أن يكون خبرها جملة فعلية .

إذا علمنا أن الظرف يتعلق دائمًا بفعل وأنه من ناحية أخرى يضاف إلى جملة فهذا الكلام يعنى بلغتنا نحن وجود جملتين ، نحو أحْضُرُ إليك إذا انتظرتنى ، فإذا ظرف متعلق بأحضر وهو مضاف إلى جملة انتظرتنى . هذا من الناحية التركيبية ، أما من الناحية الدلالية فإننا نلاحظ أن جملة أحضر إليك تمثل نتيجة ، وأن جملة انتظرتنى تمثل السبب ، هذا يعنى أن الجملة المصدَّرة بالظرف إذا تدمج بالجملة الأساسية .

وهنا يجب أن أشير إلى أن جملة الشرط تقدم جملة السبب وتؤخر النتيجة، فيقال : إن انتظرتنى أجئْكَ ، وتسبب القياس فى تضمين الظرف إذا معنى الشرط كما يقول ابن هشام (المغنى/ ١٢٧) وفى هذه الحالة تقدم الجملة التى توضح السبب على الجملة التى توضح النتيجة لذا يقال إذا انتظرتنى أجيئك، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ (النصر : ١-٣) .

ولما كان النحاة يشترطون فى جملة الشرط أن تكون فعلية ، ولما كانت إذا ظرف ثم ضُمِّن معنى الشرط ، فهذا يعنى كما يقول الرضى أنها ليست عريقة فى باب الشرط لذا أوضحوا أن إذا تدخل على الجملتين الفعلية والاسمية . وتدخل بكثرة على الفعلية ولكنها تدخل بقلة على الجملة الاسمية ، وحتى الاسمية التى تدخل عليها فاشترطوا فى خبرها أن يكون جملة فعلية ، إلاّ أن المبرد اشترط أن تدخل إذا على الجملة الفعلية أسوة بجملة الشرط التى يجب أن تكون جملة فعلية ، ويقول إن الفعل فى هذه الجملة قد يكون ظاهرا نحو قوله تعالى : إذا جاء نصر الله والفتح ، أو مقدرًا نحو قوله تعالى : إذا السماء انشقت وتقديره إذا انشقت السماء انشقت .

اما فى ضوء منـهجنا نحن ، فنرى أن الـسماء فى قوله تعالـى : إذا السماء انشقت عنصر يحمل وظـيفة المحور وانه يحتل الموقع م٥ ونحن بهذا إنما نؤيد رأى سيبويه والأخفش من ناحية ، ورأى الكوفيين بأن (السماءُ) فاعل مقدم من ناحية أخرى ، لأننا رأينا أن السـماء فى الأصل فاعل ثم قدم إلى م٥ ، وعلى هذا فالاسم الـواقع فى م٥ قد يكون مبـتدأ عند سيبويه والأخـفش وقد يكون فاعـلاً مقدمًا عـند الكـوفيين وقـد يكون فـاعلا لفـعل محـذوف عند المـبرد ، واختلاف هـذه الآراء يرجع إلى الـقياس علـى الشرط المبدوء بإذا ، فسيـبويه والأخفش يجيزان دخـول إذا على المبتدأ أما الكوفيون والمبـرد فيرون أن جملة الشرط فعلية ، ويجـيز الكوفيون تقديم الفاعل فى هـذه الحـالة ، ولكن المبرد لا يجـيز تقديم الـفاعل لـذا يقـدر فعلاً محـذوفا . أما فـى ضـوء التفسـير التوليـدى فإن الفاعل قُدّم إلى م٥ لأنه محور ويرى التوليـديون أن الفاعل هنا هو ما يسمى بـ real topic .

وقد جاء الاسم المـرفوع أيضًا بعد أداة الشرط (إن) ، قـال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (التوبة/٦) ، وقال : ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (النساء : ١٧٦) ، وجاء أيضًا بعد لو قال تعالى : ﴿قُل لَّوْ أَنـتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنـفَاقِ﴾ (الإسراء : ١٠٠) ، جاء فى المثل : لو ذات سِوَارٍ لطمتنى (المغنى / ٣٥٣) . جاء فى المغنى الفعل بعـد إن ولو محذوف ، وأنه يطرد حذفه مُفَسَّرًا ، أى مُفَسَّرًا بـفعل بعده (المغنى/ ٨٢٧) ، وجاء فى تـفسير القرطبى «أحَدٌ» مرفوع بإضـمار فعل كالذى بعده ، وهذا حَسَنٌ فى إنْ ، وقبـيحٌ فى أخواتها ، ومذهب سيـبويه فى الفرق بين (إنْ) وأخواتها ، أنـها لما كانت أمَّ حروف الشرط خُصَّتْ بـهذا ، ولأنها لا تكون فـى غيره» . (القـرطبى ، الجامـع لأحكام القـرآن الكريم/ ٧: ٧٧) ، وجاء فى تفسير البحر المحيط : «والمستقر فى «لو» التى هى حرف لما كان سيقع

لوقوع غيره أن يليها الفعل إما ماضيا وإما مضارعا ، كقوله : (لو نشاء لجعلناه حطاما) ، أو منفيا بلم أو إنْ ، وهنا فى قوله : «قل لو أنتم تملكون» وليها الاسم ، فاختلفوا فى تخريجه ، فذهب الحوفى والزمخشرى وابن عطية وأبو البقاء وغيرهم إلى أنه مرفوع بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ، ولما حُذف ذلك الفعل ، وهو تملك ، انفصل الضمير وهو الفاعل بتملك ، كقوله:

وإنْ هُو لم يَحْمِلْ على النَّفْس ضَيْمها فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

التقدير : وإن لم يحمل ، فحذف لم يحمل ، وانفصل الضمير المستكن فى يحمل ، فصار هُو ، وهنا انفصل الضمير المتصل البارز وهو الواو فصار أنتم ، وهذا التخريج بناءً على أن لَوّ يليها الفعل ظاهرا أو مضمرا فى فصيح الكلام ، وهذا ليس بمذهب البصريين ، قال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور : لا يلى (لو) إلاّ الفعل ظاهرا ، ولا يليها مضمرا إلاّ فى ضرورة أو نادر كلام ، مثل ما جاء فى المثل من قولهم : لو ذاتُ سِوَارٍ لطمتنى» ، وقال شيخنا الأستاذ أبو الحسن بن الصائغ : «البصريون يصرحون بامتناع : لو زيدٌ قام لأكرمته ، على الفصيح ، ويجيزونه شاذا ، كقولهم : لو ذاتُ سوَار لطمتنى ، وهو عندهم على فعل مضمر ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (التوبة/ ٦) ، فهو من باب الاشتغال . وخَرَّج ذلك أبو الحسن ، على بن فضال المجاشعى ، على إضمار كان ، والتقدير : قل لو كنتم أنتم تملكون ، فظاهر هذا التخريج أنه حذف كنتم برمته وبقى أنتم توكيدًا لذلك الضمير المحذوف مع الفعل ، وذهب شيخنا الأستاذ أبو الحسن الصائغ إلى حذف (كان) فانفصل اسمها الذى كان متصلا بها ، والتقدير : قل لو كُنتم تملكون ، فلما حذف الفعل انفصل المرفوع ، وهذا التخريج أحسن لأن حذف كان بعد لو معهود فى لسان العرب (أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦/ ٨١ - ٨٢) .

يفهم مما سبق أن الجملة المبدوءة بـ (إن) أو بـ (لو) هى جملة

فعليـة ، فإذا حدث أن جاء اسم مرفوع بعـدها فإنه يكون فاعلا لفعل محذوف يُفَسِّرُهُ الفعل التالى لهذا الاسم ، ويكون هذا إذن من باب الاشتغال ، هذا هو رأى النحاة كافة ، وهناك من يرى أن المحذوف بعد لو هو كان ، وهذا يعنى أن الاسم المرفوع بعد لو هو اسم لكان المحذوفة ، أما تفسير هذا الموقف فى ضوء الناحية التوليدية فهو أنه حدث تقديم للفاعل واحتل م ه .

٦ - أزيدٌ قام : يقول الرضـى ، الفعل فى هذا المثال لا يحمل علـى التفسير ، بل نقـول : هو مبتـدأ لا فاعل فعل مـقدر ، وإن كانت الـهمزة بالـفعل أولى، لأننـا لم نضطر إلـى جعل الفعـل مُفَسِّرًا ، إذ الهمزة تدخـل على الجملة الاسمية أيضًا ، وهذا مذهب سيبويه والجرمى ، واختار الأخفش أن يرفع زيد بفعـل مُقدَّر مُفَسَّر بالظاهر نظرًا إلى همـزة الاستفهام ، ومن ثَمَّ قال سيبويه فى نحو : أأنـت زيدٌ ضربته «إن رفع زيد أولى ، لأن أنت مبتدأ لا فاعل ، علـى ما قدَّمناه ، فبقى خبر المبتـدأ وهو : زيد ضربته ، بلا همزة استفهام ، فرفعه أولى من نصبه «شرح الكافية ١/ ٤٤٧» .

يفهم مما سبق أن الاسـم المرفوع بعد همزة الاستفهام هو مبتـدأ عند سيبويه والجرمى ، وفاعل لفعل محذوف يفسره الظاهر عند الأخفش . وهو محور فى ضوء النظرية التوليدية يحتل الموقع م ه .

الخلاصة :

يرى النـحاة أن هناك وظيفـتين نحويتـين متميزتـين هما المبتدأ والـفاعل ، فالمبتدأ يقع فى بـداية الجملة الاسمية ويكون له خبر ، والفـاعل اسم يقع بعد الفعل أو مـا يشبهه فى الجمـلة الفعلية . ويـرى النحاة أن جملة الـشرط التى تتصدرهـا إن أو لو جملة فعلـية ، ولذا يرون أنه لا بد أن يلـى هاتين الأداتين الفـعل ، فإذا حـدث وجاء الاسم مـرفـوعا فـيفسـر ذلك علـى أنه مـن باب

الاشتغال ، ويكون رافع هذا الاسم فعلا محذوفا يفسره هذا الظاهر . واختلف النحاة فى جملة الشرط المتصدرة بـ إذا ، فهى عند سيبويه والأخفش جملة اسمية وعند الآخرين جملة فعلية ، ولكن هؤلاء انقسموا قسمين ، قسم يرى أن الفاعل مقدم ، وهؤلاء هم الكوفيون ، وقسم آخر يرى أن الفاعل لا يقدمُ، لذا يقدر ، فعلاً محذوفًا ، وتكون الحالة إذن من باب الاشتغال . وكذلك اختلف النحاة فى الاسم المرفوع بعد همزة الاستفهام ، فسيبويه والجرمى يريان أنه مبتدأ لأن همزة الاستفهام قد تدخل على الجملة الاسمية «الهمع ١٦٠/٥»، ويرى الأخفش أن الاسم المرفوع بعد الهمزة فاعل لفعل محذوف يفسره الظاهر ، ومن ثم يكون ذلك من باب الاشتغال ، وهناك من يرى أن (زيد) فى نحو (زيد قام) فاعل الفعل محذوف ، نقل السيوطى هذا الرأى عن ابن العريف أبى الحسين بن الوليد وهو على كل حال ذو نزعة كوفية (الهمع ١٦/٥) ، كما أرى .

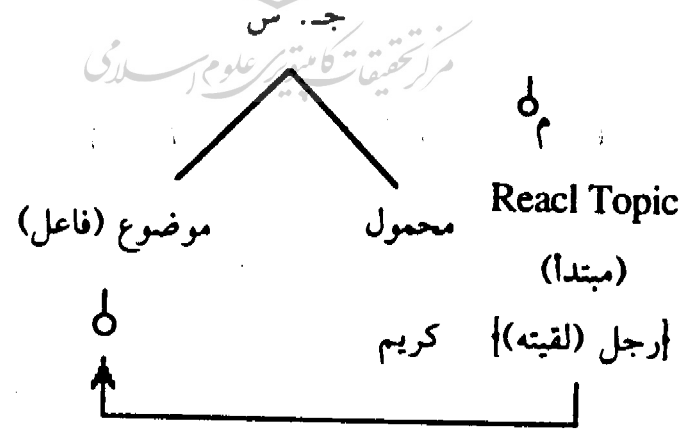
وفى ضوء النظرية التوليدية نرى أن الفاعل يقدم إلى م٠ ونظرًا لأنه يحمل وظيفة المحور Real Topic فإنه يخلفه أثر فارغ أو مملوء ، ويبدو أن النحاة العرب يرون أن الاسم الذى يحمل وظيفة المحور هو مبتدأ عندهم ، وسنرى فيما بعد أن المبتدأ هو الذى يحمل وظيفة المحور سواء احتل م٠ ويسمى real Topical أو احتل م٢ ويسمى Theme .

٧ - أيُّهم أضربُه حرٌّ ورجل لقيتُه كريمٌ . يقول الرضى إن الرفع واجب فى الموصول والموصوف لأن الصلة والصفة مع الموصول والموصوف فى تأويل اسم مفرد ، فلو عملتا فيهما لكان كل واحدة منهما مع مفعولها المقدم كلاما ، فالرفع إذن واجب فى نحو أيُّهم أضربه حرٌّ ، على أن أيًّا موصول ، وكذا قولك : رجل لقيته كريم .

والذى أراه فى ضوء النظرية التوليدية أن البنيتين العميقتين للمثالين السابقين هما :

أ - حرٌّ أيُّهم اضربه ، فأيُّهـم فاعل وهو اسم موصول ويجـب إضافته إلى الضمير واضربه صلة الموصول ، ثم قدم {أيهم اضربه} إلى م٥ فاصبح التركيب {أيُّهم اضربه} حرٌّ .

ب - كريم رجل لقيته : رجل : فاعل ولقيته جملة فى محل رفع صفة ، ثم يُقدم العنصر {رجل لقيته} إلى م٥ فتصبح البنية رجل لقيته كريم . فرجل هنا مبتدأ كما يقول النحـاة وأصله فاعل كما عرفنا أو هو محور حقيقى Reap Topic كما يـقول التوليـديون ولقيته جـملة فعلـية فى محل رفع صــفة . وكريم هو الخبر كــما يقول النحـاة أو هو المحمول كما يقول التوليديون ، والرسم الآتى يوضح ذلك :



٢ : ٢ تقديم المفعول به :

١ - ضربتُ زيداً البارحة

العنصر (زيدا) هنا يحمل وظيـفة المحور ، وسيقدم إلى م٥ ، لذا سيخلف

هذا العنصر أثر مملوء ، وأقصد به ضمير متصل يتطابق مع العنصر المقدم فى السمات الذاتية والوظيفية ، تشمل السمات الذاتية الجنس والعدد وتشمل السمات الوظيفية الوظيفة النحوية ولما كان العنصر زيد مذكرا مفردا منصوبا فإن الضمير الذى سيخلفه سيكون مذكرًا مفردًا منصوبًا ، هذا هو ضمير الهاء ، وبعد النقل ستصبح صيغة الجملة كالآتى :

مه   جـ

حمل   فاعل   مفعول   ظرف زمان

زيدًا   ضـربتُـ   ـه   البارحةَ

٢ - اضرِبْ زيدًا عندما يهمل

المحمول فى هذه الجملة وهو اضرب فعل طلبى ، والفعل الطلبى يفيد الأمر أو النهى أو الدعاء ، ويتحقق الطلب بثلاثة وسائل : وسيلة معجمية ووسيلة نحوية ووسيلة تداولية . الوسيلة المعجمية أن يأتى الفعل فى صيغة الأمر نحو اضرب والوسيلة النحوية أن يدخل على المضارع لام الأمر نحو ليضرب والوسيلة التداولية هى أن يستخدم الماضى للدعاء لوجود ما يشير إليه فى السياق نحو أصلح اللهُ محمدًا . أما النهى فهو يتحقق بوسيلة نحوية هى دخول لا الناهية على المضارع نحو لا تكتبْ .

ويجوز تقديم المفعول به الذى يحمل وظيفة المحور إلى مه وهنا سيترك أثرًا مملوءًا كما أوضحت من قبل ، لذا سيقال زيدًا اضربْه . ومن ذلك أيضًا زيدًا ليضربه عمرو وزيدًا أصلح الله شأنه ، واللهمَّ عبدَك ارحمه (الهمع ٥/ ١٥٥ ، وابن يعيش ١/ ٣٧ ، والشيخ خالد ٢/ ٣٥٦ - ٣٥٧، وسيبويه ١/ ١٤٢) .

ومن شواهد سيبويه ، قال أبو الأسود الدؤلي :

اميرانِ كانا آخيَاني كِلاهُما | فكُلاً جزاه الله عنّي بما فَعَلْ

(الكتاب ١/ ١٤٢)

ومن ذلك قوله تعالى في قراءة عيسى بن عمر وابن أبي عبلة : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور/ ٢) وكذلك قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة/ ٣٨) .

٣ - قام زيدٌ وعمر أكرمته

يقول النحاة إنه يجب هنا تقديم المفعول به (الذى يحمل وظيفة المحور) والذى أدى إلى هذا الوجوب هو وقوع الاسم المشتغل عنه بعد عاطف على جملة فعلية نحو قام زيدٌ وعمرًا أكرمته ، قال تعالى : ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ (النحل : ٤ - ٥) وقال تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس/ ٣٩) وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢) وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء: ١٢ - ١٣) ومن ذلك أيضًا : ضربتُ القومَ حتى زيدًا ضربته ، وما رأيت زيدًا لكن عمرًا رأيتُ أخاه ، وما أكرمتُ زيدًا بل عمرا أكرمته (ابن يعيش ١/ ٣٢ والرضى ١/ ٤٥٧ والهمع ٥/ ١٥٥ ، والشيخ خان ٢/ ٣٧٢) .

٤ - قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر : ٤٩) . يقول السيوطى إن رفع (كل) فى هذه الآية الكريمة يوهم كون (خلقناه بقدر) صفة مخصصة فلا يدل على عموم خلق الأشياء بقدر ، وهذا خلاف المقصود ، لذا

يجب نصب (كُلَّ) حتـى يتضح المقصود ، وهو عموم خـلق الأشياء بقدر (الهمع ٥/١٥٦، والشيخ خالد ٢/٣٧٧ - ٣٧٨) .

٥ -

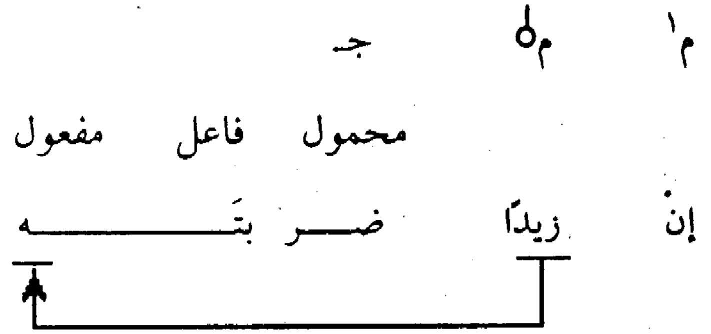
أ - إنْ زيدًا ضربـته ضربك ، لـو زيدًا أكرمتك لأكـرمك ، إذا عبدَ الله تـلقاه فأكرمه ، حيث زيـدًا تجـده فأكرمه ، حيـثما زيدا لقيته فأكرمه ، متى زيدا تزره يزرك .

قال الشاعر :

إذا ابنَ أبى موسى بِلاَلاً بَلَغْتِهِ فقامَ بفأسٍ بين وَصْلَيْكِ جـازِرٌ

يقول الـسيوطى : يجـب نصب الاسم إذا تلا ما يـختص بالفـعل كأدوات الشرط (الهمع ٥/١٥٣) .

يفهم مما سبق أن الاسم المنصوب يقع بعد أداة من أدوات الصدور ، ويرى النحاة أن هذه الأدوات تختص بالأفعال ، لذا فالاسم المنصوب يشير إلى موقعه بعد الفعل على أساس أن الفعل هو العامل فـيه ، ومن الناحية التوليدية سنجد أن الاسم المنصـوب سيقع فى م٠ والأدوات الصدور سـتقع فى م١ ، والرسم الآتى يوضح ذلك :



فهنا العنصر (زيدًا) قدم إلى م٠ وترك أثرًا مملوءًا لأن «العنصر زيدًا» يحمل وظيفة المحور . وقد وقع العنصـر (زيدا) بعد الأداة (إنْ) وهى التى تحتل م١ .

وأدوات الشرط هى : إن . لو - إذا - حيث - متى . وكذلك أما التى تُضَمَّنُ معنى الشرط ، قال تعالى : «وأما ثمودَ فلا تقهر» (ابن يعيش ١/ ٣٣ والرضى ١/ ٤٥٨ .

يقول الشيخ خالد الأزهرى «إن تقديم المفعول به وانشغال الفعل بضميره فى أسلوب الشرط لا يكون إلاّ فى الشعر ، أما فى النثر فلا يليهما إلاّ صريح الفعل ، إلاّ إذا كانت أداة الشرط إذا مطلقا ، سواء وقع الفعل بعدها ماضيًا أم مضارعًا ، أو إنْ إذا وقع الفعل بعدها ماضيا ، فإنه يجوز تقديم المفعول به وانشغال الفعل بضميره ، نحو إذا زيدًا لقيته فأكرمه ، وإن زيدا لقيته فأكرمه» (الشيخ خالد ٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥) .

ب - هلاّ زيدًا أكرمته ، الا رَجُلا جزاه الله خيرًا . لو زيدًا رأيته .

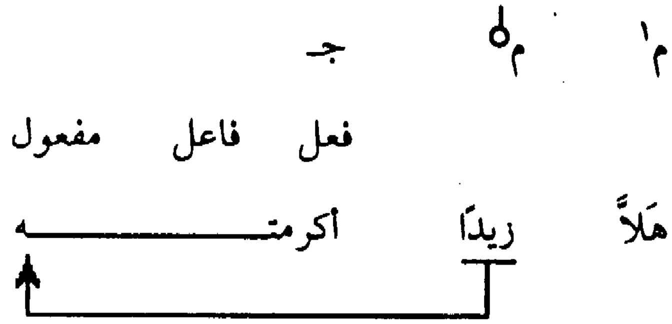
قال الشاعر :

تَعُدُّون عقْرَ النِّيب أفضلَ مَجْدِكُم بنى طوطرى لولا الكَمِىَّ المُقَنَّعَا

(الهمع ٥/ ١٥٣ ، الشيخ خالد ٢/ ٣٥٣)

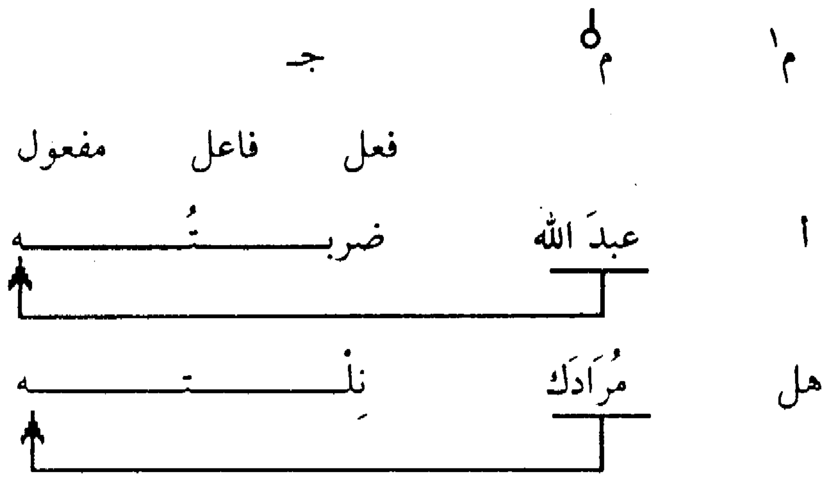
يقول ابن يعيش : يجب نصب الاسم المشتغل عنه إذا وقع بعد حرف من حروف التحضيض أو التوبيخ . وهى الاَّ والاَّ لولا ولوما والا المخففة عند الخليل ، ويقول ابن يعيش أيضًا إنه إذا ولى هذه الحروف المستقبل كن تحضيضًا، وإذا وليها الماضى كن توبيخًا (ابن يعيش ١/ ٣٤) .

يفهم مما سبق أن الاسم المنصوب المشتغل عنه يقع وجوبًا بعد أداة من أدوات التحضيض ، وهذا يعنى أن الاسم المنصوب يقع فى م٥ وتقع أداة التحضيض فى م١ لأنها أداة من أدوات الصور . والرسم الآتى يوضح ذلك .



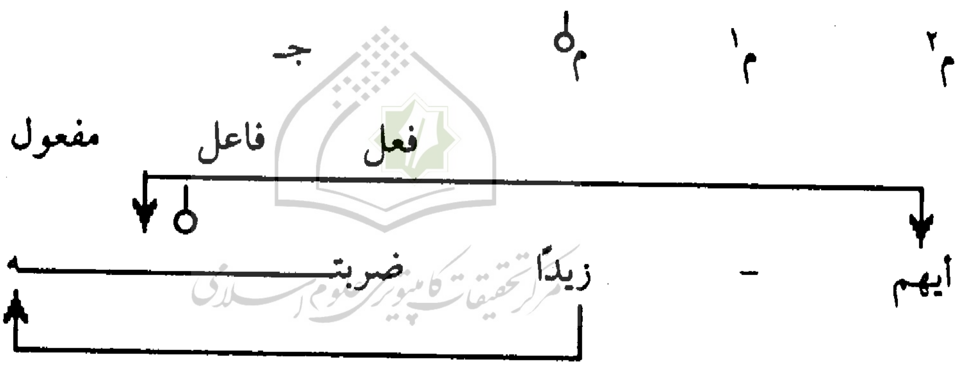
جـ - أعبدَ الله ضربته ؟ السَّوْط ضرب به زيدٌ ؟ أزيدًا أنت محبوس عليه ؟ قال تعالى : ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ (القمر/ ٢٤) . وهل مُرَادَك نـلْتَهَ ؟ (ابن يعـيش ١/ ٣٤ ، الشيخ خـالد ٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥ - الهـمع ٥/ ١٥٣) وقال الأخفش «أخوات الهمزة فى ترجيح الـنصب فى ذلك أيّهم نحو أيُّهم زيدًا ضربه ؟ وأيُّهم مبتدأ وزيـدًا منصوب بفعل يفسره ضربه والجـملة خبر أيهم والـتقـدير أيُّهـم ضرب زيـدًا ؟ ومـن ذلك أيـضًا مَنْ ، نحـو مَنْ أمَةَ الله ضَرَبها؟ فمن مبتدأ وأمَة الله منصوب بفعل محذوف خبر من ، والتقدير : من ضَرَبَ أمَةَ الله (الشيخ خالد ٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥) . ومن ذلك متى عَمرًا لقيته ؟

وتفسير ما سبق هو أن الهمزة وهـل وهما من أدوات الاستفهام يحتلان م١ المخصص لـلصدور ، والاسم المنـصوب بعدهمـا يقع فى م٥ علـى أساس أنه مفعول به قُدِّم إلى هذا الموقع . والرسم الآتى يوضح ذلك :



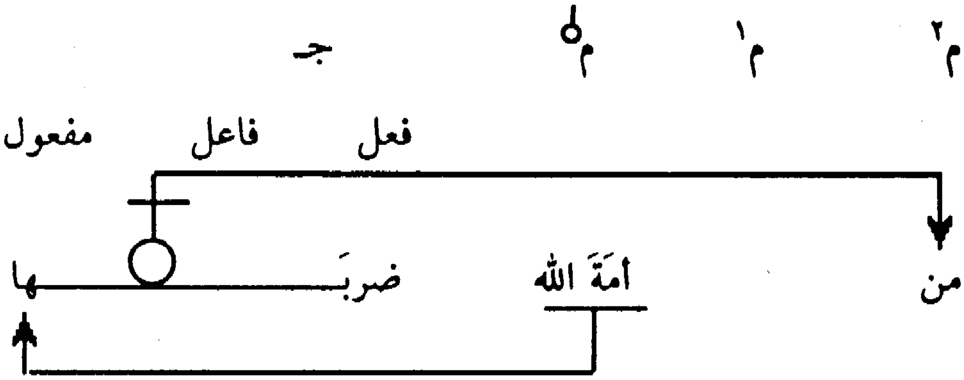
ففى هذين المثالين يكون الاستفهام بالهمزة أو بـ(هل) وهما وقعا فى م١ أما العنصران عبدَ الله ومُرَادَكَ فوقعا فى م٠ بعد تقديهما من مكانهما الأساسى وهو المفعول به وتركا أثراً مملوءاً هو الضمير ليشير إلى موقعيهما فى البنية الدلالية .

أما الاستفهام الذى يبدأ بالاسم نحو أيُّهم ومتى فالوضع فيه يختلف لأن كل واحد من هذين الاسمين يحتل م٢ وهذا ناتج عن تفكيك الجملة ثم حدث أن قُدِّم المفعول به الأساسى فاحتل الموقع م٠ ، لذا نجد الأخفش يعرب اسم الاستفهام الواقع فى م٢ مبتدأ وبقية الجملة خبر هذا المبتدأ ثم يحدث أن يقدم المفعول به المنصوب إلى م٠ ويترك هذا الاسم ضميرا يحتل مكانه الأساسى فى البنية الدلالية الرسم الآتى يوضح ذلك .



نلاحظ هنا أن (أيهم) فى الأصل فاعل لـ ضرب ثم قدم إلى م٢ لأنه اسم وليس أداة لكى تحتل م١ ، ثم قدم العنصر (زيدًا) إلى م٠ .

ونفس الشىء يلاحظ فى المثال الثانى : مَنْ أَمَةَ الله ضربها . والرسم الآتى يوضح تحليل هذا المثال :



ويلاحظ هنا أن العـنصر (من) هو فاعل فى الأصل للـفعل ضرب ثم قُدِّم إلى م٢ لأنه اسم وليس أداة وترك أثرًا فارغًا ليشير إلى مكانه الأساسى فى البنية الدلالية ثم قُدِّم العـنصر (أمَةَ الله) فاحتل م○ وترك أثرًا مملوءًا يشـير إلى مكانه الأساسى فى البنية الدلالية .

د - ما زيدًا رأيته ، لا زيدًا قتلته ، إن زيدًا رأيتَهُ

قال جرير :

فَــلاَ حَسبًا فَخَــرْتَ به لتَيْم ‏ ‏ ‏ ‏ ولا جَدًّا إذا ازدحــم الجُـدودُ

وقال آخر :

فلا ذا جَــلاَلٍ هِبنَهُ لِجــــلاَلِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا ذا ضياع هُنَّ يَتْركنَ للفقير

(ابن يعيش ٢/ ٣٦ - ٣٧) والهمع ٥/ ١٥٥ والشيخ خالد ٢/ ٣٦٨)

يلاحظ من الأمثلة السابقة أن الاسم المنصوب المشتغل عنه وقع فى م○ بعد م١ وهى المخصصة للأدوات الصدور ، وأدوات الـنفى : ما - لا - إن تقع فى م١ لذا نجد الاسم المنصوب يقع بعدها فى م○ والرسم الآتى يوضح ذلك :

م١ م٥ جـ

فعل فاعل مفعول

ما زيدًا رأيتُه

والخلاصة أن الاسم المنصوب وهو الذى يصفه النحاة بأنه مشتغل عنه يقع فى أساليب الشرط والتحضيض والعرض والاستفهام والنفى بعد م١ المخصص للصدور هذا يعنى أنه يقع فى م٥ وهو المكان المخصص للمفعول به المقدم .

أما إذا كان الاستفهام بالاسم فإن هذا الاسم يقع فى م٢ وليس م١ لذا نجد أن تحليل الجملة يختلف هنا فـ م٢ يعنى أن العنصر مبتدأ وباقى الجملة تعرب خبرا ، وفى هذه الحالة فإن الاسم المشتغل عنه يرتبط بجملة الخبر ، وقد أشار الأخفش إلى هذه الحالة ولما لاحظ أنها تختلف عن الحالات السابقة بدأ يحلل كل مثال على حده .

٢ : ٣ : إن النقل إلى م٥ يخضع إلى عدد من القيود ، بعضها خاص بالعنصر المنقول نفسه وبعضها خاص بطريقة النقل . وفيما يلى هذان النوعان من القيود .

٢ : ٣ : ١ القيود الخاصة بالعنصر المنقول :

تسمى هذه القيود بالقيود الجزرية ، وأهم القيود التى أرى أن لها علاقةً بالاشتغال هى ما يلى :

أ - قيد المركب الاسمى المعقد ، ويقصد بهذا المركب ما يلى :

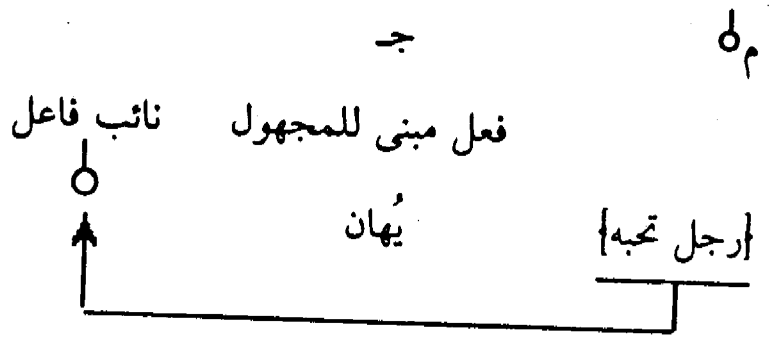
الموصول وجملة الصلة : يقول ابن جنى : لا يجوز تقديم الصلة ، ولا شىء منها على الموصول ، سواء كان الموصول اسما أو حرفا ، والموصول

الاسمي نوعان مختص ومشترك ، المختص منه الذى والتى . . . إلخ والمشترك منه : مَنْ - ما - أى . . . إلخ ، والموصول الحرفى يشمل إنَّ واسمها وخبرها وامَّا المضمنَّة معنى الشرط (الخصائص ٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦) .

إن هذه القاعدة تساعدنا على فهم المثال الذى أورده السيوطى ، وهو : زيدٌ الذى ضربتـه ، فهو يقول إن (زيدًا) لا يمكـن نصبه ، وإنما يتوجـب رفعه وقد رأينا طبقًا لـهذه القاعدة أنه لا يجوز تـقديم زيد إلى م٠ لأنه عنصر مـن عناصر جملة الصلة ، ويـتعذر نقل أى عنصر من جملة الصلـة إلى خارج هذه الجملة لذا نجد أن العنصر (زيد) احتل م٢ والرسم الآتى يوضح ذلك :



ب - قيد الفرع الأيسر : لا يجوز نقل م.س إلى يسار الرأس خارج العقدة التى تسيطر على المـركب من ذلك النعت والمنعوت ، فلا يجـوز تقديم المنعوت على النـعت ، لذا عند النقل يُنـقل المركب بكاملـه ، والمثال الذى أورده السيوطى لذلك هو رجل تحبه يُهان . أصل هذا المثل أو البنية العميقة لهذا المثال هى يُهان رجل تحبه ، فرجل نائب فاعل وتحبه جملة فعلية فى محل رفع صفـة رجل ، وعند التقـديم ينقل التركـيب بكامله إلـى م٠ والرسم الآتى يوضح ذلك :



٢ : ٣ : ٢ طريقة النقل :

تخضع طريقة النقل إلى قاعدة مهمة ، تسمى بقاعدة القيود التحتية ، تقول هذه القاعدة : لا يمكن نـقل عنصر لأكثر من عُقدة مقيدة واحـدة . عند تطبيق قاعدة معينة ، والعقدة المقيدة قد تكون م.س أو جـ أو جـَ .

أمثلة :

زيدًا ضربتــــه - زيـدًا اضرِبـه - إن زيدًا ضربته ضربك -

فـى الأمثلة السابقــة اجتاز العنصر المنقـول عقـــدة (جـ) ، وهـذا يعنـى أن التقديم الخاص بالاشتغال يجتاز دائمًا عقـدة جـ لكى يقع العنصر المنقول فى م .

٣ - نظرية الروابط :

تهتم هذه النظرية بتحديد العلاقـات الدلالية بين العنصر والمرجع الذى يعود عليه ، ويتمـثل مجال تطبيق هذه النظـرية فى إعادة بناء الجملة بعد تـفكيكها ، وتكوين بنية وظيفية مركبة .

يقصد بـالتفكيك نـقلُ أحد أركان الجملـة الأساسى ، ويحتل هـذا الركن الموقع (م٢) ، وهو موقع خارجى عن بناء الجملة ، وقد أوضحتُ قبل ذلك أنه

موقع تداولى ، ويشغله عنصر يحدد مجال الخطاب الذى يردُ بعده ، ويُقصد به البنية الحملية التى ترد بعده (أحمد متوكل ، الوظائف التداولية فى العربية/ ١١٥) .

وفى باب الاشتغال وهو الباب الذى يهمنا نجد أن العنصر الذى يُنقل إلى م٢ هو المفعول به المنصوب الذى يحمل وظيفة البؤرة ، وهذا يعنى أن العنصر المقصود سيجتاز م١ المخصص للصدور ، وهذه الصدور كما رأينا من قبل تشمل إن وأخواتها وأدوات الشرط وأدوات العرض والتحضيض وأدوات الاستفهام وأدوات النفى وقد يحدث التفكيك فى أسلوب التعجب وفى الجملة المستأنفة سواء تصدرها حرف استئناف أو لم يتصدرْها ، وفى الجملة المعطوفة على الجملة الاسمية التى خبرها جملة فعلية ، وسندرس ثلاثة محاور عند مناقشة التفكيك :

١ - العنصر المفكك وهو العنصر الذى يحمل وظيفة البؤرة وكيفية ربطه بالجملة الأساس .

٣ - الأساليب التى يحدث فيها التفكيك .

٣ - صفة المحمول فى الجمل التى تقبل التفكيك .

٣ : ١ : العنصر المفكك وهو العنصر الذى يحمل وظيفة البؤرة :

العنصر المفكك فى باب الاشتغال هو المفعول به الذى يحمل وظيفة البؤرة، ويُنقل هذا العنصر إلى م٢ ، فيتفكك بناء الجملة ، والعنصر فى موقعه الجديد (م٢) يراقب موقعه الأساسى فى البنية الدلالية ، لذا يخلفه أثر مملوء ، وهو ضمير يعود عليه ويطابقه فى السمات الذاتية دون السمات الوظيفية ، وذلك لأن العنصر فى موقعه الجديد تُسند إليه حالة الرفع ، ويبدو أن العامل هنا كما يقول النحاة هو الابتداء ، والوظيفة التى تسند إليه فى هذا الموقع هى

وظيفة المبتدأ ، والمبتدأ Theme كما رأينا من قبل هو محور خارجى ، وأن الجملة الفعلية بعده من قبيل الجملة المسندة إليها بؤرة الجديد ، أى أنها محل الإخبار أى أنها الخبر كما يقول النحاة .

إن العنصر الذى سينقل إلى م٢ يجتاز بالطبع م١ وهو المخصص للأدوات الصدور ، وقد عرفنا أن هذه الأدوات تشمل إنَّ وأخواتها وأدوات الشرط وأدوات العرض والتحْضيض وأدوات الاستفهام وأدوات النفى وأداة التعجب.

وقد يكون م١ مملوءًا بأداة من أدوات الصدور وقد يكون فارغًا وفيما يلى أمثلة توضح كل هذه الحالات .

١ - الدرسُ كتبه الولدُ :

البنية العميقة لهذه الجملة هى كتب الولد الدرسَ ، والعنصر الدرس يحمل وظيفة البؤرة ، لأنه وقع بعد المحور وهو الولد ، ثم نقل العنصر (الدرس) إلى م٢ وهنا يلاحظ أن وظيفته التداولية تغيرت من بؤرة الجديد إلى محور خارجى Theme ، هذا يعنى أنه كان يفيد فى البنية العميقة المعلومة الجديدة التى يستفيدها المتلقى من الجملة ، أما عند نقله إلى م٢ فإنه أصبح هو العنصر الذى حَدَّد مجال الخطاب الوارد بعده ، وأقصد به البنية الحملية (كتبه الولد) والارتباط بين المبتدأ والبنية الحملية ارتباط تخابرى ، ذلك أن المبتدأ كما قلت يحدد مجال الخطاب التالى ، إن هذا التحديد هو الذى يربط بينهما» .

إن المبتدأ فى باب الاشتغال يعنى إذن أنه ناشئ عن تفكيك المفعول به الذى يحمل وظيفة البؤرة بتقديمه إلى م٢ ، وقد أشار سيبويه إلى ذلك ، يقول فى باب ما يكون فيه الاسم مبنيًا على الفعلِ : قُدِّم أو أُخر ، وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم ، تريد بقولك : مبنىٌ عليه الفعل أنه فى موضع منطلَق ، إذا قُلت : عبدُ الله منطلق ، فهو فى موضع هذا الذى بُنى على الأول ، وارتفع به ، فإنما قُلت: عبد الله، فنسبته له ، ثم بنيت عليه الفعل ، ورفعته بالابتداء.

ومثل ذلك قوله - جل ثناؤه - ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فصلت : ١٧) ، وإنما حُسن أن يُبنى الفعل على الاسم ، حيث ان مُعْمَلاً فى المضمر ، وشَغلته به ، ولولا ذلك لم يحسن ، لأنك لم تَشْغَلْهُ بشىء (الكتاب ١/ ٨٠ - ٨١) .

يفهم من كلام سيبويه السابق أن المبتدأ قد يكون ناشئا عن مفعول به ، وفى هذه الحالة يتصدر بناء الجملة ، ويصبح الفعل مبنيا على هذا الاسم ، أى أنه يصبح خبرا لذلك الاسم ، وهنا يُشترط أن يُشغل الفعل بضمير يعود على الاسم بعد رفعه على الابتداء ، وبلغتنا نحن ، يُقدَّم المفعول به إلى م٢ ، فيتفكك بناءُ الجملة ، وهنا يراقب موقعه الأساسى فى بناء الجملة ، لذا يخلفه أثر مملوء ، وهو ضمير يعود على الاسم المتقدم ، ويطابقه فى السمات الذاتية دون السمات الوظيفية :

أ - زيدٌ إنى أكرمه ، زيد ليتنى أكرمُهُ

ب - زيدٌ إن ضربته يَضرِبْك ، هند من يضربْها أضربْه ، زيدٌ لو ضربته لضربك

جـ - زيدٌ هَلاَّ تضربه ، عمرو ألا تكرمه ، العونُ على الخير ألا أجده

د - زيدٌ هل ضربته أزيدٌ ضاربه العمران زيدٌ كيف وجدته

هـ - زيدٌ ما ضربته زيدٌ لا أضربه

و - زيدٌ لأضربنَّه ، الدرهمُ لمعطيك عمرو

ن - ما زيدٌ إلاَّ يضربُه عمرو

ى - زيدٌ ما أحسنه ، زيدٌ أحسن به

(راجع الهمع ١٥٢/٥ - الشيخ خالد الأزهرى ٣٥٧/٢ - ٣٥٨، والرضى ٤٣٩/١ و ٤٥٧ - ٤٥٨ و ٤٦١) .

ملحوظات :

١ - فى الأمثلة السابقة نلاحظ أن م١ مملوء بأداة من أدوات الصدور وأن العنصر المنقول اجتاز م١ إلى م٢ لذا نلاحظ أن العنصر المنقول يقع قبل م١ هذا هو السر فى أن المبتدأ يليه دائمًا إن وأخواتها (أ) أو أداة الشرط (ب) أو أداة التحضيض (جـ) أو أداة الاستفهام (د) أو أدوات النفى (هـ) أو لام الابتداء (و) أو أداة الاستثناء (ن) أو أداة التعجب وهذا هو الذى يفسر لنا قول النحاة بوجوب رفع الاسم الواقع قبل أدوات الصدور .

٢ - يرى النحاة أن الأمثلة ليست من باب الاشتغال بالرغم من أن الفعل مشغول بضمير يعود على الاسم السابق وذلك لأن باب الاشتغال فى رأى النحاة يتطلب عاملا محذوفا يفسره العامل الظاهر ، وفى باب الابتداء وهو الذى نحن بصدده الآن فالعامل هنا ليس محذوفًا وهو الابتداء ، وهذا الباب لا يحتاج إلى تفسير لأنه عامل ظاهر وليس مقدرًا . ونحن نرى أن النقل إلى م٢ وما يصاحبه من تفكيك يؤدى إلى نشوء وضع جديد هو المبتدأ والخبر ، وهذا يعنى أن المبتدأ قد يكون ناشئًا عن تفكيك المفعول به .

٣ - قد يحذف الضمير الرابط ويجيز البصريون مثل ذلك الحذف ، قال الشاعر :

قد أصبحتْ أمُّ الخيار تَدَّعى ... عَلَىَّ ذنبًا كُلُّه لم أصنع

وموضع الشاهد هنا هو كُلُّه لم أصنع ، والبنية العميقة لهذا المثال هى كُلُّه لم أصنعْهُ ولكن الشاعر حذف الضمير الرابط للضرورة وهو أن القافية هى

صوت العين ، ووجود الضمير الرابط سيكسر القافية . لذا حذف الضمير «ابن يعيش ٣/ .

٣ : ٢ الأساليب التي يحدث فيها التفكيك :

حَدَّدَ النحاةُ خمسة أساليب يحدث فيها التفكيك وهذه الأساليب هي :

أ - العطف على الجملة الاسمية سواء كان خبرها جملة فعلية أم لا نحو زيد قام وعمرو أكرمته .

ب - إن كان الفعل المتصل به الضمير صفة للاسم المرفوع على الابتداء نحو قوله تعالى :

وكُلُّ شيء فَعَلُوه في الزُّبر ، ومن ذلك لا رجل تحبه يهان ×

جـ - إن كان الفعل صلة الموصول نحو زيد الذي ضربته أخي

د - إن كان الفعل مضافا إليه نحو زيدٌ يومَ تراه تفرح

هـ - إن وقع الاسم بعدما يختص بالابتداء مثل إذا الفجائية نحو خرجت فإذا الأسدُ يضربه عمرو أو واو الحال مثل جاء زيد وعمرو يضربه بشر .

٣ : ٣ صيغة المحمول في الجمل المفككة :

ناقش النحاة صيغة المحمول في الجمل المفككة وأوضحوا أن الشائع هو أن تكون خبريه ، ولكنها قد تكون طلبية ، وهو الأمر والنهي ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور : ٢) وقوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة : ٣٨) .

ويرى سيبويه أن ما سبق لا يمثل جملة واحدة ، وإنما يمثل جملتين ،

الجملة الأولى فى آية النور ، هى قوله تعالى الزانيةُ والزانى ، والجملة الثانية هى قوله تعالى : فاجلدوا كُلَّ واحد منهما مائة جلدة ، وكذلك الأمر فى الآية الثانية فهى تتكون من جملتين ، الأولى هى قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾، والثانية هى قوله تعالى : ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ . وعلى ذلك يفهم من كلام سيبويه أن الفاء فى الآيتين هى فاء الاستئناف ، وهى تقطع الجملة الثانية عن الجملة الأولى . ويرفض سيبويه اعتبار هذه القضية مما نحن بصدده، لأنه لا يرى أن الفاء زائدة ، والحالة الوحيدة التى تكون فيها الفاء زائدة هى أن يكون المبتدأ اسم موصول وصلته جملة فعلية أو شبه جملة ، أى الجار والمجرور أو الظرف ، وهذا لا يتوفر هنا ، لأن أل الداخلة على الزانية والزانى أو الداخلة على السارق والسارقة هى أل المعرفة ، وليست أل الموصولة ، والموصول هنا - لو افترضنا أن أل موصول - ليس جملة فعلية أو شبه جملة (البحر المحيط ٣/ ٤٩٣) ، ويرى المبرد أن الاسم المرفوع هنا - وهو الزانيةُ والزانى ، والسارق والسارقة - مرفوع على الابتداء ، وتُصير الأمرَ فى موضع خبره ، ولحقت الفاء فى الآيتين الكريمتين لأن معناه الجزاء ، لقوله : الزانية ، أى التى تزنى ، فإنما وجب القطعُ للسَّرِقة والجلدُ للزنا ، فهذا مجازاة ، ون ثم جاز : الذى يأتينى فله درهم ، فدخلت الفاء لأنه استحق الدرهم بالإتيان ، فإن لم تُرِد هذا المعنى قلت الذى يأتينى له درهم ، لا غير ، ولا يجوز : «زيدٌ فله درهمٌ ، على هذا المعنى ، ولكن لو قلت : زيدٌ فله درهم ، على معنى هذا زيد فله درهم ، وهذا زيد فحسنٌ جميل ، جاز على أن زيداً خبر وليس بابتداء (الكامل للمبرد ٢/ ٨٢ - ٨٢٢ تح محمد أحمد الدالى بواسطة عبد الفتاح بحيرى فى التصريح بمضمون التوضيح٢/ ٣٦٠ هـ) .

يقول الشيخ خالد الأزهرى فى شرح رأى المبرد «وقال المبرد الفاء فى فاجلدوا لمعنى الشرط ، لأن الموصول فيه معنى الشرط ، فتدخل الفاء فى خبره

كما تدخل فى جواب الشرط ، والمعنى إن زنيا فاجلدوهما ، ولا يعمل الجواب فى الشرط ، فكذلـك ما أشبههما مِمَّا هو مُنَزَّلٌ منزلة الـشرط والجواب ، فكما لا يعمل الجواب فـى الشرط ، لا يعمل الخبرُ المـشبه للجواب فى المبـتدأ المشبه للشرط ، وما لا يعمل لا يُفسِّرُ عاملا ، فعلـى قولى سيبويه والمبرد ليست الآية من الاشتغال ، فالرفع على الابتداء عنـدهما واجب ، والخبر على قول سيبويه محذوف ، وهو (مما يتلى عليكم) ، وعلى قول المبرد ، مذكور وهو (فاجلدوا) (الشيخ خالد الأزهرى ٢/ ٣٦٠ - ٣٦١) .

يفهم مما سبق أن هاتين الآيتين الكريمتين لا ينطبق عليهما شرط الاشتغال ، لأنهما فى رأى سـيبويه والمبرد جملتان ، إمـا منقطعتان كما يـرى سيبويه ، أو جملـتان بمثابة الشـرط والجواب ، وإن كانا فى تـأويل جملة واحدة كـما يرى المبرد.

على أن هناك من يرى أنـه ينطبق عليهما الاشتغـال ، كالأخفش والفراء ، يرى الأخفش أن الفاء هنا زائدة ، فهو يجيز زيـادة الفاء فى الخبر مطلقا (المغنى / ٢١٩) ، ويرى الفراء أن الفاء تزاد فى الخبر عندما يكون أمرًا أو نهيًا (المغنى/ ٢١٩) .

٤ - قضية العامل فى باب الاشتغال

١:٤ : العامل فى الاســم الواقع فى م ٥ رأينا أن هذا الاسم نـاشئ عن فاعل أو عن مفعول به ، فإن كان ناشئًا عن فـاعل ، فإنه سيكون مرفوعًا ، وإن كان ناشئًا عن مفعول به فإنه سيكـون منصوبًا ، لذا سندرس أولاً العامل فى الاسم المرفوع ثم ندرس ثانيًا العامل فى الاسم المنصوب .

٤ : ١ : ١ العامل فى الاسم المرفوع :

هناك حالتان ، حالة لا تدخل فى باب الاشتغال وفيها يكون الاسم مرفوعا

على الابتداء نحو أنت محبوسٌ على مزيد ، وزيدٌ ضاربٌ هندا ، وهناك حالة اخرى تدخل فى باب الاشتغال ، وحددت هذه الدراسة بأنها تشمل الاسم المرفوع بعد إن ولو الشرطيتين نحو قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (التوبة : ٦) ونحو قولهم فى المثل : لَوْ ذاتُ سِوَارٍ لطمتنى . فالاسم المرفوع هنا فاعل لفعل محذوف عند البصريين أو فاعل مقدم على فعله عند الكوفيين . وتشمل أيضًا الاسم المرفوع بعد إذا المضمنة معنى الشرط عند الكوفيين دون البصريين نحو قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق : ١) وكذلك الاسم المرفوع بعد همزة الاستفهام نحو أزيدٌ جاء وهذا عند الأخفش فهو يرى أن (زيد) مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر .

أما التوليديون فيرون أن الاسم المرفوع فى م ٥ فاعل فى جميع أحواله لأنهم يعتمدون على ما يسمى بترتيب القواعد فالفاعل فى البنية العميقة يقع بعد الفعل وعند التحويل يقتصر الاهتمام على تغيير الموقعية فقط دون التطرق إلى مسألة النقل لأنها تلى مباشرة إسناد الوظائف النحوية والإعراب .

٤ : ١ : ٢ العامل فى الاسم المنصوب :

يرى الجمهور أن النصب فى باب الاشتغال بفعل واجب الإضمار من لفظ الظاهر ، اى أن الظاهر هو الذى يُفسر المضمر ، ومن ثم فإضمار الفعل الناصب إضماراً واجب لأنه لا يجتمع المفسِّر والمفَسَّر ، ويرى الكسائى أن النصب فى باب الاشتغال بالفعل الظاهر ، وهو الفعل المؤخر عن الاسم المنصوب ، والضمير ملغىً ، اى أن الفعل غير عامل فى الضمير ، ويرى الفراء أن الاسم منصوب بالفعل وذلك لأن الفعل يعمل فى الاسم والضمير معًا (الهمع ٥/١٥٧ - ١٥٨ ، والشيخ خالد ٢/٣٥١ - ٣٥٢) ، وجاز ذلك عنده لأن الضمير فى المعنى هو الظاهر ، فيكون فائدة تسليطه على الضمير بعد

تسليطه علـى الظاهر المقدم ، تأكيد إيـقاع الفعل عليه ، وليس الـضمير المؤخر بأحد التوابع الخمسة ، لأنه لو جُعل مـثلاً تأكيداً أو بدلاً أو عطف بيان لوجب أن يكون الضمير مثل الظاهر إعرابًا فى جميع المثل ، وليس كذا ، ألا ترى إلى قولهم زيداً مررت به وزيداً ضربت غلامه (الرضى ١/ ٤٣٧ - ٤٣٨) ، ويقول الرضى الذى يـرى أن الكسائى والفـراء يريان معا أن الفـعل يعمل النـصب فى الاسم السابق عليه وفى ضميره ، ولو قيـل على مذهبهما - الكسائى والفراء - أن المنتصـب بعد الفعل الظـاهر أو شبهه سواء كـان ضميراً أو متعلـقه هو بدل الكل من المنصوب المتقدم لكان قولاً ، فالضمير فى زيدا ضربته بدل من زيد ، وكذا الجار والمجـرور فى «زيدا مررت به» إذ المـعنى زيدا جاوزتـه ، وكذا أخاه فى قولك : زيدا ضربت أخاه ، بدل من (زيداً) على حذف المضاف من (زيداً) أى متعلَّق زيد ضـربت أخاه ، وكذا فى قولك : زيداً ضـربت عمراً فى داره ، وزيداً لقيت عمراً وأخاه ، بتقدير مـلابس زيد ضربت وملابس زيد لقيت ، ثم بيَّنت الملابس بقولك عمرا فى داره ، فإنه ملابس زيد بكونه مضروبا فى داره، وبقول عمرا وأخاه فإنه ملابس زيد بكونه ملقيا لك هو وأخو زيد ، وإن كانت الملابسـة فى الصورتين بـعيدة فى مذهـب البصريين أيـضًا (الرضى ١/ ٤٣٨ - ٤٣٩) .

ولكن البصريين يرون أنه لا يجوز أن يـكون زيداً فى نحو زيداً ضربته بدلاً لأنه إن صَحَّ فى المـعنى - كما يقـول ابن يعيش فـإنه لا يصح لفظًا لأن الـنحو صناعةٌ لفظيـة ، (ابن يعيش ٢/ ٣٠ - ٣١) لأنه لا يجوز فى أحـكام النحو أن يتقدم البدل على المبدل منه ، وذلك لأن العامل فى البدل غير العامل فى المبدل منه ، فالعامل فى البدل على تقدير التكرير ، والذى يدل على ذلك إظهاره فى البدل كمـا أظهر فى المبدل منه . قـال تعالى : ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِيـنَ اسْتَكْبَرُوا مِن

﴿قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ (الاعراف : ٧٥) ، فقوله (لمن آمن منهم) بدل من قوله (للذين استُضعفوا) ، وقد أُظهر العامل فى البدل كما أظهره فى المبدل منه (راجع الإنصاف) .

ويرى التوليديون أن الاسم المنصوب هنا هو مفعول به فى الأصل أى فى البنية العميقة ، وعندما نقل المفعول به من مكانه الأساسى إلى م٥ ترك أثراً مملوءاً لأنه محور ، ولما كانت الوظائف النحوية والحالات الإعرابية تُسند فى البنية العميقة فإنه لا يجوز إعادة النظر فيهما بعد حَرّك ألفا ، أما الضمير الذى يطابق الاسم المنقول فى السمات الذاتية والتركيبية فإنه يشير إلى المكان الأساسى للعنصر المنقول فى البنية العميقة .

إن رأى التوليديين فى الحقيقة قريب من الرأى الفراء الذى يرى أن الفعل عمل النصب فى الاسم السابق عليه وفى الضمير المتعلق به .

٤ : ٢ العامل فى الاسم الواقع فى م٢ :

يرى النحاة أن الاسم الواقع فى م٢ مبتدأ وهو مرفوع وعامل رفعه هو الابتداء . هذا هو الرأى السائد لدى الجمهور وهو سائد كذلك لدى التوليديين.

٥ - النتائج :

٥ : ١ تعريف الاشتغال وشروطه عند النحاة

٥ : ١ : ١ الاشتغال عند البصريين :

يقصد به اسم معمول بعامل محذوف يفسره العامل الظاهر ، بشرط أن ينشغل هذا العامل الظاهر بضمير يعود على الاسم المنشغل عنه . هذا الاسم قد يكون مرفوعًا أو منصوبًا ، يرفع إن كان واقعًا بعد إن ولو الشرطيتين وهو

فى هذه الحالة مرفوع بفعل مقدر يفسره الظاهر ، وهو متعلق بضمير يعود على الاسم السابق . ويُنصب بفعل مقدر يفسره الظاهر بشرط أن يتعلق الفعل أو سببه بضمير يعود على الاسم السابق نحو زيداً أكرمته وزيداً أكرمت أخاه وزيدا مررت به .

٥ : ١ : ٢ الاشتغال عند الكوفيين :

يقصد بالاشتغال عندهم اسم معمول بعامل متأخر عن الاسم المنشغل عنه، ويتعلق هذا العامل بضمير يعود على هذا الاسم .

وهذا الاسم قد يكون مرفوعا وقد يكون منصوبًا والعامل فى الحالتين هو الفعل التالى لهما . هذا يعنى أن هذا الاسم قد يكون فاعلاً مقدمًا أو مفعولاً مقدمًا ، واختلف الكوفيون فى مسألة عمل الفعل فى الضمير ، فالكسائى يرى أن الضمير ملغى ويرى الفراء أن الفعل يعمل فى الاسم والضمير معا .

٥ : ١ : ٣ هناك مسألة اختص بها الأخفش ، وتتمثل فى نحو : أزيد قام ، فالأخفش يرى أنها من باب الاشتغال وأن (زيد) هنا فاعل مقدم ، ويحتوى العامل على ضمير يعود على زيد .

٥ : ٢ الأساليب التى يقع فيها الاشتغال : هذه الأساليب هى :

٥ : ٢ : ١ الاسم المرفوع بعد أداة الشرط إن ولو نحو قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (التوبة/ ٦) ونحو قولهم فى المثال : لَوْ ذاتُ سِوَارٍ لطمتنى ، هذا عند جميع النحاة ، ويضاف إلى هاتين الأداتين إذا عند الكوفيين نحو قوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق : ١) .

٥ : ٢ : ٢ الاسم المنصوب بعد أدوات الشرط والتحضيض والاستفهام والنفى نحو إن زيداً ضربته ضربك ، وهَلاَّ زيداً أكرمته ، وأعبد الله ضربتَه ؟

وما زيداً رأيته . وبعد عاطف على جملة فعلية نحو قام زيدُ وعمراً أكرمته أو لدفع توهم أن الفعل صفةٌ قبله نحو قوله تعالى: ﴿إنَّا كُلَّ شيء خلقناه بقدر﴾ .

وهناك أساليب أخرى أجاز النحاة فيها نصب الاسم عند الاشتغال منها وقوع الاسم قبل فعل خبرى أو طلبى نحو زيداً أكرمته وزيداً اضربْه .

٣:٥ باب المبتدا والخبر:

إن باب المبتدأ والخبر لا يدخل فى باب الاشتغال حتى وإن تعلّق الفعل الواقع خبرا بضمير يعود على الاسم السابق ، وذلك لأن المبتدأ مرفوع بالابتداء، وليس بعامل مقدر ، وهذا هو الشرط الأساسى للاشتغال عند البصريين أو بالعامل التالى وهذا هو الشرط الأساسى عند الكوفيين .

وقد حدد النحاة المواضع التى يرفع الاسم فيها على الابتداء وإن كانت تتداخل مع باب الاشتغال وهى:

١ - وقوع الاسم قبل أدوات الشرط والعرض والتحضيض والاستفهام دون أسمائه ، والنفى وإلاَّ التى تفيد الاستثناء والتعجب نحو زيد إنى أكرمته ، وزيد إن ضربته يضربْك وزيدٌ هَلاَّ تضربُه وزيد هل ضربته ؟ وزيد ما ضربتُه وزيدٌ لأضربنَّه ، ما زيدٌ إلاَّ يضربه عمرو ، وزيد ما أحسنه .

٢ - العطف على الجملة الاسمية نحو زيدٌ قام وعمروٌ ذهب .

٣ - إن كان الفعل المتصل به الضمير صفةً للاسم المرفوع قبله نحو قوله تعالى : ﴿وكُلُّ شيء فعلوه فى الزُّبُر﴾ .

٤ - إن كان الفعل صلة الموصول نحو زيد الذى ضربتَهُ أخى .

٥ - إن كان الفعل مضافا إليه نحو زيد يوم تراه تفرحُ .

٦ - إن وقع الاسم بعـدما يختص بالابتـداء نحو إذا الفجائيـة وواو الحال نحو خرجت فإذا الأسد يضربه عمرو ، جاء زيد وعمرو يضربه بشر .

٥ : ٤ :هناك قضية ثار حولها جدل بين النحـاة تتمثل هذه القضية فى وجود الفاء قبل فعل طلبى وقبلها اسم مـرفوع ، وهل هى من باب الاشتغال أم ليست منه . قال تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور : ٢) وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة : ٣٨) .

يرى سيبويه أن هذه الفاء هى فاء الاستئناف وهـى تقطع ما بعدها عما قبلها لذا يرى نحو قوله تعالى الزانية والزانى فاقطعوا، أنه يتكون من جملتين الأولى الزانية والزانى وهـى مبتدأ خبره محذوف تقديـره حكمهما فيما يتـلى عليكم ، والثانـية هى قولـه فاقطعوا ، ويـرى المبرد أن هذه الفـاء زائدة وهى الفـاء التى تدخل فى جواب الشرط والآية السابقة تحمل معنى الجزاء تتكون من جملتين : فعل الشرط وجوابه ولكـنهما تعدان بمثابة الجملة الواحدة الـزانية والزانى مبتدأ وفاجلدوا الخبر .

وهذا المثال عـند سيبويه والمبـرد ليس من باب الاشتغـال . ويرى الأخفش والفراء أن هذا المثال من باب الاشتغال لأن الآيتـين قرئا بالنصب وعندئذ يكون العامل فى هذا النصـب هو الفعل بعدهما أما الفاء فهى زائـدة وأن الضمير هنا سببى لأنه لم يتعلق بالفعل .

٥ : ٥ :تفسير الاشتـغال فى ضوء المذهب التوليدى : إن الاشتـغال يدخل ضمن ظواهـر حرك ألفا وتـارة يكون الـتقديم فـيه إلى م٥ وذلك عـندما يـكون العنصـر المقدم محوراً ومن خصـائص تقديم المحور أنه يـترك أثراً فارغًا أو مملـوءاً يعود عـلى الاسم المقـدم ليرشـد إلى مكـانه الأساسى فـى البنـية العميقة، والـتقديم إلى م٥ يحافظ على الوظيـفة التركيبية للعـنصر المنقول

سواء أكان فاعلاً أم مفعولاً ، والتوليديون بهذا التفسير يلتقون مع الكوفيين الذين يرون إمكانية تقديم الفاعل والمفعول .

أما التقديم إلى م٢ فهو يشمل نقل العنصر المنصوب على أنه مفعول به ويحمل وظيفة البؤرة ويؤدى هذا النقل إلى تفكيك بناء الجملة فتتحول البؤرة إلى محور خارجي ويتحول الاسم من حالة النصب إلى حالة الرفع والعامل فى هذا الرفع هو الابتداء .

٥:٦ إذا قارنا بين آراء النحاة كما جاءت فى كتاب الهمع وبين آراء التوليديين فإننا نستطيع القول بأن المبتدأ عند النحاة ناشئ فى الأصل عن تقديم الفاعل وتقديم المفعول ، فإن كان ناشئًا عن تقديم الفاعل فإنه يحتل م١ وهو هنا يحمل وظيفة المحور الداخلى وإن كان ناشئًا عن تقديم المفعول به فهو محور خارجى ويبدو أن هذا صحيح إلى حد كبير فقد أشار البلاغيون إلى المبتدأ الذى أصله فاعل وأوضحوا أنه يفيد التخصيص أو التوكيد وأشاروا إلى المبتدأ الذى أصله المفعول به ، وأوضحوا أنه يثير المتلقى إلى القضية التى تأتى بعده .

التعريب من العبرية إلى العربية*

د.محاسن حسن أحمد
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

تمهيد:

إن من أهم الوسائل التى تعتمد عليها اللغة فى نموها وارتقائها ،هى تلك الظاهرة التى اصطلح اللغويون المحدثون على تسميتها " باقتراض الألفاظ "([1]). ولذا تعد هذه الظاهرة معلماً رئيسياً من معالم الدراسة اللغوية فيما يخص التعريب، والتى يعتمد الاقتراض فيها على عدة جوانب منها :

١- الكشف عن الصلات التاريخية واللغوية بين اللغتين ، الآخذة والمعطية (أو القارضة والمقترضة) ([2]) وما يرتبط بينهما من أصل لغوى لكل لفظ مستعار.

٢- الكشف عن التطور الدلالى للألفاظ وذلك من خلال مساهمة علم الدلالة فيما يخص هذا التطور.

---

* قدم هذا البحث فى (مؤتمر التعريب فى اللغات الشرقية) فى المؤتمر السنوى الرابع فى جامعة المنصورة مارس ٢٠٠٢

(١) عبد المنعم محمد حسن الكاروري : التعريب فى ضوء علم اللغة المعاصر –دراسة تحليلية للدخيل فى اللغة العربية مع استنباط لقوانين التعريب – دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٦، ص١.

(٢) محمد عبد الصمد زعيمة : ظاهرة التعريب فى ضوء اللغات السامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧، ص٤.

٣- التطور الصوتى الذى يطرأ على اللفظ عند الاقتراض ، وما يحمله من اختلافات عما كان مسبقاً فى اللغة الأخرى.

٤- ما يطرأ على اللفظ بعد التعريب من أحرف صرفاً سواء كان ذلك بالزيادة أو النقصان، ووفقاً للحروف العربية.

٥- طريقة التوظيف اللغوى الجديد للفظ بعد تحوله من لغة إلى لغة أخرى، من خلال مساهمة علم التراكيب فيما يخص ذلك.

إن ظاهرة التعريب من العبرية إلى العربية، تعد من الظواهر الهامة التى يجب إلقاء الضوء عليها تفصيلا لمعرفة مدى تأثر العربية بالعبرية، وكيفية توظيف الألفاظ العبرية الدخيلة على اللغة العربية.

وتبدأ هذه المسألة اللغوية بتعريف التعريب أولاً ثم تدوين اللغة ثانياً ثم التوظيف ثالثاً ، وفيما يلى بيان ذلك تسلسلا كالتالى:

تعريف التعريب :

إن التعريب يعنى فى حد ذاته، انتقال كلمة غريبة (أو دخيلة) على العربية إلى حيز العربية، واستخدامها فى اللغة العربية كجزء لا يتجزأ منها سواء كان هذا الاستخدام نفسه فى القالب التركيبى أو مختلف عنه.

وإذا كان التعريب يهم اللغة العربية، فإن التعريب لا يعنى افتقار اللغة العربية إلى غيرها من المفردات والصيغ الأخرى الأجنبية الدخيلة عليها ،وإنما جاء التعريب فى حد ذاته ليوضح مدى التطور اللغوى للعربية من ناحية[١] والترابط والتبادل اللغوى بين الأخوات الساميات، أو الأسرة اللغوية الواحدة والمعروفة بالأسرة السامية كأسرة مصغرة، أو أسرة اللغات الشرقية

---

(١) محمد عبد الصمد زعيمة: ظاهرة التعريب، المرجع السابق، ص٢.

كأسرة أعم وأشمل من ناحية أخرى، والذى تكون من أهم المظاهر الرئيسية لهذا الترابط والتبادل فيه :

١- الجوار الإجتماعى.

٢- التبادل الثقافى والعلمى.

٣- التبادل التجارى.

٤- الاحتكاك الدينى أو السياسى أو كلاهما معاً.

٥- أو اجتماع المظاهر المذكورة جميعها أو معظمها فى إطار واحد مما يؤدى إلى الأخذ والعطاء بين اللغات.

وهذا ما وضحه أيضاً "چسبرسن" Jespersen بقوله "ليس ثمة لغة خالية تماماً من الألفاظ المستعارة إذ لم تكن هناك أمة منعزلة كلية عن سواها. والاحتكاك بالأمم الأخرى يقود حتماً إلى هذه الاستعارة ولو أن عدد كلماتها قد يتفاوت بصورة واضحة"(١).

وبذا يمكن القول أن التبادل اللغوى لم يكن ناتجاً عن افتقار لغوى بل يمكن القول أن المظاهر المدرجة جميعاً كانت سبباً فى التبادل اللغوى بين العربية والعبرية، يل أن اللغة العربية أيضاً كانت وستظل دائماً النبراس الأول الذى استقت منه كثير من هذه اللغات. ولعل ما ذكره "جزينيوس" Gezenius من "أن اللغة العربية كانت وبفضل عزله القبائل فى الصحراء، هى أكثر اللغات السامية احتفاظاً بأكمل وأنقى الأصوات وصيغ الكلمات"(٢). يعد خير دليل على قدم وثراء العربية فيما يخص ذلك، وإن أخذ عليه وصف

---

(1) Jespersen , Otto : Language – évolution, nature et evolution preface j'Andre Martrinet, Paris, Payot, 1976, p.208-209.

(٢) Gezenius : Hebrew Grammar, Oxford, 1970, p.7.

العربية بالعزلة. وأن كان هذا الوصف يدل فى حد ذاته أيضاً على مدى متانة وقوة وتأثير هذه اللغة لا اندثارها.

وإذا كان موضوعنا هذا يخص انتقال بعض الألفاظ من العبرية إلى العربية أو بمعنى آخر الألفاظ الدخيلة على العربية من العبرية ،فإننا يمكننا أن نستعرض قضية الصراع على الأقدمية فى اللغة، نظراً لوجود لبس بين بعض الكلمات التى توضع موضع الشك ،فيما إذا كانت عربية الأصل أم عبرية.

وإنه نتاجاً لما سبق أيضاً من مظاهر الاحتكاك اللغوى ،أصبحت هناك قضية الصراع اللغوى على سلطة الأقدمية بالتدوين بين العربية والعبرية ولذا نجد أن هناك من الألفاظ ما دونت فى عبرية العهد القديم ثم دونت بعدها العربية ما دونت، فأصبح حق الأقدمية للغة المدونة أكثر اعترافاً.

برغم أنه من بين هذه الكلمات ما يمكن أن يكون فى الأصل عربى ولكن اختلفت تراكيبها وأشكالها في العبرية القديمة، (والمدونة أولاً قبل عربية القرآن)، عن وضعها الحالى فى العبرية، وهنا يمكن أن تطرح الأسئلة الآتية التى تجيب عليها الألفاظ وطرق استخدامها. هل الألفاظ التى نقلت إلى العربية ودخلت في حيز التعريب قد نقلت فى التراكيب بنفس التساوى فى اللفظ والدلالة (أو ما يسمى قديماً بالمعنى.

إن الإجابة هنا تكون إما بنعم فى البعض أو بلا فى البعض الآخر ولكن الإجابة التى تحتوى على الألفاظ بمفردها لا يعتد بالاعتراف باستخدامها اللغوى الصحيح فى علم اللغة الحديث ،طالما لم تدخل ضمن الإطار التركيبى والدلالى الفعلى الذى يحدد ماهيتها ودلالاتها المتعددة من خلال السياق اللغوى ،بل واستخداماتها المتعددة المختلفة أيضاً فى بعض المواقع اللغوية. وهذا ما وضحه بعض علماء اللغة المحدثين ،وعلى وجه

الخصوص علماء الدلالة، ومنهم العالم الأمريكى بلومفيلد بقوله " أن الكلمة المفردة المنعزلة ليس لها معنى ، وإنما لها استخدامات وإن استخداماتها ودلالاتها تتضح من خلال السلسلة السياقية المتواجدة فيها ،وهذا لا يتحقق إلا داخل الجملة لا بمعزل عن الجملة[1].

أضف إلى ذلك مراعاة الظواهر اللغوية المعروفة والتى منها "ظاهرة المشترك اللفظى" و"ظاهرة التبادل السياقى"، وتأثيرهما على دلالة الألفاظ داخل الوحدة اللغوية، والتى يمكن أن تختلف عنها فى خارجها (أى بمعزل عنها كصيغة مفردة). وإذا نظرنا إضافة إلى ما سبق ،إلى أهم ظاهرة من ظواهر التأثير فى التعريب، وهى ظاهرة التغير اللغوى، التى نشأ من خلالها ما يسمى بالتعريب، فإن هذا بدوره يدعونا إلى الإشارة إلى أصل اللغة العربية، وأصل اللغة التى أخذت منها العربية أيضاً ما يمثل هذا التغيير، وهى على وجه الخصوص فى موضوعنا هذا "التعريب من العبرية "، أى ما يخص العهد القديم، أو اللغة العبرية بصورة عامة.

ولذا فإنه من الجدير بالذكر استعراض هذه الأصول أو الجذور اللغوية لتنقية الأجواء التى تؤكد وتبرهن أيضاً على ما تم تحوله بالفعل إلى العربية من خلال عملية التعريب الحقيقية دون خلط أو مزج فى الأمور، والتى يمكن أن تبنى على أساسها، معايير خاطئة فى الحكم على أحقية أى منهما بالأصل ولذا يجب هنا الرجوع إلى الأصل ووحدة الأصل.

الأصل ومصطلح وحدة الأصل:

يعنى مصطلح وحدة الأصل أن جميع اللغات السامية إنما ترجع إلى لغة واحدة فى الأصل وهى اللغة الأم بصورة خاصة ،وإن كانت هناك وحدة

---

(١)**Bloomfield : Le Language ,Paris ,Payot ,1970 ,P 167.**

الأصل الأعم والأشمل والتى تنظر نظرة أخرى أوسع نظاماً وهى أن لغات العالم إنما انبعثت من لغة واحدة أم أيضاً وهى الأصل لكل لغات العالم.

وقد أيد كثير من العلماء الرأى القائل ،بأن العربية هى الأصل والأقدم فى اللغات السامية بل والحامية أيضاً ،والتى ترجع كما ذكر العالم الإيطالى الفريد ترمباتى إلى حوالى ثمانية آلاف سنة (أى أنها أقدم حتى من المجموعة الهندو- أوربية ، بأربعة آلاف سنة ، باعتبار أن ظهور الأخيرة أى الهندو- أوربية ، يؤرخ بأربعة آلاف سنة[١].

ويقول ولفنسون : "أن الطريقة المثلى لمعرفة أقرب الساميات إلى اللغة الأم السامية هى استخلاص القديم من كل اللغات السامية ،مضاف إليه المرجح اشتراكه بين جميع الساميات كالضمائر والعدد وأسماء أعضاء الجسم وجملة من الأسماء كالسماء والأرض والجمل والكلب والماء والبيت لتكوين لغة قريبة من السامية الأولى"[٢]. ثم نرى أقرب الساميات إلى هذه اللغة المؤلفة لتكون هى أقرب إلى اللغة السامية الأم[٣].

وإنه مهما اختلفت الآراء فى أقدمية أى من اللغات السامية على الأخرى أو بمعنى آخر أسبقية لغة على الأخرى ولاسيما العربية والعبرية

---

(١) عبد المنعم الكاورى : التعريب فى ضوء علم اللغة المعاصر – ص١٩.

(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغة السامية –ط١، مطبعة الاعتماد ، القاهرة، ١٩٢٩، ص٨.

(٣) عبد المنعم الكاورى : التعريب فى ضوء علم اللغة المعاصر، المرجع السابق، ص٢٣ .

- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية، المرجع السابق، ص٢٣.

- برجشترسر : فى التطور النحوى للغة العربية، مطبعة السماح، القاهرة، ١٩٢٩، ص١٤٠ - ١٤١.

فيما يخص موضوعنا هذا فإن الرجوع إلى أصل اللغة الحقيقى منذ بداية الخليقة، ربما يكون أقرب إلى توضيح الحقائق للوصول إلى حل مرضٍ عن أسبقية الأصل من ناحية، وكيفية تفاعل اللغات من ناحية أخرى. فإذا نظرنا إلى بعض الآراء عن الأصل اللغوى نجد أن الرأى الأول لبعض العلماء يقول أن اللغة هى إلهام من الله فهى توقيفية[١] أما الرأى الثانى لبعض العلماء فيقول أن اللغة تواضع واصطلاح بين الناس فهى وضعية[٢].

هذا، وقد رفض الرأى الأول نظراً لضعف ما استند عليه من حجج، كان من أهمها الاعتماد على الآية القرآنية (وعلم آدم الأسماء كلها).

وقد نقض هذا الرأى لأن المراد بالآية القرآنية هو المسميات من معان وأشياء، لا الأسماء ذاتها وهناك أربعة دلائل ذكرها المغربى لإثبات ذلك من بينها أن اللغة توقيف، وهذا يتماشى أيضاً مع ما ذكره ابن فارس بقوله " أقول أن لغة العرب توقيف"[٣]، إما من تردد بين الرأيين فهو رأى كل من ابن جنى وأبى الحسن الأخفش، وأبى على الفارسى اللذين يجزمون بأن أصل اللغة هو اصطلاح أم هو توقيف، ويرجع هذا إلى التعصب للعربية بترجيح صحة قدم العربية من حيث أصل اللغة استنادا على تكلم سيدنا آدم عليه السلام بالعربية، كما ذكر ابن عساكر عن بن عباس أيضاً ،وعندما عصى أمر ربه ،سلبه الله إياها ومنحه السريانية فتكلم بها، ثم رد إليه العربية فى

---

(١) مجمع اللغة العربية : مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ، ١٩٨٤، -٤-، ج١١، ص١١٥ .

صبحى الصالح : دراسات فى فقة اللغة – ط٢- بيروت، ١٩٦٢، ص١٧.

(٢) عبد القادر المغربى : الاشتقاق والتعريب، ط٢، القاهرة، ١٩٤٧، ص١٧.

(٣) بن فارس : الصاحبى – مطبعة المؤيد – القاهرة، ١٣٢٨هـ، ص٥.

الأرض بعد أن تاب عليه(١).

ومن هنا رسخ في الأذهان أن العربية هي الأصل وهي أقدم اللغات ،أمام قول أحبار اليهود بأن العبرية هي الأصل وهي أقدم اللغات(٢) استناداً على فقرة التوراة القائلة بأن الله بعد أن خلق الحيوانات والطيور والدواب عرضها على آدم ليرى كيف يسميها ،فوضع آدم أسماء لهذه المخلوقات(٣).

أما من جهة التشابه بين العربية وبعض اللغات الأخرى السامية ،فقد علق على ذلك الشافعي في كتاب الرسالة بقوله " أن اتفاق بعض الكلمات في لغة العرب وغيرها من اللغات، إما من النقل عن العربية، أو من توافق اللغات"(٤) ولذا صار هذا القول عقيدة ينادى بها كثير من الدارسين للغة العربية قديماً وحديثاً، حتى أدى ذلك إلى قطع الصلة بينها وبين اللهجات العربية الأخرى القديمة والمعاصرة، وإلى تحريم الترخيص بالإضافة إلى أصولها حتى أن بعضهم يلتزم ويلزم بما جاء في المعاجم فحسب، ولا يسمح

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: المزهر في علوم اللغة - تحقيق محمد أحمد جاد المولى، محمدعلي البجاوي، ومحمد ابو الفضل إبراهيم -ط١، القاهرة، د.ت ، ص١-٣.

- محمد عطية الابراشي: الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها، ط١، القاهرة، ١٩٤٦، ص٧.

(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، المرجع السابق، ص٦.

(٣) عبد المنعم الكاروري: التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر، المرجع السابق، ص ١٠.

(٤) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ، ص٨٥.

للوليد من الكلمات أن يدخل فى إطار الاستعمال اللغوى[1] سواء كان هذا الوليد من الكلمات عربياً فى أصله، أو طارئاً على العربية، بعد عصور الاحتجاج أو كان هذا الاستعمال دخيلاً على العربية من لغة أخرى.

إن الدراسات العربية المعاصرة بل والعبرية أيضاً ،لابد أن تتجرد من الميل لترجيح أى منهما لتنضم لكفة رجاح اللغة إلى اتجاهها سواء كان ذلك يخص العربية ،أو العبرية للوصول إلى الحقائق العلمية، لمعرفة الدخيل على العربية من العبرية أو العكس وذلك من منطلق العوامل المذكورة السابقة التى أدت إلى هذا التبادل اللغوى.

وإذا كان هناك شئ يراد إضافته إلى ذلك، فيكون تطور دلالات الألفاظ عبر العصور من ناحية، واختلافات استعمالاتها فىْ وقت واحد ،مع اختلاف المكان من ناحية أخرى فعلى سبيل المثال نجد أن العربية تستخدم الصيغة " مبسوط " بطريقتين مختلفتين إحداهما تدل على الفرحة والسرور كما هو الحال فى اللهجة المتبعة فى جمهورية مصر العربية حينما يقال نجح الطالب فالأب مبسوط لنجاحه أى "مسرور"، وذلك على عكس الصيغة "مبسوط" التى تدل على الانتقام بالضرب كما هو الحال فى اللهجة المتبعة فى الجمهورية العراقية، حينما يقال " رسب الطالب فبسطه الأب، لرسوبه، أى ضربه.

أما النوع الثانى من التطور الدلالى ، فنذكره فى العبرية على سبيل المثال حينما استطاعت أن تخرج من دلالة الصيغة "אִישׁ צָבָא" "رجل

---

(١) تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥، ص٤.
راجع أيضاً كل من :
بن فارس : الصاحبى ، المرجع السابق، ص٨.
مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية وتطورها – معهد الدراسات العربية – القاهرة، د ت، ص ٣٠.

الجيش" إلى صيغة واحدة لتحمل نفس الدلالة وهى "חיל" "جنـدى" وذلـك بمرور تطور الصيغة بفترة زمنية أدت إلى تغيرها من خلال هـذا التطـور الزمنى إلى التطور الدلالى وكذا الأمر أيضاً فى تحـول "בֵית אוכל" إلـى "מִסְעָדָה" أى "مطعم" وغيرها من الصيغ الأخرى والدلالات الأخرى لهـا[١] أو حتى فى العربية نفسها بل وكافة اللغات الشرقية الأخرى أيضاً، بل وسائر اللغات بصورة عامة.

وإذا تتبعنا دوراً هاماً يلقى ضوءاً على هذا الموضوع أيضاً، فيكون دور علم اللغة فيما يخص تطور الألفاظ ودلالتها، والذي وضحت دلالات الألفاظ فيه، من خلال استعراض التطور التاريخى للألفاظ، ولاسيما الدراسات التاريخية للغة الإنجليزية باعتبار أن العبرية الحديثة قد تأثرت تأثراً ملحوظاً بالإنجليزية ،فنجد على سبيل المثال أن الدراسة الايتمولوجية Etymology[٢] قد فرقت بين عدة معانى للألفاظ، ففرقت بين كل من المعنى المركزى Central meaning، والمعنى الثانوى Marginal meaning والمعنى السياقى Contextual meaning هذا بالإضافة إلى نغمة الإحساس عبر التاريخ أى "Feeling tone" [٣]

وإنه لمن المعروف أن العربية فقدت كثير من كلماتهـا بسـبب عـدم تدوينها، كما ذكر انستاس " مارى الكرملى " إن ألفاظاً جمة ،لا يعرف عددها

---

(١)Cohen David: Grammairc Le L' Hebrew Vivant , Presse Universitaire de France, Paris 1968, p.13-14.

(٢) Jean Du Bais et d'autre : Dictionnaire de Linguistique Larousse, Paris, 1973, p.197.

(٣) انظر كل من :.

- **تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة، المرجع السابق، ص ٢٣٩-٢٤٢.**
- **عبد المنعم الكارورى: التعريب فى ضوء علم اللغة المعاصر، ص١٥.**

إلا الله ماتت من هذه اللغة لعدم تدوينها ،أو لموت المتكلمين بها أو لأنها لم تناسب البيئة التى تغيرت بتغير الأحوال والمعيشة(١).

ولكن الذى يمكن الأخذ به أكثر من غيره من هذه الأسباب هو فناء أو انقراض الألفاظ غير الملائمة للبيئة وهذا ما أكد عليه كورتى جيمس بقوله " أنه يجب أن تقاس ثروة لغة الأمة بمقدرة هذه اللغة فى عصرها وموطنها ،كما يستطرد قوله" إنما يحتسب الاتساع الحقيقى للغة بمقدرتها على إيجاد الألفاظ والصيغ الوافرة العدد لاستيعاب الوجدانيات والتخيلات والأفكار والتصورات التى تتحرك من خلالها عقول الناس وتعمل فى محيطها "(٢).

أما ما ذكره ولفنسون فهو قريب من ذلك ،ولكنه ذكره بصورة موضوعية مختصرة بقوله " أنه من المعلوم أن اللغة تنمو وتتسع بنمو عقل الأمة وتقدمها فى الحضارة والمدنية(٣).

وخلاصة ما سبق يمكن القول، بأن هناك من العوامل ما أدى إلى انقراض بعض الألفاظ، وهناك من العوامل ما أدى إلى تحول دلالات البعض الآخر فيها وهناك من العوامل ما ساعد على تناغم البعض أيضاً من أصوات الألفاظ، لمحاولتها مقاومة أية ألفاظ أخرى تحاول زحزحتها عن مكانها ولذا يكون لحسن الأسلوب والقوة والعذوبة والجرس الموسيقى أثر فى الحفاظ عليها وخاصة إذا كانت قد توافرت فيها عوامل البقاء والخلود نظراً لارتباطها بالبيئة والعصر ولعل هذا التركيب الصوتى لهذه الألفاظ ،يكون

---

(١) مارى الكرملى : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها – المطبعة العصرية – القاهرة، ١٩٣٨، ص ١٠٢-١٠٦.

(٢) James Gorty : The language of Palestine and adjacent regions- edinburgh, 1920, p.223.

(٣) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية، المرجع السابق، ص٨.

عاملاً من عوامل بقائها أيضاً على قيد الحياة، دون الباقى الآخر ممن تعرض للانقراض، أو التغيير الدلالى بتغير الزمن.

ومما لاشك فيه فإن المنهج المقارن قد لعب دوراً ملحوظاً لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بين لغات المجموعة السامية بعضها البعض، ولاسيما العربية أو العبرية كما أن المنهج التاريخى قد لعب دوراً ملحوظاً أيضاً لمعرفة التطور التاريخى لكل لغة وأصبحت الدراسة بهذه المناهج على عمق فكرى ووعى علمى وثقافى مستمر ، مما أدى إلى الوقوف على ما هو منقول من العبرية إلى العربية ضمن عملية التعريب، وكذا أيضاً معرفة كيفية الاستخدام اللغوى لهذه الألفاظ فى التراكيب فى كلتا اللغتين من خلال المنهج اللغوى المتبع وهو الدراسة التحليلية الوصفية موضحة هذه الألفاظ ووظائفها تسلسلاً كالتالى :

الألفاظ المعربة من العبرية إلى العربية وكيفية وظائفها التركيبية :

١- أسماء علم عبرية للعاقل وغير العاقل ،نقلت إلى أسماء علم فى اللغة العربية للعاقل وغير العاقل أيضاً، ولكن بصورة مختلفة فى التراكيب أحياناً (وخاصة على مستوى العبرية القديمة) وصورة أخرى تتفق فى التراكيب فيها أحياناً أخرى (ولاسيما على مستوى العبرية الحديثة) وذلك مثل اسم العلم ישראל "إسرائيل ". الذى يدخل فى تراكيب كل من العبرية القديمة والعبرية الحديثة " كاسم علم للمفرد المذكر العاقل مرة " واسم علم للمفرد المؤنث غير العاقل مرة لإسرائيل نفسها، واسم جمع مرة ثالثة، ولا يحدد هذه الفروقات إلا التراكيب. فعلى على سبيل المثال لا الحصر قد أتى اسم العلم المفرد المذكر العاقل יִשְׂרָאֵל "اسرائيل" فى التوراة تحت إسم يعقوب فقيل : וַיֹּאמֶר אֵלָיו מַה־שְּׁמֶךָ וַיֹּאמֶר יַעֲקֹב. וַיֹּאמֶר לֹא יַעֲקֹב יֵאָמֵר עוֹד שִׁמְךָ כִּי־אִם־יִשְׂרָאֵל. כִּי

שָׂרִית עִם אֱלֹהִים. (١) "وقال ما أسمك، فقال يعقوب، فقال لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله[٢]." حيث أدى اسم العلم هنا وظيفة خبر لمبتدأ محذوف تقديره "اسمى" أما الثانى فهذه الوظيفة تعد خبرا منفيا وللدلالة على ذلك أنه مسبوق بأداة النفى.

أما اسم العلم الثالث البديل له "ישראל" "إسرائيل" فقد أدى نفس الوظيفة الخبرية، مع فارق التراكيب المسبقة والتى يقصد بها أن تكون بالصورة الآتية: כי-אם + שמך + הוא + ישראל. أى אבל + שמך + יהיה + ישראל" "لكن + سيكون + اسمك إسرائيل" مع فارق التراكيب بين العبرية والعربية من حيث تقدم فعل الكينونة على الاسم فى العربية وذلك عكس العبرية التى تقدم فيها الاسم المضاف إلى ضمير المتكلم الذى يعد بمثابة مضاف إليه على فعل الكينونة.

أما استخدام اسم العلم المفرد المذكر العاقل "ישראל" "إسرائيل" فى اللغة العربية، فلم يرد فى القرآن الكريم الذى يمثل اللغة العربية الفصحى، نهائياً كمثيله فى العبرية القديمة الموضحة أعلاه، ولكنه ورد على مستوى العربية الحديثة، سواء العربية المكتوبة أو المتكلمة.

كما استخدمت الصيغة "בני ישראל" "بنى إسرائيل" كاسم علم للجماعة وليس المفرد وهم بنى إسرائيل كما جاء فى سفر التثنية (على سبيل المثال):
וַיִּקְרָא מֹשֶׁה אֶל-כָּל-יִשְׂרָאֵל וַיֹּאמֶר אֲלֵהֶם שְׁמַע יִשְׂרָאֵל אֶת הַחֻקִּים

---

(١) انظر كل من قاموس الكتاب المقدس : السابق، ص ٦٩.
ספר הבריתות" תורה, נביאים,וכתובים. המהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה שטוטגרטנסיה. החברה לכותבי קודש 1991. בראשית: עמ' 29-28:32.
(٢) انظر الترجمة العربية فى الكتاب المقدس: دار المقدس فى الشرق الأوسط، ١٩٨٥ ، سفر التكوين، إصحاح ٢٧/٣٢-٢٨ ص ٥٤.

וְאֶת הַמִּשְׁפָּטִים אֲשֶׁר אָנֹכִי דֹּבֵר בְּאָזְנֵיכֶם הַיּוֹם[١]

"ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام التى أتكلم بها فى مسامعكم اليوم". فمن الملاحظ هنا أن "إسرائيل" . وهو الاسم المفرد المنادى، صيغة "يكون فى الجمع دلالة" ودليل على ذلك ضمير المفعولية المضاف إلى ضمير الجمع المخاطبين "אתכם" . وكذلك أيضاً جواب الشرط الممثل فى الفعل "תחיו" "تحيوا" الذى جاء فى زمن المستقبل والذى اقترنت بآخره واو الجماعة.

كما استخدم هذا الاسم "ישראל" كاسم جمع بدلاً من "بنى إسرائيل" ،وهو اسم أطلق على أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر، فأطلق عليهم إسرائيل. وجاء ذلك فى الكتاب المقدس: וְהָאֲבָנִים תהיין עַל שְׁמוֹת בְּנֵי יִשְׂרָאֵל שְׁתֵּים עֶשְׂרֵה עַל שְׁמוֹתָם"[٢] "وتكون الحجارة" على أسماء بنى إسرائيل اثنى عشر على أسمائهم" .

كما أستخدم الاسم "ישראל" "إسرائيل" كـأمه لأول مرة خارج الكتاب المقدس فى نقش لمنفتاح فرعون مصر الذى حكم مصر فى الفترة من ١٢٣٤ ق.م إلى ١٢٢٧ ق.م.[٣]

أما اسم العلم المفرد المؤنث لغير العاقل فأطلق مرة على " مملكة إسرائيل " فى الفترة من ١٠٥٠ حتى ٩٣٠ ق.م ،والتى كان يحكمها آنذاك الملوك الثلاثة شاؤول و داود وسليمان،[٤]

---

(١) תנ"ך: דברים: שם: עמ' 1:5:175.

- انظر الترجمة العربية في الكتاب المقدس، السابق، ص٦٩.

(٢) תנ"ך: שמות: שם. עמ' , 21:28:136.

(٣) انظر قاموس الكتاب المقدس: السابق، ص ٦٩.

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس: السابق، ص٧٠.

هذا ، وقد نقل هذا اللفظ من العبرية الحديثة إلى العربية الحديثة أيضاً، وبنفس الصيغ والدلالات، ليعنى دلالتين مختلفتين لتركيبين مختلفين أحياناً، وتركيبين متوافقين أحياناً أخرى فى كلتا اللغتين ففيما يخص الشق الأول يمكن أن يقال : " رأيت السيد إسرائيل" وفى الثانية " السيد إسرائيل زار إسرائيل" فالدلالة الأولى لرجل عاقل مذكر. أما الثانية لمكان غير عاقل مؤنث، فهنا اختلفت كل من التراكيب والدلالة أيضاً أما الشق الثالث الذى تتوافق فيه التراكيب وتختلف الدلالة.

فيقال فيه "בני ישראל ובנותיו" "أبناء إسرائيل وبناته". ويقال أيضاً "בני ישראל ובנותיה" "أبناء إسرائيل وبناتها" [1]،فالتركيب الأول يكون للمفرد المذكر العاقل فدلالته تكون لرجل يدعى إسرائيل أما التركيب الثانى فيكون للمفرد المؤنث غير العاقل فدلالته تكون لإسرائيل نفسها. فالدلالتان مختلفتان، برغم أن التركيب واحد. فيما عدا التراكيب الأخيرة التى توضح الفرق بين دلالة المذكر من خلال الواو وبين دلالة المؤنث فى الثانية من خلال الهاء.

أما من الناحية الصوتية فهناك اختلاف كتابى وصوتى بين كلمتى اللغتين العربية والعبرية، فبينما تبدأ العبرية بالياء وتنطق السين "Z" زد، تنطق العربية الصيغة بدأ بالألف ،أما السين فتنطق كما هى سين وليس زد، ويرجع السبب فى نطقه السين "Z" فى حرف زد بالانجليزى إلى أن قبلها حرف من الحروف المتحركة تأثراً باللغة الإنجليزية[٢].

---

(2)(Cohen D. Grammaire de L' Hebrew Vivant ,Opcit ,P203

(٢)أنظر فيما يخص الحروف المتحركة وتأثيرها على الأصوات فى الإنجليزية والعبرية كل من:

Michel Masson : Les mots nouveaux en Hebreu moderne, l'institute nationale des langues et des sivilization orientales, Paris, 1976, p.56.=

٢-أسماء علم للمفرد المؤنث العاقل نقلت من العبرية إلى العربية بنفس الدلالة، كاسم العلم "דינה" "دينة"، الذى جاء فى العبرية بمعنى الدينونة ،وهى ابنة سيدنا يعقوب عليه السلام، من السيدة ليئة:

אֵלֶּה בְּנֵי לֵאָה אֲשֶׁר יָלְדָה לְיַעֲקֹב בְּפַדַּן אֲרָם וְאֵת דִּינָה בִתּוֹ (١)

"هؤلاء هم أبناء ليئة اللذين أنجبتهم من يعقوب يفدن أرام ودينه ابنته" حيث أدى اسم العلم دينه هنا وظيفة المفعول المباشر للفعل יָלְדָה + את דִּינָה בִתּוֹ.

أى أنجبت دينه ابنته. كما أدى اسم العلم للمفردة المؤنثة دينه أيضاً وظيفة الفاعل كما فى : "וַתֵּצֵא דִינָה בַּת לֵאָה אֲשֶׁר יָלְדָה לְיַעֲקֹב לִרְאוֹת בִּבְנוֹת הָאָרֶץ"(٢)

"وخرجت دينة ابنه ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض". وتتضح جلياً وظيفة "دينة" الفاعل من خلال الفعل תֵּצֵא "ستخرج"، الذى جاء فى المستقبل صيغة، ولكنه أدى وظيفة الماضى دلالة بسبب دخول واو القلب عليه. هذا بالإضافة إلى وظائف أخرى لهذا الاسم، كالمضاف إليه وما إلى ذلك.

ولم يرد هذا الاسم فى عربية القرآن الكريم ولو لمرة واحدة ولكنه من المرجح أن اسم العلم المؤنث دينا فى اللغة العربية قد نقل من العبرية نتيجة لمجئ هذه الابنة مع سيدنا يعقوب إلى أرض مصر، ويقال فى العربية : رأيت دينا، وجاءت دينا ، وسلمت على دينا، ودينا طالبة، ودينا لطيفة ومرة

-= אשר לאופר: מבוא לתורת הלשון: יחיה 4-5 . הוצאת האוניברסיטה הפתוחה- תל אביב- תשמ"א. 1981, עמ' 36.

(١) תנ"ך: בראשית: שם:עמ' 15:6:47.

(٢) שם: עמ':1:34:33

دينا طالبة لطيفة، فتأتى مرة مفعولاً ومرة فاعلاً ومرة مضافاً إليه ومرة مبتدأ اسمياً. ومرة خبراً اسمياً. وما إلى ذلك من التراكيب الوظيفية المختلفة.

٣- انتقال صيغ إسمية من أسماء العلم المفرد المذكر الحسى لغير العاقل للمكان فى العبرية إلى أسماء ذات للمفرد المؤنث المعنوى لغير العاقل فى العربية وذلك مثل الصيغة "צִיּוֹן" "صهيون" التى تعد كنعانية الأصل ثم استخدمتها العبرية كاسم علم لجبل صهيون والذى يعنى "حصن"(١).

كما فى : וַיִּלְכֹּד דָּוִיד אֶת מְצֻדַת צִיּוֹן הִיא עִיר דָּוִיד(٢)

"وحاصر داود حصن صهيون، هى مدينة داود". حيث أدت "صهيون" هنا وظيفة مضاف إليه للمفعول المباشر الأسمى النكرة "מְצֻדַת" "حصن" والذى سبقته أداة المفعولية نظراً لإضافة هذا المفعول النكرة إلى معرفة والممثلة هنا فى اسم العلم المفرد الذى يعد اسم مكان أيضاً وهو"צִיּוֹן" "صهيون".

كما ذكر هذا الاسم حوالى أكثر من مائة مرة فى العهد القديم أيضاً.

הִנֵּה אָנֹכִי וְהַיְלָדִים אֲשֶׁר נָתַן לִי יְהוָה לְאֹתוֹת וּלְמוֹפְתִים
בְּיִשְׂרָאֵל מֵעִם יְהוָה צְבָאוֹת הַשֹּׁכֵן בְּהַר צִיּוֹן" (٣)

"هاأنذا والأولاد الذين أعطيناهم الرب آيات وعجائب فى إسرائيل من عند رب الجنود الساكن فى جبل صهيون".

وقد تحول هذا الاسم من اسم مكان لهذا الجبل ،إلى اسم علم آخر لأورشليم كلها ، "וְהָיָה הַנִּשְׁאָר בְּצִיּוֹן וְהַנּוֹתָר בִּירוּשָׁלִַם קָדוֹשׁ יֵאָמֶר לוֹ" (٤)

(١) قاموس الكتاب لمقدس: السابق، ص ٥٥٨.

(٢)תנ"ך:דברי הימים א: עמ': 11:5:807.

(٣) תנ"ך: ישעיה: עמ' 18:8:392.

(٢) תנ"ך: ישעיה: עמ', 1:4:389.

"ويكون الذى يبقى فى صهيون والذى يترك فى أورشيلم يسمى قديساً" ويتضح هنا أن هذه الصيغة "صهيون" وهى اسم العلم المفرد المؤنث لغير العاقل للمكان يؤدى وظيفة مضاف إليه للفعل الماضى المبنى للمجهول הַנִּשְׁאָר "يتبقى" من وزن נפעל .

ولكن هذا الاسم قد تحول بعد ذلك إلى اسم مفرد مؤنث معنوى لغير العاقل فى العربية ليعنى " الحركة الصهيونية " فيقال الصهيونية العالمية فتكون اسما يرمى إلى فكرة السيطرة التى تدعو إلى عودة اليهود من بقاع العالم وبناء وطن قومى لهم فى فلسطين وممارسة كل أعمال الصهيونية فيها وبذا أصبحت لهذه الصيغة دلالة " الجماعة ".

كما تحولت هذه الصيغة إلى صفة نسب أيضاً سواء للمفرد المذكر العاقل كأن يقال איש ציוני "رجل صهيونى" أو اسم مفرد مؤنث للعاقل كأن يقال אשה ציונית سيدة صهيونية ،أو صفة نسب مفرد مذكر معنوى لغير العاقل كأن يقال " الفكر الصهيونى "הרעיון הציוני" أو صفة للنسب أيضاً للمفرد المؤنث المعنوى لغير العاقل كأن يقال "התנועה הציונית" "الحركة الصهيونية" كما ذكر مسبقا.

٤- انتقال صيغ إسمية من أسماء العلم المفرد المؤنث لغير العاقل للمكان فى العبرية إلى أسماء ذات لغير العاقل فى العربية كاسم العلم "דִּבְלָה" "دبلة" وهو اسم مكان فى فلسطين[١] ويعنى مكاناً مستديراً: וְנָתַתִּי אֶת הָאָרֶץ שְׁמָמָה וּמְשַׁמָּה מִמִּדְבַּר דִּבְלָתָה[٢] "وأصير الأرض مقفرة وخربة من القفر إلى دبلة"، حيث أدى هنا هذا الاسم المكانى وظيفة مضاف إليه والمضاف ممثل فى حرف الهاء الأخير اللاحقة، حيث أن

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس: السابق، ص٣٦٧-٣٦٨ .

(٢) תנ"ך: יחזקאל: עמ' 14:6:490

المقصود إلى دبلة. ثم انتقل بعد ذلك اسم آخر وهو دبلة أيضاً للدلالة على الكعكة المستديرة، وإن قيل أحيانا "دبلايم" التى تعنى الكعكة المزدوجة(١)، وفى نفس الوقت يعد هذا الاسم نفسه اسم علم للمفرد المذكر العاقل وهو اسم حمى هوشع كما جاء كالتالى: וַיֵּלֶךְ וַיִּקַּח אֶת־גֹּמֶר בַּת־דִּבְלָיִם(٢) "فذهب وأخذ جومر ابنة دبلايم" (أى تزوجها). وقد جاءت وظيفة اسم العلم "דבלים" "دبلايم" هنا مضاف إليه للمضاف "בת" وكلاما معاً أديا وظيفة بدل للمفعول المباشر وهو اسم العلم "גמר" "جومر".

أما بخصوص اللغة العربية ،فمن المعروف أن اسم " دبلة " يعنى الدبلة أو الحلقة الذهبية أو الفضية التي تلبس فى الإصبع فى حالة الخطوبة أو الزواج لكل من المذكر والمؤنث.

٥- انتقال صيغ اسمية من أسماء العلم العبرية إلى صفات فى العربية وذلك مثل الصيغة الاسمية "אַסִּיר" "أسير" التي وردت كاسم علم لرجل لاوى فى التوراة :בֶּן תַּחַת, בֶּן אַסִּיר, בֶּן אֶבְיָסָף בֶּן קֹרַח (٣)

"بنوقهات أسير ابنه ، أبياساف ابنه، قورح ابنه". والتى جاءت أيضاً كاسم علم للمفرد المذكر العاقل لأحد أحفاد هذا الرجل المذكور آنفاً، وكان من أسلاف صموئيل(٤).

أما وضع هذه الصيغة فى العربية فهى كما سبق ذكره، تعد صيغة وصفية للمفرد المذكر والمؤنث وكذلك الجمع بنوعيه كأن يقال "رجل أسير"

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، السابق ، ص ٣٦٧.

(٢)תנ"ך: הושע: עמ' 3:1:535.

(٣) שם: דברי הימים א: עמ' 22:6:802.

(٤) انظر الكتاب المقدس: السابق، ص ٦٨.

و"امرأة أسيرة"، و"رجال أسرى"، و"نساء أسيرات".

٦- صيغ ذكر البعض أنها فى الأصل عبرية[١]، وذكر البعض أنها فى الأصل عربية كالصيغة "آمين" ودليل على ذلك أنها بالقصر فى لغة الحجاز وبالمد فى لغة بنى عامر أى أن الأولى أمين، والثانية آمين[٢] وأنها تعنى إسم من أسماء الله وقد أكد الحسن بن البصرى إضافة إلى ما سبق أيضاً، على أنها اسم من أسماء الله تعالى وقد جاءت من مادة أمن فى اللغة العربية من الأمانة والتصديق والأمان[٣]، أما ما ورد فى البعض الثالث، فيرجع إلى أن هذه الصيغة آمين تعنى الصادق والثابت أو الراسخ[٤]وتفيد بالتحقيق أو التأكيد فى عهد أو قسم كما فى : וְאָמַר כָּל הָעָם אָמֵן[٥] "ويقول جميع الشعب آمين" حيث أدت هذه الصيغة آمين وظيفة صيغة خبرية للجملة الفعلية السابقة لها المكونة من الفعل والفاعل וְאָמַר + כָּל + הָעָם "وقال + كل + الشعب". وقد وردت هذه الصيغة كما ذكر جرينيوس[٦]، فى كل من العبرية والحبشية والآرامية والآشورية .

ولكن ما ذكر فى أخبار الأيام على سبيل المثال وليس الحصر يفيد بأن

---

(١) شهاب الدين الخفاجى : شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، تحقيق ومراجعة عبد المنعم الخفاجى، المطبعة المنيرية، الأزهر، القاهرة ١٩٥٤، ص٣٨.

(٢) الرافعى : المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، تصحيح مصطفى السقا، مطبعة البابلى الحلبى، مصر ١٩٥٠، جـ١، ص٢٩.

(٣) انظر محمد عبد الصمد زعيمة : ظاهرة التعريب، المرجع السابق، ص ٢٥-٢٦.

(٤) انظر الكتاب المقدس : السابق، ص١١٨- ١١٩.

(٥) תנ"ך: דברים: עמ' 26:27:197.

(٦) Gezenius : Hebrew and English, Lexicon of the old testament, Oxford, 1959, p.52

أصل هذه الصيغة هو "אמנון" آمنون ولـيس آمـين וְאֵלֶּה הָיוּ בְּנֵי דָוִיד אֲשֶׁר נוֹלַד־לוֹ בְּחֶבְרוֹן. הַבְּכוֹר אַמְנוֹן לַאֲחִינֹעַם הַיִּזְרְעֵאלִית [1]

"هؤلاء هم أبناء داود الذين ولدوا له فى حبرون. البكر آمنـون مـن أخينوعم اليزرعيلية" حيث أدت هذه الصيغة "أمنون" أو "آمين" التى تعد اسم علم للمفرد المذكر العاقل، وظيفة خبر للمبتدأ المعرف "הבכור" "البكر".

كما استخدمت الصيغة "أمين" بدلا لاسم العلم "محمد" أى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام " إضافة إلى ذلك استخدمت كصفة له فيقال "الصادق الوعد الأمين" وخاصة أنه كان مشهوراً بالأمانة والصدق فى كل الأمور، ولاسيما عملية التجارة التى كان يقوم بها.

وإذا كان البعض قد ذكر أن هذه الصيغة "آمين" اسم من أسماء الله فيعنى ذلك أنها اسم ذات، ولكن المترآى هنا أنها صفة أى نرجوك يا الله أن يكون هناك الأمن والتصديق منك عز شأنك "آمين" ومن المعروف أن هذه الصيغة "آمين" التى جاءت بهذا الرجاء الوصفى تستخدم دائماً بعد قراءة فاتحة العرش وهى "السبع المثانى" أول سورة فى القرآن الكريم[2].

وإذا عدنا إلى الوزن الصرفى للصيغة "آمين" فنجدها صيغة صرفية على وزن פעיל فى العبرية، ولا يوجد هذا الوزن " فاعيل" فى العربية[3]، بل جاء من هذا الوزن פעיל أسماء علم للمفرد المذكر العاقل كشامير ورابين فى العبرية الحديثة. هذا وإن كانت هذه الأسماء ليست فى الأصل أسماء علم

---

(١) תנ"ך: דברי הימים א: עמ' 1:3:798.

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،وضعه محمد فؤاد عبـد البـاقى- دار الحديث، القاهرة ، ط١، ١٩٨٦م، ص٨١-٩٠.

(٣) انظر محمد عبد الصمد زعيمة: ظاهرة التعريب فى ضوء اللغات السامية، المرجع السابق، ص٢٧. حيث ذكر أن شهاب الدين الخفاجى قد أشار إلى عدم وجود هذا الوزن فى العربية.

وإنما أسماء ذات كالاسم "שָׁמִיר" "شامير" الذى يعنى فى الأصل حجر من الماس وغير ذلك[١].

٧- صيغ من أصل عبرى تمثل المشترك اللفظى بين الفعل والاسم ، ولكنها نقلت إلى اسم علم فقط فى العربية وذلك مثل الصيغة "יִצְחָק" التى جاءت فى العبرية مرة بدلالة فعليه ممثلة فى الفعل "יִצְחַק" يضحك، حينما ضحكت السيدة سارة لأنها لم تصدق أنها ستنجب ولداً بعد تقدمها فى العمر، هى ووالده سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام. ولذا ظلوا يضحكون هم ومن معهم من جيرانهم حينما سمعوا عن موعد مولده[٢]

كما فى التكوين: וַתִּצְחַק שָׂרָה בְּקִרְבָּה[٣] "وتضحك سارة فى باطنها"" حيث جاء الفعل المنسوب إلى ضمير المفردة المؤنثة الغائبة "תִּצְחַק" "تضحك" هنا فى زمن المستقبل صيغة ولكن بسبب دخول واو القلب عليه أعطى وظيفة الخبر الفعلى فى الماضى دلالة".

أما الصيغة الاسمية "יִצְחָק" "إسحق" فهى نفس اللفظ الفعلى السابق، الذى أطلق على هذا الطفل ، والتى تعد صيغة اسم علم للمفرد المذكر العاقل، فى العبرية ،والتى جاءت بنفس الصيغة الاسمية فى العربية أيضاً ، مع اختلاف التراكيب فبينما جاءت هذه الصيغة الاسمية فى العبرية :וַיֵּלֶךְ יִצְחָק אֶל אֲבִימֶלֶךְ-פְּלִשְׁתִּים גְּרָרָה[٤] "فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك فلسطين

---

(١) דויד שגיב: מילון עברי – ערבי – לשפה העברית בת זמננו – הקדמה: פרופ' ששון סומך, הוצאת שוקן ירושלים ותל-אביב1990 כרך שני, נ-ת, עמ' 1808.

(٢) انظر الكتاب المقدس : السابق، ص٦٦.

(٣) תנ"ך: בְּרֵאשִׁית: עמ' 12:18:15. انظر أيضا الفقرة ١٣ من نفس الإصحاح : حيث جاء نفس الفعل مرة أخرى فى ومن الماضى: וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל אַבְרָהָם לָמָּה זֶּה צָחֲקָה שָׂרָה "فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة".

(٤) תנ"ך: שם: עמ' 1:22:23.

إلى جرار" حيث أدت هذه الصيغة الاسمية وهى اسم العلم المفرد المذكر العاقل "اسحق" وظيفة الفاعل للفعل الماضى וַיֵּלֶךְ "وذهب". كما جاءت هذه الصيغة فى وظائف أخرى كالمفعول أيضا: וַיָּמָל אַבְרָהָם אֶת יִצְחָק בְּנוֹ[١] وختن إبراهيم اسحق ابنه.

وجاءت هذه الصيغة الاسمية اسحق فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة منها: وأوحينا الي إبراهيم وإسماعيل وإسحق، حيث أدت وظيفة "مضاف إليه" معطوف. كما جاءت فى التركيب : "أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل واسحق"[٢] حيث أدت هنا "اسحق" وظيفة اسم إن منصوب بالفتحة. هذا بالإضافة إلى وظائف أخرى مختلفة أيضاً.

هذا وإن كانت العربية قد نقلت الصيغة الاسمية فقط بنفس الدلالة لسيدنا يعقوب أولاً ، ثم أصبح ذلك الاسم مألوف فى العبرية وبعض أسماء فى العربية إلا أن الصيغة الصرفية تبدأ فى العبرية بالياء بينما تبدأ فى العربية بالألف كما أنها تنطق فى العبرية القديمة تص " وفى العبرية الحديثة " ت + س " ، بينما تنطق فى العربية "ص" وإن كانت تكتب " س ".

٨- صيغ عربت وذكر أنها فى الأصل عبرية[٣]،وذكر البعض الآخر أنها فى الأصل سريانية[٤]، ومن هذه الصيغ ، الصيغة ישמעאל "إسماعيل"، التى تمثل المشترك اللفظى بين اسم العلم المفرد المذكر العاقل وهو سيدنا

---

(١) שם: עמ' 4:4:18.

(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، السابق، ص ٣٤ ـ٣٥.

(٣) عبد القادر المغربى : الاشتقاق والتعريب – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ط٢، ١٩٤٧، جـ٢، ص٤٣٦.

(٤) جمال الدين بن أحمد البشبيشى: جامع التعريب بالطريق القريب – تلخيص التذييل والتكميل لما استعمل فى التلفظ البخيل – تحقيق أونال حرة – ورسلان أرضوم (مخطوط)١٩٨٢، ص١٧١-١٧٢.

إسماعيل عليه السلام من سيدتنا هاجر المصرية أم سارة عليهم جميعاً السلام، وبين الصيغة المركبة من الفعل مع المفعول كما جاءت كالتالى "ישמע + אל" أى يسمع + الرب" أو يسمع الله[1] والتى يرجح البعض أنها تعنى عطية الله، وأنها هى نفسها الصيغة سموال، ولكن الاسم سموال يرى ابن دريد أنه عبراني، وأصله أشموئيل[2]، بينما يزعم الجواليقى أن هذا الاسم سريانى الأصل فأصله شموئيل[3]، وقد أكد الخفاجي على أنه معرب دون مبررات أخرى عن مصادر التعريب[4]

أما عن قدومها فى العهد القديم فجاءت فى مواضع عديدة منها: וְיָלַדְתְּ בֵּן וְקָרָאתְ שְׁמוֹ יִשְׁמָעֵאל "فولدت ابناً ودعت اسمه إسماعيل"[5].

ومن المعروف أن الصيغة "יִשְׁמָעֵאל" " اسماعيل " المكتوبة فى العبرية والمنطوقة أيضاً بالشين، قد تمت عملية إبدال بينها وبين الصيغة العربية المكتوبة والمنطوقة أيضاً بالسين وهذا من المعروف فى عملية الإبدال بين حرفى السين والشين، واللذان من المعروف أن أحدهما وهو الشين كانت تنطق به السامية الشمالية، بينما كان الحرف الآخر وهو السين

(١) محمد عبد الصمد زعيمة : ظاهرة التعريف فى ضوء علم اللغات السامية، المرجع السابق ص٤٥.

(٢) عبد القادر المغربى : المرجع السابق، ص ٤٣٦.

(٣) جمال الدين البشبيشى : المرجع السابق، ص١٧١.

(٤) شهاب الدين الخفاجى : شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، المرجع السابق، ص٦٤٧.

– جاء ما سبق أيضاً فى : محمد عبد الصمد زعيمة: المرجع السابق، ص٤٦.

(٥) תנ"ך: בראשית- עמ' 11:16:13.

تنطق به السامية الجنوبية(١).

وقد جاءت الصيغة اسم العلم المفرد المذكر العاقل "إسماعيل" فى القرآن الكريم عن سيدنا إسماعيل عليه السلام فى عدة تراكيب وكانت مختلفة منها المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والمضاف إليه كما أن الصيغة إسماعيل تستخدم الآن أيضاً كصيغة اسم علم عربى بصورة عامة ولم تكن قاصرة على سيدنا إسماعيل عليه السلام.

٩- صيغ من أصل عبرى تمثل المشترك اللفظى مع العربيـة مـن حيـث الصيغة الصرفية فقط وذلك مثل الصـيغة الفعلـية בָּא والتـى يمثـل مستقبلها الصيغة "יבוא " "يأتى" أو "سوف يأتى" والتى يقابلها نفـس اللفظين فى الصيغتين باء يبوء فى العربية(٢)، وذلك فيما يخص كل من زمنى الماضى والمضارع نطقاً ،وليس دلالة ،حيـث تعنيـان هـاتين الصيغتين فى العربية معانى أخرى، أى باح- يبوح بالسر، أى لا يكتم السر، فيلاحظ هنا الاتفاق فى اللفظ بين العبرية والعربية والاختلاف فى المعنى مما يؤكد على وجود ظاهرة المشترك اللفظى فى كلتا اللغتين(٣). كما أن هناك ظاهرة أخرى وهى ظاهرة القلب، بين "بـاء " و "آب " وفى هذه الحالة الأخيرة تتساوى "آب" العربية مع "בָּא" العبريـة فـى

---

(١) انظر كل من :

Sabatino Moscati : An introduction to the comparative Grammar of the Semitic languages, Wiesbaden, 2nd ed, 1969, p.340.

- السيوطى : المزهر – المرجع السابق، جـ١، ص٧٥.

(٢) محمد عبد الصمد زعيمة : دراسات فى علم اللغة المقارن – دار الثقافة للطباعة والنشر، القـاهرة، ١٩٨١، ص١٣١-١٣٢.

(٣) **Gleason : H.A. : An introduction to descriptive linguistics, reviced ed., U.S.A. copyright, 1961, p.136-141.**

المعنى، وليس اللفظ حيث تعنى هذه الصيغة العربية رجع[1] فيلاحظ هنا اختلاف اللفظ بين العبرية والعربية واشتراك المعنى، مما يؤكد على وجود ظاهرة التبادل السياقى فى كلتا اللغتين[2].

١٠- انتقال بعض صيغ من أفعال العبرية القديمة إلى نفس الصيغ فى العربية أيضاً وذلك مثل الفعل الثنائى الجذر "צָם" "صام" والذى جاء منه المضارع فى العربية بنفس الجذر والنطق أيضا شأنه شأن العبرية فقيل من "צָם" صام فى الماضى "יצוּם" "يصوم" فى المضارع فى العربية، والتى تعد فى زمن المستقبل فى العبرية.

وأصل هذا الفعل قد جاء إلى العبرية أولاً حينما صام سيدنا موسى عليه السلام أربعين نهاراً وأربعين ليلة على جبل سيناء كان يستعد خلالها لاستقبال الوصايا العشر[3].

ويأتى هذا الفعل فى العربية أيضاً بنفس الاستخدام صرفاً وتركيباً بل ودلالة شأنه فى ذلك شأن بعض أفعال أخرى مشتركة بين العربية والعبرية كالفعل קָם قام יָקוּם يقوم، مع فارق أنه إذا كان الفعل الأول فى كلتا اللغتين فى الماضى، يكون الفعل الثانى فى العبرية فى زمن المستقبل بينما يكون فى العربية فى زمن المضارع.

وهناك من الأفعال ما هو مشترك بين العربية والعبرية من الجذر الثلاثى بجانب الجذر الثنائى السابق، وذلك مثل الفعل "טבח" طبخ[4] ولكنه

---

(١) محمد عبد الصمد زعيمة : المرجع السابق، ص١٣٢.

(٢) Gleason : H.A, Op.cit., p.141.

(٣) قاموس الكتاب المقدس : السابق، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) انظر أوزان الأفعال العبرية من الجذر الثنائى والثلاثى فى

يختلف فى العبرية الحديثة عن العربية فى حالة المضارع ولكنه فى العبرية القديمة والعربية يكتب "יטבַּח " "يطبخ" والذى يقابله زمن المستقبل فى العبرية الحديثة باعتبار أن المضارع يمثل الصيغة "טובח" التى كانت تعد صيغة اسم فاعل قديماً. وبينما يكون الأول مفتوح العين فيقال "יטבַּח" يكون الثانى مضموم العين فيقال "يطبُخ". وما إلى ذلك من صيغ أخرى شبيهة البعض بالبعض الآخر فى اللغتين العربية والعبرية.

Abrahem S. Helkin : 201-Hebrew verbs-volume conjugated in all the forms , Woodbury, New York, 1970, pp.310-399.

الخاتمة ونتائج البحث

لقد نقلت صورة واقعية مختصرة عن كيفية التعريب والتوظيف من العبرية إلى العربية لبعض الصيغ الصرفية سواء الاسمية منها أو الوصفية أو الفعلية، حيث تحول البعض من هذه الصيغ إلى صيغ أخرى وتراكيب أخرى كما أن البعض الآخر تحول من العبرية إلى العربية بنفس الصيغة والدلالة والتركيب أو الاختلاف التركيبى فقط، بينما يظل البعض الثالث كما هو بين العبرية أو العربية.

ويعنى ما سبق بصورة مختصرة تحول بعض أسماء الأعلام للمفرد المذكر العاقل وغير العاقل وكذا أيضاً بعض أسماء الجمع فى العبرية، إلى أسماء أعلام للعاقل وغير العاقل في العربية كالاسم إسرائيل وصيغ لأسماء مفرد مؤنث فى العبرية تحولت إلى أسماء مفرد مؤنث فى العربية كالاسم دنيا، وصيغ لأسماء مكان فى العبرية إلى تحولت إلى صفات للمفرد والجمع بنوعيهما مذكر ومؤنث للعاقل وغير العاقل فى العبرية والعربية كالاسم "صهيون" وصيغ لأسماء مكان في العبرية تحولت إلى أسماء ذات فى العربية كالاسم "دبلة" وصيغ مشتركة بين الاسم والفعل فى العبرية تحولت إلى اسم علم فقط فى العربية كالاسم "اسحق" .

وصيغ مشتركة مركبة من الفعل والاسم فى العبرية تحولت إلى اسم علم فقط فى العربية كالاسم "إسماعيل" وصيغ تمثل الصفة على مستوى اللغة العبرية تحولت إلى صيغ تمثل الصفة أيضاً على مستوى العربية كالصيغة آمين هذا بالإضافة إلى استخدامها الحديث كاسم علم للمفرد المذكر العاقل فى العربية أيضاً وذلك مثل اسم شخص يدعى "أمين" وكذا أيضاً "آمين" فى القرآن الكريم.

وصيغ تمثل المشترك اللفظى والتبادل السياقى بين العربية العبرية وتكون هذه الصيغ غالباً من الأفعال كالفعل "בָּא" فى العبرية أو "آب" فى العربية.

وصيغ تمثل المشترك اللفظى والدلالى والصرفى والتركيبى بين العبرية والعربية وغالباً ما تكون من الأفعال الثنائية الجذر كالفعل "קָם" فى العبرية ومثيله " قام " فى العربية أو الثلاثية كالفعل "טבח" فى العبرية ومثيله "طبخ" فى العربية. وغيرذلك من الأفعال الأخرى بل والصيغ الأخرى كبديل أو مثيل لما هو مذكور أيضاً مما يدل على أن هناك عوامل لغوية مشتركة بين اللغتين العبرية والعربية أو العربية والعبرية على حد سواء، ويستدل على ذلك أيضاً إضافة إلى ما سبق ،من خلال أسماء أعضاء الجسم المشتركة بين اللغتين كالاسم "יד" المفرد المؤنث فى العبرية والذى يقابله نفس الاسم "يد" وبنفس الدلالة أيضاً فى العربية، وكذا أيضاً "רגל" "رجل" وغيرها وكذا أيضاً اشتراك اللغتين فى بعض أسماء الجمع كالاسم "דם" فى العبرية والذى يقابله أيضاً اسم الجمع "دم" فى العربية، وكذلك الوضع فى بعض أسماء المكان مثل "מטבח" فى العبرية والتى تقابلها الصيغة "مطبخ" فى العربية وأسماء الزمان مثل الاسم "יום" فى العبرية ومقابلها يوم فى العربية أضف إلى ما سبق من الأسماء والأفعال، بعض الصفات أيضاً كالصفة "טהור" فى العبرية والتى تقابلها الصيغة " طاهر " فى العربية وكذا أيضاً بعض الظروف مثل ظرف المكان "תחת" فى العبرية والذى يقابله ظرف المكان " تحت " فى العربية، هذا بالإضافة إلى بعض حروف الإضافة مثل حرف الإضافة "אל" فى العبرية والذى يقابله حرف الجر " إلى " فى العربية، هذا بالإضافة إلى العديد والعديد من الصيغ والدلالات المشتركة التى تدل على وحدة الأصل اللغوى من ناحية ، والتبادل اللغوى من ناحية

أخرى. سواء بالعبرنة أو التعريب.

إن الأهم مما ذكر فيما يخص التعريب، وكما تم من خلال توضيح وظائف التراكيب ، هو كيفية توظيف الصيغ الصرفية داخل الوحدات اللغوية تركيباً ودلالة، لبيان كيفية استخدام هذه الصيغ المستحدثة من عملية التعريب في اللغة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع والمجلات العربية:

المصادر:

١- الترجمة العربية للكتاب المقدس : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٨٣.

٢- الرافعي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تصحيح مصطفى السقا، مطبعة البابلى الحلبى، مصر ١٩٥٠، جـ١.

٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث، القاهرة ، ط١، ١٩٨٦م

المراجع:

١- أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ.

٢- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغة السامية -ط١، مطبعة الاعتماد ، القاهرة، ١٩٢٩.

٣- بن فارس : الصاحبي – مطبعة المؤيد – القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٤- تمام حسان : مناهج البحث في اللغة، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥.

٥- جلال الدين عبد الرحمن السيوطى: المزهر في علوم اللغة – تحقيق محمد أحمد جاد المولى، محمد على البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط١، القاهرة، د.ت.

٦- جمال الدين بن أحمد البشبيشى: جامع التعريب بالطريق القريب - تلخيص التذييل والتكميل لما استعمل فى التلفظ البخيل - تحقيق أونال حرة - ورسلان أرضوم (مخطوط).

٧-شهاب الدين الخفاجى : شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق ومراجعة عبد المنعم الخفاجى، المطبعة المنيرية، الأزهر، القاهرة ١٩٥٤.

٨- صبحى الصالح : دراسات في فقة اللغة - ط٢- بيروت، ١٩٦٢.

٩- عبد القادر المغربى : الاشتقاق والتعريب - لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط٢، ١٩٤٧، جـ٢.

١٠- عبد المنعم محمد حسن الكاروري : التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر -دراسة تحليلية للدخيل فى اللغة العربية مع استنباط لقوانين التعريب - دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٦.

١١- مارى الكرملى : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها - المطبعة العصرية - القاهرة، ١٩٣٨.

١٢- محمد عبد الصمد زعيمة : دراسات في علم اللغة المقارن - دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١.

١٣- محمد عبد الصمد زعيمة : ظاهرة التعريب فى ضوء اللغات السامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧.

١٤- محمد عطية الابراشى: الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها، ط١، القاهرة، ١٩٤٦.

١٥- مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية وتطورها - معهد الدراسات العربية - القاهرة

١٦- برجشتراسر : في التطور النحوى للغة العربية، مطبعة السماح، القاهرة، ١٩٢٩.

المجلات العلمية:

١- مجمع اللغة العربية : مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ، ١٩٨٤-٤-ج١١.

ثانيا: المصادر والمراجع العبرية:

المصادر:

1- ספר הבריתות: תורה, נביאים,וכתובים. המהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה שטוטגרטנסיה. החברה לכותבי קודש 1991.

المراجع:-

אשר לאופר: מבוא לתורת הלשון: יחיה 4-5 . הוצאת האוניברסיטה הפתוחה- תל אביב- תשמ"א. 1981.

ثالثا: المصادر والمراجع الإنجليزية:

المصادر:

1. Gezenius : Hebrew and English, Lexicon of the old testament, Oxford, 1959.

المراجع:

1. Abrahem S. Helkin : 201-Hebrew verbs-volume conjugated in all the forms , Woodbury, New York, 1970.
2. Gleason : H.A. : An introduction to descriptive linguistics, reviced ed., U.S.A. copyright, 1961.
3. James Gorty : The language of Palestine and adjacent regions-edinburgh, 1920.
4. Sabatino Moscati : An introduction to the ocmparative Grammar of the semitic languages, Wiedbaden, 2nd ed, 1969.

رابعا: المصادر والمراجع الفرنسية:

المصادر:

Jean Du Bais et d'autre : Dictionnaire de Linguistique Larousse, Paris, 1973.

المراجع:

1. Bloomfield : Le Language ,Paris ,Payot ,1970 ,P 167.
2. Cohen David: Grammaire Le L Hebrew Vivant , Presse Universitaire de France, Paris 1968.
3. Jespersen , Otto : Language – évolution, nature et evolution preface j'Andre Martrinet, Paris, Payot, 1976.
4. –Michel Masson: Les mots nouveaux en Hebreu moderne, l'institute nationale des langues et des sivilization orientales, Paris, 1976.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

تحليل الأخطاء اللغوية عند دارسي اللغة العربية بجامعة بروناي

د / حسن عبد المقصود

كلية التربية جامعة عين شمس

موضوع هذا البحث تحليل الأخطاء اللغوية عند دارسي اللغة العربية بجامعة بروناي، ويحاول هذا البحث الوقوف على أسباب هذا الضعف، ورسم طرق العلاج الصحيحة، في ضوء الاحتياجات الفعلية.

وتعتمد مادة هذا البحث على التقارير التي كتبها كل طالب على حدة في حدود صفحة تقريبا .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة أقسام وخاتمة. تحدثت في المقدمة عن أسباب اختيار الموضوع وأهمية البحث وأقسامه،وتحدثت في التمهيد عن تعريف تحليل الأخطاء وعلاقته بالدراسات اللغوية، ثم ذكرت أنواع الأخطاء التي تنتشر بين طلاب اللغة العربية بجامعة بروناي دار السلام ونسبة كل نوع من هذه الأخطاء.ثم جاءت أقسام البحث ،فالخاتمة وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها عبر هذا البحث.

تمهيـــد:

يعد تحليل الأخطاء error analysis من أهم فروع علم اللغة التطبيقي applied linguistics فعلم اللغة التطبيقي له أهداف عملية وهو يتصل بالواقع اتصالا مباشرا ويبحث في المشكلات العملية التي تواجه اللغة في الحياة المعاصرة[١].وتحليل الأخطاء يسهم بشكل كبير في تحديد المشكلات التي تواجه اللغة ؛ إذ يعنى به دراسة الأخطاء التي يرتكبها متعلموا اللغة الأجنبية بتبويبها وتحليلها وصولا إلى تطوير أساليب التعليم بما يساعد على التقليل من تلك الأخطاء[٢].

مجال تحليل الأخطاء إذن مجال عملي يعتمد في جمع المادة على البحوث الميدانية في مستويات اللغة المنطوقة والمكتوبة عند جماعة لغوية محددة [٣]؛ بهدف إعداد دراسات تلبي حاجة هذه الجماعة في سبيل الوصول إلى تعلم أفضل.ولذا يعد تحليل الأخطاء من أهم فروع علم اللغة التطبيقي.

أكثر الأخطاء التي وقع فيها الطلاب هي الأخطاء النحوية فالأسلوبية فالصرفية فالمعجمية فالصوتية. وقد بدأت بتحليل الأخطاء الصوتية فالصرفية فالنحوية فالأسلوبية فالمعجمية. ارتفعت نسبة الأخطاء النحوية عند دارسي اللغة العربية في جامعة بروناي دار السلام في مواجهة بقية الفروع اللغوية،والجدول التالي يوضح عدد الأخطاء ونسبة كل نوع من منها قياسا إلى جملة الأخطاء.

نوع الخطأ	النسبة المئوية	العدد
الأخطاء النحوية	%٤١,٢٨	٥٦١
الأخطاء الأسلوبية	%٢٨,٩١٨	٣٩٣
الأخطاء الصرفية	%١٤,٨٦٣	٢٠٢
الأخطاء المعجمية	٨,٠٩٤١	١١٠
الأخطاء الصوتية	%٦,٨٤٣	٩٣
المجموع	%٩٩,٩٩٨١	١٣٥٩

وفي هذا البحث نحاول الكشف عن الأسباب الكامنة وراء هذا العدد المخيف من الأخطاء، لا أقول إنه مخيف من أجل التهويل ولكن إقرارا للواقع البائس لطلاب درسوا اللغة العربية لمدة سبع سنوات قبل الجامعة ثم درسوا عاما تمهيديا في الجامعة ثم درسوا في الفرقة الأولى وهم الآن بالفرقة الثانية،والواقع أنه لا تكاد تخلو جملة يكتبها الطلاب من خطأ لغوي.

إن تعليم اللغة لغير أهلها يجب أن يكون مرتبطا بحاجات المتعلمين،ومتعلقا بحياتهم واهتماماتهم[٤]،ويعتمد على الأنشطة المختلفة،وهذا يحتاج إلى مرونة في المحتوى،بل يحتاج إلى أن يعد المحتوى في ضوء دراسات واعية وهادفة،ومهارة من المعلم، كما يقتضي من المعلم أن يستخدم الطرق الحديثة ، والمعامل اللغوية،وغير ذلك مما يمكن أن يكون حافزا ومعينا في الوقت ذاته. والواقع أن المحتوى هنا يدور في واد والحياة كلها في واد آخر،والمعلمون هنا يعملون في مجال الخلاف النحوي حول العوامل النحوية وغير ذلك مما لايتصل باستعمال اللغة

،وبالطبع هذا يفقد الطلاب الحافز فاللغة التي يتعلمونـــــها لا علاقـــة لـــها بالواقع،فلا يشعرون بجدوى ما يتعلمونه،وهنا تكمن المشكلة.

أولا: تحليل الأخطاء الصوتية :-

وقع الطلاب في عدة أخطاء صوتية تمثلت فـــي تطويـــل الحركـــة القصيرة أو تقصير الحركة الطويلة،وإبدال بعض الحروف مــــن بعــض، وتغيير صفة الحرف.

١- تطويل الحركة :

يميل الملايويون عموما إلى تطويل الحركة القصيرة ،وقـــد تـــأثر الطلاب بذلك فطالت الفتحة في كثير من المواضع حتى صارت ألفا، ومــن أمثلة ذلك:

في يوم الاحاد[٥].

شاعرت مشغول جدا[٦].

ثم أجاهز الفطور[٧].

وبالطبع يقصدون في يوم الأحد ، وشعرت ،وأجهز ،لكن فتحة الهمزة، والشين والجيم طالت شيئا ما فصارت ألفا،إذ الألف امتداد صوتي للفتحة كما نعلم.

والأمر لا يقف عند حد إطالة الفتحة الموجودة في بنية الكلمة،بـــل أحيانا يغير الطالب السكون إلى فتحة ثم يطيل هذه الفتحة، ومثال ذلك:

لتحاضر الاجتماع[٨].

وينتهي المجالس[٩].

والأصل: لتحضر الاجتماع ،وينتهي المجلس لكن الطالب لجأ إلـــى تغيير السكون بالفتحة؛ليتمكن من إطالة هذه الحركـــة ؛إذ إطالـــة الحركـــة تتمشى مع طريقته في النطق.

وليست الفتحة وحدها هي التي يطيلها الطلاب ،لكنها أكثر الحركات التي أطالها الطلاب،فقد أطالوا الكسرة فحولوها إلى ياء،ومن أمثلة ذلك:

عيد الفطري[١٠].

النهر البريد[١١]

والأصل : عيد الفطر ، والنهر البارد،لكنهم طولوا الكسرة فتحولت ياء.

وكما طولوا الفتحة والكسرة طولوا الضمة أيضا فصارت واوا،ومثالها:

ذهبت إلى الفندوق[١٢].

زورت جدتي[١٣].

وقومت هناك[١٤].

والأصل في كل هذا : ذهبت إلى الفندق، وزرت جدتي، وقمت هناك ،أو وأقمت هناك ، لكنهم استطالوا بالضمة حتى استحالت واوا كما استطالوا بأختيها من قبل.

رد بعض الباحثين السبب في تطويل الكسرة إلى تأثير الخط الجاوي الذي تزاد فيه الياء في بعض الكلمات ، وذكر بعض الأمثلة لذلك[١٥]، ولكننا لا نستطيع أن نسلم بأن الخط الجاوي هو السبب وراء هذا الخطأ للأسباب الآتية:

* لو كان الخط هو السبب للزم أن تتحول كل كسرة عندهم إلى ياء وهذا لم يحدث ،فضلا عن أن الياء المتحولة عن تطويل الكسرة لم تكن بحجم الألف المتحولة عن تطويل الفتحة ولا بحجم الواو المتحولة عن تطويل الضمة.

* لو كان الخط هو السبب أيضا لما تحولت الضمة واوا ولا الفتحة ألفا.

* ملاحظة نطق الطلاب وغيرهم من الملايويين أكدت أنهم يطولون هذه الحركات في النطق، ومن ثم فليس الخط الجاوي هو المسئول عن هذا التطويل.

٢- تقصير الحركة:

قصر الطلاب الألف فصارت فتحة ، ومن أمثلة ذلك :

ثم وصلت بعد ذلك في المكتبة[١٦].

ذكرت دروسي[١٧].

الأفلم الهندي[١٨].

وسقيت الأزهر[١٩].

وهم يقصدون : واصلت ، وذاكرت ، والأفلام ، والأزهار.

كما قصروا الياء فصارت كسرة ، ومن أمثلة ذلك :

* مع أخت وزوجها[٢٠].
* إلى عمات لأنهن أستاذة[٢١].
* ليسترحوا[٢٢].

وهم يقصدون : مع أختي ، وإلى عماتي ، وليستريحوا.

قد يندفع الوهم سريعا إلى عامل السرعة؛ ليلقي عليه بتبعة هذا التقصير، غير أننا لا يمكننا أن نقبل هذا التعليل ؛فلو كانت السرعة هي المسئولة عن هذا التقصير للزم أن تقصر جميع الحركات الطويلة ،والذي حدث هو تقصير الألف والياء وحدهما ،ولم يتم تقصيرهما في كل المواضع ؛بل على العكس من ذلك كثيرا ما كنا نجد الفتحة القصيرة وقد تم تطويلها حتى صارت ألفا.

لا بد إذن من وجود عامل آخر أدى إلى هذا التقصير ، أرجح أنه التعليم الخاطئ ، فربما يكون هؤلاء الطلاب قد تلقوا علم الأصوات بطريقة خاطئة، أو لم يتدربوا على النطق الصحيح،والذي يؤكد هذا الرأي أن

الطلاب يخطئون في الأصوات بطريقة أخرى غير التقصير والتطويل ، ومثال هذه الأخطاء:

* يؤطي[٢٣].

* وظفت غرفتي[٢٤].

وبالطبع هم يقصدون : يعطي ، ونظفت غرفتي ،لكن النطق الخاطئ الذي لازمهم منذ الصغر ولم يجد من يصححه أثر عليهم ،فأنتج هذا الخطأ.

وقد نطق بعضهم الطاء المطبقة تاء،فوجدنا هذا المثال:

* وتبخت لأسرتي[٢٥].

والمقصود : وطبخت لأسرتي.

كما نطق بعضهم الظاء ذالا ، فقال :

* استيقذت[٢٦].

وصوابه : استيقظت

ربما كان الخطأ في هذين المثالين راجعا إلى تأثير اللغة الأم الملايوية، أو اللغة الأجنبية الأولى وهي الإنجليزية حيث تخلوان من الإطباق.[٢٧]

ويؤكد رأينا في أن السبب في وجود مثل هذه الأخطاء هو طريقة التعليم الخاطئة نطقهم التاء المربوطة تاء مفتوحة، في مثل قولهم:

*إدارات جوازات[٢٨].

وهم يقصدون إدارة الجوازات ، لكنهم تساهلوا في النطق ، فأجروا الوقف مجرى الوصل ، فوقفوا بالحركة ،والتاء المربوطة إذا وقف عليها نطقت هاء وإن وصلت بما بعدها نطقت تاء ، فنطقوها تاء على نية الوصل ،ثم وقفوا عليها ، ونسوا الوصل ، ولم يصحح لهم الأستاذ هذا

الخطأ.أو صححه ،فوجد استجابتهم ضعيفة فلم يصر على التصحيح خوفا من انصرافهم عنه،ولم يعالج هذا الخطأ بطريقة أخرى.

ولكي نتخلص من مثل هذه الأخطاء في النطق لابد من أن يكون المعلم مجيدا للنطق العربي الصحيح ، واعيا بطرق تعليم الأصوات ، ولابد أن يذهب بطلابه إلى المعمل الصوتي، ويجري اختبارات صوتية على نفسه وعلى الطلاب ويقارن بين النتائج وبعيد الاختبارات، ويقارن بين نتائج كل اختبار والاختبار التالي له للشخص الواحد ؛ ليحدد مدى التغير في الأداء الصوتي ،فيكون التقدم الأدائي للطالب حافزا له على استمرار التقدم والنجاح.

كما ينبغي على الطلاب أن يلازموا معلمهم ، يتحاورون معه ، ويتناقشون فيما بينهم أمامه باللغة العربية وهو يوجه الحوار ، ويصحح النطق ؛بهدف إيجاد بيئة لغوية عربية ؛ إذ البيئة اللغوية مهمة في اكتساب اللغة، وتنمية مهارات التحدث.

لابد أن يكون المحتوى الذي يدرسه الطالب مرنا وبه قدر من الحرية للأستاذ ليكتشف قدرات طلابه ويوجههم للتعليم المستمر.

لابد أن يتم التركيز على الجانب الوظيفي في تعلم اللغة مع عدم إهمال الجانب الأكاديمي.

ثانيا : تحليل الأخطاء الصرفية:-

هناك كثير من الأخطاء التي وقع فيها الطلاب من الناحية الصرفية ، وقد صنفت هذه الأخطاء في أربعة موضوعات هي: أبنية الفعل، وأبنية الاسم ، وأبنية المصدر، والجموع .

١ – **أبنية الفعل :**

استخدم الطلاب الأوزان المختلفة للفعل بطريقة عشوائية ،فأي صيغة كانت تصل إلى ذهنهم – ما دامت تحتوي على المادة المراد استعمالها – نجدهم يستعملونها ، ومن أمثلة ذلك استعمالهم :

فعِل بدلا من فاعل : أشهد في المكتبة كثيرا[٢٩].

فعل بدلا من أفعل : عددت الملابس[٣٠].

: قام في البيت[٣١].

فعل بدلا من افتعل : غسلت في شاطئ مع[٣٢]..

افتعل بدلا من فعل : اشتغلت نفسي[٣٣].

: اغتسلت الملابس[٣٤].

أفعل بدلا من فعّل : أعلمت على الأطفال[٣٥].

فعَل بدلا من تفعّل : كلمت معها[٣٦].

استفعل بدلا من أفعل : استيقظت أولادي[٣٧].

تفعّل بدلا من فعّل : سأتقدمها[٣٨].

وبالطبع هم يقصدون : أشاهد ، وأعددت ، وأقمت ، واغتسلت ، وشغلت،وغسلت ، وعلّمت ، تكلّمت ، وأيقظت ، وسأقدمها.

هذه الفوضى في استعمال الصيغ الفعلية المختلفة لا يمكن أن يكون مردها هو جهل الطالب بالقاعدة التي تستخدم في ضوئها الأفعال، إنما مرده عدم استعمال اللغة في المواقف المتنوعة من الحياة اليومية ،فلربما يكون الطالب قد حفظ القاعدة ،لكنه يعجز عن تطبيقها واستعمالها لأنه لم يمارس اللغة ممارسة حقيقية ، فهؤلاء الطلاب جميعا اجتازوا عددا من الاختبارات في اللغة العربية ، لكنني أعتقد أن جميع هذه الاختبارات تقيس جانبا واحدا من جوانب العملية التعليمية ، هو جانب التذكر والذي يركز على الحفظ والاستظهار أكثر من تركيزه على الفهم والتحليل ،كما أن

العملية التعليمية التي أفرزت هذه النوعية من الطلاب لايمكن أن يكون بها اهتمام بالتغذية المرتجعة back feed

ولا يمكن أن يكون بها تعديل للطرق المستخدمة في ضوء النتائج الواقعية لتعلم اللغة

٢ – يخطئ الطلاب في استعمال الأسماء ،فيستخدمون المصدر بدلا من المشتق ، ومثال ذلك :

* ورجعنا تعبا ، ولكن كنا فرحا سعيدا[٣٩].

والصواب : ورجعنا متعبين ، ولكننا كنا فرحين سعداء.

ولعل اللغة الأم هي المسئولة عن هذا الخطأ ، فهي لا تعرف الاشتقاق ، ولا تفرق بين الصيغ الوصفية ،ولا تعرف الفروق الدلالية للصيغ المختلفة ، ومن ثم فقد استخدم الطالب المصدر (تعب) للدلالة على اسم المفعول متعب ،كما أنه لم يفرق بين المفرد والجمع في هذه الصيغة.

أيضا من أخطائهم في مجال أبنية الأسماء استخدام العدد بدلا من اسم اليوم، ومثال ذلك :

* وفي يوم الثلاث[٤٠].

* أن في يوم الرابع[٤١].

والأصل أن يقولوا : وفي يوم الثلاثاء ، وأما في يوم الأربعاء ، ولكنهم خالفوا هذا الأصل اتباعا للغتهم الأم التي تعبرعن يوم الثلاثاء بـ selasa وعن يوم الأربعاء بـ rabu

لعل من المفيد – لكي نتخلص من مثل هذه الأخطاء – أن نقدم عددا من التدريبات نهتم في إعدادها بأسماء الأيام بحيث تكون في مواقع مختلفة من الجملة ، ويراعى في تنفيذها النطق الصحيح لاسم اليوم ، ويطلب من الطلاب تكرار النطق، لتتكون له صورة ثابتة في الذهن ، ثم

يطلب من كل طالب أن يعد عددا من الجمل تحتوي كل جملة على اسم من أسماء الأيام الأسبوعية .

٣ – أبنية المصدر:

يخطئ الطلاب في استخدام المصدر أنواعا مختلفة من الأخطاء ؛ فيستخدمون وزنا بدلا من وزن آخر ، ومثال ذلك :

* وتجملها [٤٢]، والصواب : وتجميلها ،فاستخدموا (تفعُّل) بدلا من (تفعيل).

* لخيار الكتب[٤٣] ، والصواب : لاختيار الكتب ، فاستخدموا (فعال) بدلا من (افتعال).

* لاستعداد الغداء[٤٤]، والصواب:لإعداد الغداء،فاستخدموا (استفعال) بدلا من (إفعال).

* والسعيد[٤٥] ، والصواب : والسعادة ، فاستخدموا (فعيل) بدلا من (فِعالة).

كما استعملوا الفعل للدلالة على المصدر ، ومثال ذلك:

*لجهزتها الطعام الغداء[٤٦] ، والصواب في تجهيز طعام الغداء.

كما أسقطوا التاء المربوطة من المصدر ،في قولهم :

* بدقٍ [٤٧]، وصوابه : بدقَّةٍ .

والخطأ هنا مرجعه تأثير اللغة الأم التي لا تتعدد فيها الدلالات بتعدد الصيغ ؛ذلك أنها لا تحتوي على صيغ متعددة من الأصل الواحد.

ولكي نتخلص من هذا الخطأ لا بد من التدريب الكافي على إيجاد صيغ من أصل واحد، وهذا يتطلب من المعلم جهدا كبيرا ومهارة عالية في إجراء الحوار، وتوجيه الطلاب لإيجاد الصيغ بأنفسهم ، فمرة يقدم الدلالة ويطلب إيجاد الصيغة ، ومرة يقدم الصيغة ويطلب تحديد الدلالة ومرة

يصف موقفا ويطلب من الطلاب التعبير عنه بصيغة مناسبة ،ثم يسأل في دلالتها،وفي كل الأحوال هو يوجه ويرشد ويعين .

٤ – الجمع والمفرد:

يخطئ الطلاب فيعبرون عن الجمع بالمفرد ، أو العكس ، وأكثر أخطائهم تقع في الإخبار عن الجمع أو وصفه ، فهم يستخدمون المشتقات وربما المصادر بصورة واحدة ، ولا يفرقون في استعمالهم إياها بين المفرد والجمع في كثير من الأحوال، ومن أمثلة ذلك:

* أنا وأسرتي مشغول جدا[٤٨].
* فلابد كلنا مسرور[٤٩].
* ورجعنا تعبا ولكن كنا فرحا سعيدا[٥٠].
* وهم يتناقشون سعيدا[٥١].
* لعب أخواتي صغيرة[٥٢].

وبالطبع هم يقصدون :أنا وأسرتي مشغولون جدا ، وفقد كنا مسرورين، و ورجعنا متعبين ولكننا كنا فرحين سعداء ، وهم يتناقشون سعداء ، ولعبت أخواتي الصغيرات .

ربما كان السبب في هذا الخطأ أيضا تأثير اللغة الأم التي لا تفرق بين الجمع والمفرد في الصفات[٥٣] ،فتقول:

أنا مشغول	Saya sibok
نحن مشغولون	Kami sibok
هو مشغول	Dia sibok
هي مشغولة	Dia sibok
هم مشغولون	Kamu sibok
هن مشغولات	Kamu sibok
أنتم مشغولون	Kamu sibok

وأحيانا يكون الخطأ في غير المشتقات ولا المصادر ، ومن أمثلة ذلك:

* وأدرس الموضوع الجيدة[٥٤].
* إلى عمات لأنهن أستاذة[٥٥].
* والخمار[٥٦].

والمقصود من ذلك: الموضوعات ، وأستاذات ، والخمارات

وبالعكس من ذلك في مثل قولهم :

* لزيارة قبور عمي[٥٧].
* يبدأ بالأعمال الواجب[٥٨].
* نحن نشتري أقماش[٥٩].

والقصد من كل هذا : قبر ، وعمل الواجب ، وقماش .

إن هذه الأخطاء تدل دلالة واضحة على عدم استخدام اللغة في التعبير عن المواقف المختلفة التي تحدث في الحياة اليومية تحدثا أو كتابة،كما أنها تدل على ضعف عام في مستوى الأداء اللغوي ،وعدم محاولة تصحيح هذه الأخطاء من قبل الأساتذة المعنيين بالتدريس ، واللوم لا يقع على هؤلاء الأساتذة بقدر ما يتجه مباشرة إلى المناهج، وطرق التدريس .

ولكي نتخلص من هذه الأخطاء لابد من إجراء تدريبات متعددة تعد بعناية فائقة،يكون الهدف منها توظيف المعلومات في التعبير عن المواقف المختلفة ،ولا تقف هذه التدريبات عند حدود استخرج، وأعرب ، ومثّل؛إنما تمتد لتشمل التعبير عن جميع المواقف اليومية التي يمر بها الطالب.وأن تهدف التدريبات أيضا إلى تنمية مهارات التحدث ، وتنمية القدرة على التفكير .

ثالثا تحليل الأخطاء النحوية:

تعد الأخطاء النحوية أكثر أنواع الأخطاء التي يقع فيها الطلاب في جامعة بروناي، وتشمل الأخطاء عددا كبيرا من الموضوعات ، من أهمها: الأضافة ،والعدد ،والنعت، والعطف، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والتعبير الزمني، واستعمال الإعراب.

١ - الإضافة:

تمثل الإضافة مشكلة كبيرة لدى الطالب غير العربي؛ ذلك أنها تختلط عنده بالصفة من جهة ، وتؤدي الترجمة إلى الخطأ من جهة أخرى؛ ولذا فأخطاء الطلاب في الإضافة يمكن حصرها في اتجاهين :

١- تعريف المضاف[٦٠]

يعرف الطلاب المضاف في كثير من الأحيان ، مع أن الأصل أن يكون المضاف نكرة فعرفوا المضاف والمضاف إليه معا بأل ، ومثال ذلك :

* الأيام الإجازة[٦١].

* الكتب الأدب[٦٢]٥.

* في اليوم الأحد[٦٣].

والصواب في ذلك: أيام الإجازة ، كتب الأدب ، في يوم الأحد.

كما عرفوا مضافين مع المضاف إليه بأل، ومثال ذلك:

*ذاكرت الكتاب العلم الكلام[٦٤].

*المجلس الدعاء السلامة[٦٥].

والصواب في ذلك:ذاكرت كتاب علم الكلام، مجلس دعاء السلامة، أو مجلس الدعاء بالسلامة.

وألحقوا أل للمضاف إلى الضمير ، ومثالها:

* وقضيت الأوقاتي[٦٦].

* ونظفت السيارتي[٦٧].

* من المدرستها[٦٨].

* البحوثنا[٦٩].

* البيت جدتي[٧٠].

والصواب في ذلك:وقضيت أوقاتي،ونظفت سيارتي، من مدرستها، بحوثنا، بيت جدتي.

ولعل السبب في هذا النوع من الخطأ هو اختلاط المضاف إليه بالصفة في ذهن الطلاب، وهم يحفظون أن الصفة تطابق الموصوف في التعريف والتنكير[٧١]؛ فحاولوا إجراء هذه المطابقة - خطأ - بين المضاف والمضاف إليه.

تتجسد صورة الخطأ بصورة أوضح عندما يتجه الطلاب لتعريف المضاف وتنكير المضاف إليه،ومثال ذلك:

* إلى البيت جيران[٧٢].

وصوابه : إلى بيت الجيران.

ربما كان للغة الأجنبية الأولى وهي الإنجليزية دور في تجسيم هذا الخطأ؛إذ إن أداة التعريف فيها تلحق أول المتضايفين،فيقولون: The neighbor's house

ب - الإضافة للفعل :

يعامل الطلاب الفعل هنا معاملة الاسم سواء بسواء فيضيفونه للظرف سواء أكان الفعل ماضيا أم مضارعا، ومثال ذلك:

* بعد تناولت الغداء[٧٣].

* بعد انتهى ذهبت[٧٤].

* قبل نمت[٧٥].

* قبل بدأت الكلية[٧٦].

* بعد اكتب البحث[٧٧].

* عند تشاهد[٧٨].

والصواب في ذلك:بعد أن تناولت[٧٩]،بعد ما انتهيت ، قبل نومي ، قبل بداية الكلية، بعد أن أكتب البحث.عندما تشاهد.

أيضا يأتي الطلاب بالفعل بعد كلمة مِثْل ، وهي من الكلمات الملازمة للإضافة[٨٠]، فلا بد من أن يأتي بعدها اسم صريح،أو مؤول لتصح إضافتها إليه، ومن أمثلة خطئهم فيها:

* مثل ساعدت أمي[٨١].

* مثل ألعب كرة القدم[٨٢].

والصواب:مثل مساعدة أمي، مثل لَعِب كرة القدم.

كما أدخل بعضهم حرف الجر على الفعل، مع أنهم يعرفون جيدا أن الجر خاص بالأسماء ،لكنهم أخطئوا فقالوا أحدهم:

* في اشترى السمك[٨٣].

* كلعبت[٨٤].

هؤلاء الطلاب يفتقرون إلى التدريب على استعمال اللغة ،فليست لديهم نصوص يقتدون بها في الاستعمال اللغوي،وهم أيضا بحاجة إلى قوائم تصحيح الأخطاء التي تعينهم على تصحيح كتاباتهم،وتساعد على تحقيق الهدف المنشود من الإدراك والتحليل[٨٥]،وصولا إلى التعبير الصحيح.

٢- العدد يمثل العدد للطلاب في جامعة بروناي دار السلام صعوبة؛ذلك أنهم يحاولون قياسه على لغتهم الأم ؛ أو اللغة الأجنبية الأولى وهي الإنجليزية، ولذا فقد أخطئوا في التعبير العددي أخطاء متنوعة تمثلت في التمييز، وتذكير العدد وتأنيثه، والوصف بالعدد،واستعمال الرقم بدلا من العدد.ففي التمييز لم يفرقوا بين تمييز الأعداد من الثلاثة إلى العشرة،وتمييز ما فوق العشرة ودون المائة،ومن أمثلة أخطائهم في ذلك:

* استعرت عشر كتبا[٨٦].

*أربعة وخمسون دقائق[٨٧].

* أربعة كتاب[٨٨].

* قام هناك ثلاث ساعة[٨٩].

والصواب في ذلك: استعرت عشرة كتب،وأربع وخمسون دقيقة،أربعة كتب، مكثنا هناك ثلاث ساعات.

ومن أمثلة الخطأ في تذكير العدد وتأنيثه:

* في الساعة الحادي عشرة[٩٠].

* الساعة الثاني والنصف[٩١].

والصواب : **في الساعة الحادية عشرة،الساعة الثانية والنصف.**

ومن أمثلة الخطأ في الوصف بالعدد:

* حتى في الساعة الثلاثة[٩٢].

* في الساعة العشرة[٩٣].

* في الساعة الخمسة[٩٤].

* وجاء في المكتبة في ساعة ٨ [٩٥].

والصواب : حتى الساعة الثالثة، في الساعة العاشرة،في الساعة الخامسة، وجئت إلى المكتبة في الساعة الثامنة.

لعل السبب في كثرة أخطاء الطلاب في العدد يرجع إلى عاملين أساسيين:

أ- قلة التدريبات الخاصة بهذا الدرس،خصوصا أنه يصعب على كثير من الطلاب العرب استيعاب هذا الدرس استيعابا تاما فضلا عن غير العرب، وكثير من الأساتذة يهمل هذا الدرس، ويكتفي بذكر عدد من الأمثلة، ثم ينتقل إلى غيره هروبا من صعوبة الدرس؛لذا أقترح تقسيم الدرس إلى جزئيات تعالج كل جزئية في حصة مستقلة، فيقدم في الحصة

الأولى – مثلا- تمييز العدد،وفي الثانية تذكير العدد وتأنيثه مع عدم إغفال التمييز الذي سبقت دراسته ،وهكذا حتى ينتهي الدرس،وتقدم تدريبات كافية ليتمثل الطلاب الدرس تمثلا تاما

ب- محاولة التعبير باللغة الأم ثم نقل ذلك إلى العربية،ومع التعليم بالطرق الحديثة والتدريبات الكثيرة يمكن أن يزول هذا الخطأ إن شاء الله تعالى.

٣- النعت:

تقع أخطاء الطلاب في النعت في مسألة التطابق بين النعت والمنعوت،وتشمل هذه الأخطاء جهات ثلاثة من جهات التطابق، وهي:

أ – التوافق النوعي:

لا يدرك الطلاب الفرق في الاستعمال بين المذكر والمؤنث ،فيصفون المذكر بالمؤنث،ويصفون المؤنث بالمذكر،ومن أمثلة ذلك:

* وفي اليوم التالية[٩٦].

* في الإجازة الماضي[٩٧].

* مسلسل ملايوية[٩٨].

* لكي نكون الطلاب الناجحات[٩٩].

والصواب في ذلك: وفي اليوم التالي،في الإجازة الماضية،مسلسل ملايوي،لكي نكون الطالبات الناجحات،أو الطلاب الناجحين.

ولعل السبب في هذا الخطأ هو تأثير اللغة الأم التي لا تفرق بين المذكر والمؤنث في الوصف.

ب – التوافق العددي:

أثرت اللغة الأم في عدم الالتفات إلى التوافق العددي بين الصفة والموصوف،فوصف الطلاب الجمع بالمفرد،ووصفوا المفرد بالجمع،ومن ذلك:

* لعب أخواتي صغيرة[١٠٠].

*من الأساتذة الكريم[١٠١].

* عن الموضوعات المختار[١٠٢].

وبالطبع هم يقصدون: لعبت أخواتي الصغيرات،من الأساتذة الكرام،عن الموضوعات المختارة

جـ- التعريف والتنكير:

لا يميز الطلاب بين النكرة والمعرفة في مجال الوصف ، وربما في غير هذا المجال أيضا،فيصفون النكرة بالمعرفة،ويصفون المعرفة بالنكرة،ومن أمثلة ذلك:

* وأما اسم المنقوص هو[١٠٣].

* في أيام الماضي[١٠٤].

*حتى ساعة السابعة[١٠٥].

*ليشاهد الشيء جديد.

والصواب في ذلك: وأما الاسم المنقوص فهو، في الأيام الماضية، حتى الساعة السابعة، لأشاهد الشيء الجديد.

إن اللغة الملايوية،وهي اللغة الأم،لا تعرف نظام التعريف[١٠٦]،ومن ثم لا يلتفت الطلاب إلى التعريف والتنكير متأثرين بلغتهم الأم؛فما دخل لغتهم معرفة استخدموه هكذا،وما دخلها نكرة استخدموه كما دخل في لغتهم؛إن الطلاب لم يفصلوا في ذهنهم بين لغتهم الأم واللغة الجديدة التي يتعلمونها،وهذا خطا كبير في نظم التعليم وطرق التدريس.

٤- **العطف:**

لم يراع الطلاب التوافق بين المتعاطفين من حيث التعريف والتنكير،ولا من حيث الاسمية والافعلية،فعطفوا النكرة على المعرفة،والمعرفة على النكرة،ومثال ذلك:

* التاسعة ونصف ليلا[١٠٧].

* الفلفل وباذنجان[١٠٨].

* وبعد ساعتان والنصف[١٠٩].

* عند كل طلاب والطالبات[١١٠].

وبالطبع أثر اللغة الأم واضح،وهناك أيضا أثر مهم لطريقة التدريس المتبعة،إذ لم يتخلص الطلاب من هذه المشكلة حتى دخلوا الجامعة.

ومن مخالفتهم في التوافق بين المتعاطفين أنهم عطفوا الاسم على الفعل، ومن أمثلته:

* قرأت المجلة أو المراجعة الدرس.

* وفي العطلة أيضا أكتب الواجب المنزلي وزيارة صديقي.

والصواب في ذلك:قرأت المجلة أو راجعت الدرس، وفي العطلة أيضا أكتب الواجب وأزور صديقي.

٥- **التذكير والتأنيث:**

في مجال التذكير والتأنيث يقع الطلاب الملايويون في كثير من الأخطاء، فهم يذكرون ضمير المؤنث ، والاسم الموصول الموصوف به مؤنث،ويذكرون الفعل مع فاعله المؤنث، ويذكرون صفات المؤنث، والحال من المؤنث.فمن أمثلة تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث:

* بنت السلطان لا يحس ولا يعرف[١١١].

* زميلاتي الذين يسكنون[١١٢].

* النساء تلبسون[١١٣].

* كأنهم تتسابقون[١١٤].

والصواب في ذلك: بنت السلطان لا تحس ولا تعرف، زميلاتي اللاتي يسكنَّ، النساء يلبسن، كأنهن يتسابقن.

يظهر أثر اللغة الأم واضحا في تذكير الكلمات يحس ، يعرف، يلبسون ، يتسابقون، ؛فاللغة الملايوية لاتفرق بين المذكر والمؤنث في استعمال الفعل،فمثلا الرجال يلبسون، يقابله: Lelaki lelaki pakai

و النساء يلبسن ، يقابله : Perempuan perempuan pakai

فالفعل: Pakai لايتغير عند إسناده إلى مفرد أو مثنى أو جمع سواء أكان مذكرا أم مؤنثا.ولذا فقد أثرت طريقة الإسناد في اللغة الملايوية على الاستعمال العربي عند الطلاب الملايويين ؛فلم يفرقوا في كثير من الأحيان بين إسناد الفعل إلى مذكر وإسناده إلى مؤنث.

يتضح أثر اللغة الملايوية أيضا في استعمال الضمائر،حيث لم يفرق الطلاب بين المذكر والمؤنث،ومثال ذلك:

*التي له كثير من الهمة[١١٥].

والصواب : التي لها كثير من الهمة ، لكن اللغة الملايوية لا تفرق بين ضمير المذكر والمؤنث. فالضمير هو: Dia والضميرهي أيضا:Dia

بالطبع للغة الملايوية دور في وقوع الطلاب في مثل هذا الخطأ،لكن هذا لا ينفي وجود أثر قوي وظاهر لطرق التدريس من جهة ، والقائمين بالتدريس من غير المؤهلين في مجال تدريس العربية لغير العرب ، وربما من غير المؤهلين في علوم العربية من جهة أخرى، وكذا لا يمكن إغفال أثر المحتوى الذي تدور العملية التعليمية في فلكه.

تأنيث الفعل

أنث الطلاب الفعل المسند إلى مذكر، ومن أمثلة ذلك:

* ذهبت زوجي[١١٦].

* كانت الأسبوع[١١٧].

والصواب : ذهب زوجي، كان الأسبوع.

إن الظاهرة هنا تختلف عن سابقتها،فاللغة الملايوية تسند الفعل إلى المذكر والمؤنث بطريقة واحدة،والأصل في الأشياء التذكير ،فمن ثم لم يحتج الفعل المسند إلى مذكر لعلامة تميزه[١١٨].والتأنيث طارئ فمن ثم لحقته العلامة،فكان الأصل أن يقع الخطأ بتذكير الأفعال المسندة إلى مؤنث،لا العكس.

ربما يرجع السبب في هذا الخطأ إلى المحاولة الخاطئة لتطبيق القاعدة؛فهم درسوا أن الفعل المسند إلى مذكر يختلف عن الفعل المسند إلى مؤنث؛ولذا توضع التاء في المسند إلى المؤنث،ولما اضطربت الموازين والمقاييس في أذهانهم أسندوا الفعل إلى المذكر وألحقوه التاء .

ولكي نتخلص من هذا الخطأ أقترح إعداد قوائم بعدد كبير من الأفعال تسند بعضها إلى مذكر ،ويطلب من الطلاب إسنادها إلى مؤنث،ويسند بعضها الآخر إلى مؤنث ، ويطلب منهم إسنادها إلى مذكر.ويطلب من الطلاب إعداد قوائم من الأفعال،ويقومون بإسنادها مرة إلى مذكر ومرة إلى مؤنث؛ليستطيعوا أن يفرقوا بين المذكر والمؤنث في الاستعمال اللغوي.

٦- التعريف والتنكير:

تنحصر أخطاء الطلاب هنا في تنكير المعرفة،فلم يعرفوا النكرة؛إنما نكروا المعرفة،فنكروا العلم في قولهم:

* من يوم الاثنين إلى يوم أحد[١١٩].

* عن علم كلام[١٢٠].

وعلم الكلام هذا مصطلح فهوعلم ؛لأنه لا يطلق على غيره من أفراد جنسه،وكذلك يوم الأحد،فالصواب : إلى يوم الأحد، علم الكلام

كما نكر الطلاب المعهود؛ومثاله:

* بذهاب إلى ماليزيا[١٢١].

* إدارات جوازات[١٢٢].

* قد سرت إلى عاصمة[١٢٣].

والصواب في ذلك: بالذهاب إلى ماليزيا؛ إدارة الجوازات، قد سرت إلى العاصمة.

السبب في هذا الخطأ أيضا اللغة الأم التي لا تعرف التنكير والتعريف،والعلاج يكون بالتدريب واستعمال الجمل المختلفة التي تحتوي على معارف ،وجمل أخرى تحتوي على نكرات.وربما ومن المفيد أيضا إعداد قائمة بعدد من الأسماء. ثم قائمتين من الجمل تستخدم في إحداهما هذه الأسماء بصورة التعريف، وفي الثانية تستخدم الأسماء نفسها بصورة التنكير، ويطلب من الطالب تحديد الفارق الدلالي بين الاسم في الجملتين.ويقوم المعلم بتصحيح ما يقع فيه الطلاب من أخطاء، ثم يطلب منهم تحديد الفارق الدلالي مرة أخرى.ثم يقوم الطلاب بعمل قوائم مماثلة تختلف فيها الأسماء والجمل عن الأسماء والجمل التي أعدها المعلم.

٧- التعبير الزمني:

يضطرب الطلاب اضطرابا كبيرا في التعبير الزمني،فأحيانا يستعملون الماضي بدل المضارع،ومثال ذلك:

* لقابلت الطبيبة[١٢٤].

* التي باعت الآن[١٢٥].

* لأنه عندما دخل الفصل هو يبتسم[١٢٦].

والصواب:لأقابل الطبيبة، التي تباع الآن، لأنه عندما يدخل الفصل يبتسم.

وأحيانا يستعملون الصورة الفعلية الماضية في التعبير عن الأفعال التي تحدث عادة ، ومثال ذلك:

* وفي العادة تناولت[١٢٧].

* في كل يوم في الليل في الساعة السابعة إلى الثامنة شاهدت[١٢٨].

* استيقظت مبكرا كل يوم [١٢٩].

والصواب : وفي العادة أتناول،في كل يوم... أشاهد،أستيقظ مبكرا كل يوم.

ربما تكون اللغة الأم هي المسئولة عن هذا الخطأ ؛حيث يلزم الفعل فيها صورة واحدة كما رأينا[١٣٠].

وأحيانا يستخدمون الفعل الماضي للدلالة على المستقبل، **ومثال ذلك**

* لأن غدا بدأت الكلية[١٣١].

* أمر أبي لى أخذت[١٣٢].

والصواب: لأن غدا ستبدأ الدراسة بالكلية،أمرني أبي أن آخذ.

وأحيانا تتعارض لديهم محددات الزمان، ومثال ذلك:

* في هذا الأسبوع العطلة الماضي[١٣٣] ، والصواب:في أسبوع العطلة الماضي؛ لأن هذا تشير إلى الموجود،وإذا كان الأسبوع موجودا فهو حال، وتأتي لفظة الماضي لتنقض كونه حالا، فيتعارض المحددان.

ولكي نتخلص من أخطاء التعبير الزمني يجب دراسة الأفعال وتصريفاتها،واستعمالاتها المختلفة، وتوضيح صور التعبير الزمني المستعملة في العربية الفصحى standard classic Arabic والتدريب عليها تدريبا كافيا، ويراعى في التدريبات أن تسمح للطالب بإنشاء الأمثلة المتنوعةالتي ترتبط به نفسيا واجتماعيا،ويقتصر دور الأستاذ على الإشراف والتوجيه.

٨- **الإعراب:**

وقع الطلاب في بعض الأخطاء الإعرابية المتمثلة في الاستعمال،فمن ذلك:

أ- رفع المفعول به،ومثاله:

* أن نطيع المعلمون[١٣٤].

* ليأخذ أخوان[١٣٥].

والصواب : أن نطيع المعلمين، ليأخذ أخوين.

ب- رفع المجرور ، ومثاله:

* مع أختي وأخوان[١٣٦].

* وبعد ساعتان والنصف[١٣٧].

والصواب: مع أختي وأخويَّ، وبعد ساعتين ونصف.

جـ- نصب المرفوع، ومثاله:

* لا يوجد كثيرا من العمل[١٣٨].

والصواب: لا يوجد كثير من العمل.

د- جزم المضارع بعد لام التعليل، ومثاله:

*أراجع إلى بيت صديقتي لأعد إلى الجامعة.[١٣٩]

وصوابه :أرجع إلى بيت صديقتي لأعود إلى الجامعة.

لكي نتخلص من هذه الأخطاء يجب ألا نهمل النحو الوظيفي، فالطلاب يعرفون الإعراب ؛لكنهم يخطئون في الاستعمال؛لأن النحو الذي درسوه نحو أكاديمي،وهذا النوع من الدراسة ثمرته الوظيفية محدودة إن لم تكن منعدمة، فمن ثم نحن بحاجة إلى إعداد محتويات وظيفية تعالج هذه النواحي من القصور.

رابعا الأخطاء المعجمية:

هذا المبحث يكشف عن الثروة اللفظية التي تجمعت لدى الطلاب في سنوات دراستهم السابقة؛ غير أن الحقيقة المؤسفة هي أن هذه الثروة ضئيلة جدا،وقد وضح ذلك جليا في كتاباتهم،وبسؤالهم عن المعاجم العربية التي يقتنيها كل منهم أصبت بفاجعة؛ حيث لا يوجد طالب واحد يقتني أي معجم عربي- مع أنهم متخصصون في اللغة العربية.

ولنا أن نتصور النتيجة لطالب ليس لديه معجم ،وطرق التدريس التي تقدم بها المعلومات طرق عتيقة،والمجتمع الذي يعيش فيه لا يستخدم العربية،ولا توجد صفحة واحدة في أي صحيفة تحرر بالعربية، وهذه بعض الألفاظ التي استخدمها الطلاب استخداما خاطئا:

* قضيت الصلاة الظهر[١٤٠]. وهو يقصد :أديت.
* أستمر دراسي[١٤١]. وهو يقصد : أستمر في دراستي.
* أخ أب[١٤٢]. وهو يقصد : عمي.
* لأشتري عن أحوال الأشياء[١٤٣]. والصواب: لأشتري بعض الأشياء.
* لراجعت الدراسة[١٤٤]. والصواب: لأراجع دروسي.
* اثناء عشرة[١٤٥]. والصواب: الثانية عشرة.
* أنا يتزين النفس[١٤٦]. والصواب: تزينت.
* وفي النهار يتناول الغداء[١٤٧]. والصواب: وفي الظهر أتناول الغداء.
* شعرت النبر[١٤٨]. والصواب: شعرت بالضغط أو بالصداع.

تكشف هذه الأخطاء عن ضعف عام في تعلم اللغة العربية،الأمر الذي يحدونا إلى أن ننادي بتصحيح المسيرة،والنظر في أساليب التقويم التي نتبعها، والمحتوى الذي نعرضه على طلابنا،والأنشطة المصاحبة المفقودة، والوسائل المعينة المهملة نتيجة أمرين:

الأول: قلة عدد الساعات وتضخم المحتوى فأصبح التركيز على الكم لا الكيف،فضاع العائد مقابل كثرة الموضوعات. ولست أجد لهذا سببا مقنعا. فهل حدث ذلك بسبب أننا نستورد الخطة والمحتوى من بلاد عربية أعدت هذه الخطة لطلاب عرب، ومع هذا قلما يجيدون فهم هذه الموضوعات.

هل يستطيع أي عالم لغة في أي بقعة من الأرض أن يخبرني عن جدوى دراسة التنازع والاشتغال لطلاب لا يجيدون بناء ثلاث جمل عربية صحيحة؟

الساعات المخصصة لدراسة النحو والصرف في جامعة بروناي دار السلام ساعتان أسبوعيا في فصل دراسي واحد إحداهما للمحاضرة والأخرى للمناقشة.وفي المقابل ساعات النحو والصرف والتدريبات في كلية التربية بجامعة عين شمس ثماني ساعات في فصل دراسي واحد منها أربع ساعات للمحاضرة وأربع ساعات للتدريبات (المناقشة)؟؟؟

مع ملاحظة أن المحتوي الذي يدرس في كلية التربية بجامعة عين شمس عدد موضوعاته أقل من عدد موضوعات المحتوى في جامعة بروناي دار السلام ، ولنا بعد ذلك أن نتصور مستوى المتخرج هنا وهناك.

خامسا: تحليل الأخطاء الأسلوبية:

أتناول في هذا المبحث أخطاء الطلاب في استعمال الضمائر ، وأحرف الجر.

١- الضمائر:

أخطأ الطلاب في استعمال الضمائر أخطاء كثيرة؛حيث استبدلوا ببعض الضمائر ضمائر أخرى من جهة،وأسقطوا بعض الضمائر من جهة أخرى.

أ- استبدال الضمائر:

يستخدم الطلاب ضمير الغائب بدلا من ضمير المتكلم،ومثال ذلك:

* وتشاهد الأخبار[١٤٩].

* وجد كثير من الطلاب[١٥٠].

* وتناول الغداء[١٥١].

والصواب : وأشاهد الأخبار، وجدت كثيرا من الطلاب،وتناولت الغداء.

كما أنهم يستخدمون المخاطب بدلا من الغائب،ومثاله:

* لتعلموا الطلاب الدراسة[١٥٢].

وصوابه : ليعلموا الطلاب الدروس.

كما أنهم يستخدمون تاء الفاعل بدلا من نا الفاعلين،ومثال ذلك:

* جهزت الغداء معا[١٥٣].

والصواب: جهزنا الغداء معا.

ربما تكون اللغة الأم هي المسئولة عن مثل هذه الأخطاء؛لكن ينبغي ألا نحمل اللغة الأم كل الأخطاء ، فهناك أخطاء في المنهج ،وأخطاء في طرق التدريس،وأخطاء في بالسرور

٢- زيادة بعض أحرف الجر، ومثالها:

* قضيته أيضا بزيارة إلى بيوت[١٥٤].

* عن الموضوع أهمية في تعليم اللغة الإنجليزية[١٥٥].

والصواب:قضيته أيضا بزيارة بيوت،عن موضوع أهمية تعليم اللغة الإنجليزية.

خاتمة

بعد هذه الرحلة مع تحليل أخطاء طلاب قسم اللغة العربية بجامعة بروناي دار السلام آن لنا أن نسجل أهم النتائج التي خرجنا بها:

* يفكر الطلاب باللغة الأم (الملايوية) ثم ينقلون أفكارهم إلى اللغة العربية ، فيقعون بذلك في أخطاء الترجمة؛حيث يختلف النظام التركيبي في العربية عنه في الملايوية.

* الطلاب الملايويون قادرون على التعلم، واستعمال العربية ،هم فقط بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح للتعلم.

* يفتقر طلاب جامعة بروناي إلى المهارات اللغوية،لا إلى القواعد التي يحفظونها،ويمكنهم استرجاعها سريعا، وهذه المهارات لا تكتسب بغير النقاش والحوار مع المعلم الجيد ،الذي يجيد اللغة إجادة تامة؛لأن الطلاب سيقلدونه،ويحاكونه محاكاة تامة في مواقف النشاط اللغوي المختلفة.وهنا أود أن أقرر أن أكثر الكلمات طرقا للأذن أيسرها خروجا من الشفة.

*الأخطاء التي وقع فيها الطلاب كثيرة ومروعة ولكي نتخلص من هذه الأخطاء المروعة لابد من أن يحدث تغيير شامل في المحتوى،وتوزيع ساعات الدرس ،وطرق التدريس،ونوعية المعلم الذي يقوم بالتدريس.

*يجب أن يخصص عام تمهيدي قبل الجامعة يكتسب فيه الطلاب مهارات التحدث ،على أن يكون المحتوى متمشيا مع الهدف من تخصيص هذا العام الدراسي.

***لابد أن يزيد عدد اللغويين العاملين بجامعة بروناي بحيث لا يزيد عدد الطلاب لكل لغوي على عشرة طلاب.**

هوامش البحث

[١] حجازي ، محمود فهمي : البحث اللغوي ١٢٠

[٢] البعلبكي ، منير رمزي : معجم مصطلحات علم اللغة، error analysis

[٣] حجازي ، محمود فهمي : البحث اللغوي ١٢٢

[٤] إبراهيم،حمادة : الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها ص ٣٤

[٥] ورقة الطالبة عزيلا سورياني

[٦] ورقة الطالبة دايغ نور عين بنت هولو بالغ

[٧] ورقة الطالبة حاجة نور حظية حاج احمد

[٨] ورقة الطالبة سيتي مرضيانا حاج مهاري

[٩] ورقة الطالبة نورنا ظافرا حنيفة

[١٠] ورقة الطالبة نور الفائزة حاج جوهن

[١١]ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[١٢] ورقة الطالبة حاجة سيتي حليمة السعدية

[١٣] ورقة الطالبة نور حمد الله يايتي بنت أحمد

[١٤] الورقة السابقة

[١٥] انظر:أبو خضيري،عارف كرخي:تعليم اللغة العربية لغير العرب٥٥، ٥٦

[١٦] ورقة الطالبة حاجة ريناواتي بنت حاج جوجو

[١٧] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[١٨] ورقة الطالبة عزيلا سورياني

[١٩] ورقة الطالبة فزورا @ فرح نورشفيقة

[٢٠] ورقة الطالبة ارني سورياني بنت محمد

[٢١] ورقة الطالبة نورنا ظافرا حنيقة

[٢٢] الورقة السابقة

[٢٣] ورقة الطالبة نور الحياتي حاج مت جافر

[٢٤] ورقة الطالبة نور إسمه بنت حاج زينل

[٢٥] ورقة الطالبة روزات الأزرياني

[٢٦] ورقة الطالبة دك ارماينتي فغيران حاج متالي

العربية أصواتها وحروفها لغير الناطقين بها ص ٢

[٢٧] ورقة الطالبة ارني سورياني بنت محمد

[٢٨] ورقة الطالب حاج محمد ويزاني بن حاج علي

[٢٩] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[٣٠] ورقة الطالبة نور حمد الله يايتي بنت أحمد

[٣١] ورقة الطالبة فزورا @ فرح نورشفيقة

[٣٢] ورقة الطالبة حاجة ريناواتي بنت حاج جوجو

[٣٣] ورقة الطالبة موساليتا بنت محمد

[٣٤] ورقة الطالبة نورنا ظافرا حنيقة

[٣٥] ورقة الطالبة حاجة نور حظية حاج احمد

[٣٦] الورقة السابقة

[٣٧] ورقة الطالبة دايغ نور عين بنت هولو بالغ

[٣٨] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[٣٩] ورقة الطالبة دك مليانا فغيران حاج داسيت

[٤٠] الورقة السابقة

[٤١] ورقة الطالبة نور عزمه

[٤٢] الورقة السابقة

[٤٣] ورقة الطالبة موساليتا بنت محمد

[٤٤] ورقة الطالبة حاجة سيتي حليمة السعدية

[٤٥] ورقة الطالبة حزيمة بنت حاج رملي

[٤٦] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[٤٧] ورقة الطالبة مرتيني بنت متائير

[٤٨] ورقة الطالبة حسنه بنت أواغ

[٤٩] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[٥٠] ورقة الطالبة حاجه نور سري ليلاواتي

[٥١] ورقة الطالبة حزيمة بنت حاج رملي

[٥٢] Abu KHudairi,Arif K. Arabic selected Essays ,p.22

[٥٣] ورقة الطالبة نور عزياني حاج عبد الراني

[٥٤] ورقة الطالبة نورنا ظافرا حنيقة

[٥٥] ورقة الطالبة حاجة حاليزا بنت حاج بوجغ

[٥٦] ورقة الطالبة ارني سورياني بنت محمد

[٥٧] ورقة الطالب حاج محمد ويزاني بن حاج علي

[٥٨] ورقة الطالبة نورنا ظافرا حنيقة

[٥٩] الأصل في المضاف أن يكون نكرة ؛لأن الإضافة المعنوية تكون للتعريف أو التخصيص،وما أجازه الكوفيون من تعريف المتضايفين في بعض الصور ضعيف. انظر: الزمخشري،المفصل في صنعة الإعراب ص ١٠٤ ،والأسترابادي:شرح الكافية ٢٧٧/١، والسيوطي:الهمع ٤٨/٢،وإن جاز أن نعتد بالخلاف النحوي في بعض المراحل التعليمية وبعض الموضوعات لحل بعض المشكلات التي تواجهنا في تحليل بعض النصوص،فإن ذلك لايجوز أن يعتد به في تعليم العربية لغير العرب.

[٦٠] ورقة الطالبة اوجي حاج رشيد

[٦١] ورقة الطالبة دك علينة بنت فغيران حاج علي

[٦٢] ورقة الطالبة مرتيني بنت متائير

[٦٣] ورقة الطالبة نور عزياني حاج عبد الراني

[٦٤] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[٦٥] ورقة الطالبة عزيلا سورياني

[٦٦] الورقة السابقة

[٦٧] ورقة الطالبة دك ارماينتي فغيران حاج متالي

[٦٨] الورقة السابقة

[٦٩] ورقة الطالبة حاجة حاليزا بنت حاج بوجغ

[٧٠] يلاحظ أن الطلاب بالفعل يحفظون القاعدة لكنهم لا يجيدون استعمالها ،وربما كان السبب في ذلك هو طريقة التدريس، ونظم التقويم.

[٧١] ورقة الطالبة حاجة حاليزا بنت حاج بوجغ

[٧٢] ورقة الطالبة مرتيني بنت ،تائير

[٧٣] ورقة الطالبة شريفة حاج تاكوغ

[٧٤] ورقة الطالبة روزات الأزرياني

[٧٥] ورقة الطالبة فزورا @ فرح نورشفيقة

[٧٦] ورقة الطالب حاج محمد ويزاني بن حاج علي

[٧٧] ورقة الطالبة دك ارماينتي فغيران حاج متالي

[٧٨] هذه صورة للصواب ، والمثال يحتمل ثلاث صور هي:بعد ما تناولت ،بعد تناولي ، وبعد أن تناولت، وكل مثال يحتمل هذه الصور إلا المثال الأخير ؛إذ يحتمل صورتين فقط ؛لأنها محاولات لتأويل الفعل بالاسم.

[٧٩] انظر: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب:١٠٧،١٠٨

[٨٠] ورقة الطالبة نور شهداء حاج محسين

[٨١] ورقة الطالب عبد الرازق بن حاج محمد فؤاد

[٨٢] ورقة الطالبة شريفة حاج تاكوغ

[٨٣] الورقة السابقة

[٨٤] راجع: حبش،زينب: الكتابة الإبداعية

[٨٥] الورقة السابقة

[٨٦] ورقة الطالبة حاجة نور اسماياتي بنت حاج عمر

[٨٧] ورقة الطالبة نورنا ظافرا حنيفة

[٨٨] ورقة الطالبة نور حمد الله يايتي بنت أحمد

[٨٩] ورقة الطالبة نور عزمه

[٩٠] ورقة الطالبة حاجة حيراني حاج عبد الساليم

[٩١] ورقة الطالبة دك مليانا فغيران حاج داسيت

[٩٢] ورقة الطالبة نور حمد الله يايتي بنت أحمد

[٩٣] ورقة الطالبة حاجة نور حظية حاج احمد

[٩٤] ورقة الطالب حاج محمد ويزاني بن حاج علي

[٩٥] ورقة الطالبة حاجة ريناواتي بنت حاج جوجو

[٩٦] ورقة الطالبة ارني سورياني بنت محمد

[٩٧] ورقة الطالبة زاليفة بنت أسمر

[٩٨] ورقة الطالبة دايغ نور عين بنت هولو بالغ

[٩٩] ورقة الطالبة حزيمة بنت حاج رملي

[١٠٠] ورقة الطالبة حاجه نور سري ليلاواتي

[١٠١] ورقة الطالبة جهيدى بنت حاج تهاميت

[١٠٢] ورقة الطالبة حاجة حيراني حاج عبد الساليم

[١٠٣] ورقة الطالبة حاجة نور اسماياتي بنت حاج عمر

[١٠٤] ورقة الطالبة دك مليانا فغيران حاج داسيت

[١٠٥] أبو خضيري،عارف كرخي:تعليم اللغة العربية لغير العرب ص ٥٣

[١٠٦] ورقة الطالبة فراحية صالح

[١٠٧] ورقة الطالبة حاجة نور اسماياتي بنت حاج عمر

[١٠٨] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[١٠٩] ورقة الطالبة سيتي حنيمة بنت حاج يعقوب

[١١٠] ورقة الطالبة سيتي مرضيانا حاج مهاري

[١١١] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[١١٢] ورقة الطالبة حاجة نور سري لبلاواتي

[١١٣] الورقة السابقة

[١١٤] ورقة الطالبة نوريزان

[١١٥] ورقة الطالبة حاجة سيتي جورياني

[١١٦] الورقة السابقة

[١١٧] انظر: الأشموني٤/٩٥

[١١٨] ورقة الطالب محمد فذالي

[١١٩] ورقة الطالبة دك مليانا فغيران حاج داسيت

[١٢٠] ورقة الطالبة ارني سورياني بنت محمد

[١٢١] الورقة السابقة

[١٢٢] الورقة السابقة

[١٢٣] ورقة الطالبة اوجي حاج رشيد

[١٢٤] ورقة الطالبة حاجه نور سري ليلاواتي

[١٢٥] ورقة الطالب محمد فذالي

[١٢٦] ورقة الطالبة شريفة حاج تاكوغ

[١٢٧] ورقة الطالبة عزيلا سورياني

[١٢٨] ورقة الطالبة شريفة حاج تاكوغ

[١٢٩] Abu KHudairi,Arif K. Arabic selected Essays ,p.31

[١٣٠] ورقة الطالبة فزورا @ فرح نورشفيقة

[١٣١] ورقة الطالبة دك مليانا فغيران حاج داسيت

[١٣٢] ورقة الطالبة فزورا @ فرح نورشفيقة

[١٣٣] ورقة الطالبة دايغ نور عين بنت هولو بالغ

[١٣٤] ورقة الطالبة نور شهداء حاج محسين

[١٣٥] الورقة السابقة

[١٣٦] ورقة الطالبة مرليانا بنت حاج محمد

[١٣٧] ورقة الطالبة نور عزياني حاج عبد الراني

[١٣٨] ورقة الطالبة نور سهلينا سهاري

[١٣٩] ورقة الطالب محمد فذالي هيدوف.وبالطبع هو لا يقصد قضاء الصلاة ؛إنما يقصد الأداء؛لأن النص هو : فإذا سمعت الأذان قضيت الصلاة الظهر وتناول الغداء.

[١٤٠] ورقة الطالبة حاجه نور سري ليلاواتي

[١٤١] ورقة الطالبة سيتي حنيمة بنت حاج يعقوب

[١٤٢] الورقة السابقة

[١٤٣] ورقة الطالبة زاليفة بنت أسمر

[١٤٤] الورقة السابقة

[١٤٥] ورقة الطالبة سوزانيلاواتي حاج روسمان

[١٤٦] ورقة الطالبة نورنا ظافرا حنيقة

[١٤٧] ورقة الطالب حاج محمد ويزاني بن حاج علي

[١٤٨] ورقة الطالب محمد فذالي حاج هيدوف

[١٤٩] الورقة السابقة

[١٥٠] ورقة الطالب حاج محمد سيف الله

[١٥١] الورقة السابقة

[١٥٢] ورقة الطالبة سيتي مرضيانا حاج مهاري

[١٥٣] ورقة الطالبة شريفة حاج تاكوغ

[١٥٤] الورقة السابقة

[١٥٥] ورقة الطالبة اوجي حاج رشيد

الفكر النحوي عند ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)

إعداد الدكتور

مجدي إبراهيم يوسف

كلية الآداب - جامعة حلوان

المقدمة:

موضوع هذا البحث: الفكر النحوي عند ابن خالويه في ضوء كتابه: (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم). وتحاول هذه الدراسة أن تكشف عن موقف ابن خالويه من الأصول النحوية، مثل السماع والقياس والتعليل النحوي. كما تحاول أن تكشف عن موقف ابن خالويه من المصطلحات النحوية التي كان يستخدمها أو التي انفرد بها، فضلاً عن معرفة موقفه من اللهجات العربية والقراءات القرآنية وما إلى ذلك من القضايا التي سيتناولها هذا البحث.

وتعتمد مادة هذه الدراسة على كتاب (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) - طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١م، وقد أعادت مكتبة المتنبي طبعه مصوراً - القاهرة - (د.ت).

وابن خالويه[١]: أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خالويه، نحوي لغويّ من همذان. دخل بغداد، وتوفي بحلب سنة (٣٧٠ هـ). أخذ عن ابن دريد (ت ٣٢١هـ)، ونفطويه (ت ٣٢٣هـ)، وابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)،

وأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، ومحمد بن مخلد العطار (ت٣٣١هـ)، وأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ).

ولابن خالويه مؤلفات كثيرة، منها: كتاب: ليس في كلام العرب، وكتاب مختصر في شواذ القرآن، وكتاب الحجة في القراءات، وكتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، وهو موضوع هذه الدراسة، وغير ذلك.

ومن مؤلفات ابن خالويه التي نُشِرَت مايلي:

١ - مختصر في شواذ القرآن - نشره برجشتراسر - القاهرة، ١٩٣٤م.

٢ - ليس في كلام العرب، له طبعات كثيرة، منها تحقيق الدكتور محمد أبو الفتوح شريف - القاهرة، ١٩٧٦م.

٣ - الألفات - تحقيق على حسين البواب - الرياض، ١٩٨٢.

٤ - الحجة في القراءات - تحقيق عبد العال سالم مكرم - بيروت، ١٩٧١م، ١٩٧٧م.

٥ - رسالة في أسماء الريح - تحقيق صالح الضامن - ضمن مجموعة نصوص في اللغة، بغداد - كتاب المورد - بغداد، ١٩٨٧م، من ص ٢٣ : ٤١.

٦ - شرح ديوان أبي فراس الحمداني - تحقيق سامي الدهان، بيروت، ١٩٤٤م.

٧ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - طبع بحيدر أباد، ١٣٦٠ هـ، ثم أعادت طبعه مكتبة المتنبي بالقاهرة(د.ت)، عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١م. وهو موضوع هذه الدراسة وقد اعتمدت الدراسة على هذه الطبعة.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الفكر النحوي عند ابن خالويه من خلال كتابه، لمعرفة جوانب هذا الفكر النحوي وأبعاده من خلال وقوفه عند بعض الظواهر اللغوية التي تناولها في إعرابه للسور الثلاثين التي اختارها، وذلك لمعرفة الأساس الذي اعتمد عليه في اختياره لهذه السور الثلاثين دون غيرها من سور القرآن الكريم، ومعرفة آرائه النحوية، والمصطلحات النحوية التي كان يستخدمها، فضلا عن معرفة موقفه من المادة اللغوية والاستشهاد بالشعر والقراءات القرآنية واللهجات العربية. كما تهدف هذه الدراسة إلى معرفة موقفه من الأصول النحوية مثل السماع والقياس والتعليل، فضلاً عن الكشف عن أهمية هذا الكتاب في إعراب القرآن الكريم.

وفيما يلي بيان ذلك :

أولا: أهمية كتاب إعراب ثلاثين سورة:

يعد كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، من أهم الكتب التي عرفها القرن الرابع الهجري في تراث إعراب القرآن الكريم، فهو كتاب صغير الحجم، اقتصر فيه ابن خالويه على اختيار ثلاثين سورة من قصار السور وتناولها بالإعراب. يقول ابن خالويه: (هذا الكتاب ذكرت فيه إعراب ثلاثين سورة من المُفَصّل بشرح أصول كل حرف وتلخيص فروعه، وذكرت فيه غريب ما أَشْكَل منه، وتبين مصادره وتثنيته وجمعه)[٢].

لقد أراد ابن خالويه كتابَهُ موجزا مختصرا، (... ليكون معونة على جميع ما يَردُ عليكَ من إعراب القرآن ...)[٣].

كان منهج العلماء في التأليف في كتب إعراب القرآن والقراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، يعتمد على تناول سور القرآن الكريم كله، ويتضح هذا في مؤلفات منها: معاني القرآن للفراء، (ت: ٢٠٧هـ)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (ت: ٢١٠هـ)، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٧هـ)، وكتاب الحجة لأبي علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، وكتاب المحتسب لان جني (ت: ٣٩٢ هـ). ولكن ابن خالويه أراد كتابه مختصراً موجزًا، ومِنْ ثَمَّ فقد اختار ثلاثين سورة فقط من قصار السور، وتناولها بالإعراب يقول: (... لأني تحريت في هذا الكتاب الاختصار، والإيجاز ما وجدت إليه سبيلاً، ليتعجل الانتفاع به، ويَسْهُل حفظه على مَنْ أراده)(٤).

ولكتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم أهمية كبرى فيما حفظه من أسماء بعض الكتب التي ألَّفها ابن خالويه، مثل:

١ - كتاب شرح أسماء الله عز وجل واشتقاقها ومعناها، يقول: (... وقد بينتها في كتاب مفرد واشتقاق كل اسم منها ومعناه)(٥).

٢ - كتاب الألفات، وفيه كلام عن أنواع الألفات، يقول: (... وألفات القطع سِتٌّ، شرحتها في كتاب ا لألفات)(٦).

٣ - كتاب القراءات، وقد أشار إليه عندما تكلم عن إجماع القُرَّاء على كسر الهاء إذا قلت عليهما)، يقول: (... إلاّ يعقوب الحضرميّ، فإنه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع، وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات)(٧).

٤ - كتاب تناول فيه أوجه (ما)، يقول: (... و(ما) تنقسم في كتاب الله تعالى وفي كلام العرب خمسة وعشرين قسمًا، قد أفردتُ لها

كتابًا)[٨]. ولعله كتاب الماءات، الذي أشار إليه عندما تكلم عن حذف ألف (ما) الاستفهامية مع حرف الجر، يقول: (... وقد جودت ذلك في كتاب الماءات)[٩].

٥ - كتاب المُبْتدِئ، وقد أشار إليه عندما ذكر أن (ما) تكون جحدًا - أي نفيًا - بمنزلة ليس، يقول: (... وهذا الباب قد أكملناه في كتاب المبتدئ)[١٠].

٦ - رسالة شَكَاة العين، وقد أشار إليها عندما تكلم عن العين، وأنها تنقسم في كلام العرب ثلاثين قسمًا، يقول في كلامه عن أقسام العين (... والعين تنقسم في كلام العرب ثلاثين قسمًا، قد بيَّنْتُها في رسالة شَكَاة العين)[١١].

٧ - كتاب المسائل، وقد أشار إليه عندما تكلم عن نداء (يا ليتني)، يقول: (... وهذا قد جودته في المسائل)[١٢].

٨ - كتاب الجُمَل، يقول: (... وفَاعِلٌ يُجمع على خمسة وثلاثين وجْهًا قد أمللناه في كتاب الجمل)[١٣].

ثانيا: محتوى كتاب إعراب ثلاثين سورة:

اختار ابن خالويه ثلاثين سورة من سور القرآن الكريم وتناولها بالإعراب، وكلها من قصار السور من آخر الجزء الثلاثين فيما عدا سورة الفاتحة، فهي أول سورة في المصحف الشريف. لقد بدأ ابن خالويه كتابه بإعراب ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[١٤]، وإعراب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[١٥]، ثم شرع بعد ذلك في إعراب السور الثلاثين التي اختارها.

كانت أول السور الثلاثين التي تناولها ابن خالويه هي أم القرآن[١٦]، وهي أول سورة في المصحف الشريف وتعرف بالفاتحة، ثم تناول بعد ذلك

إعراب تسع وعشرين سورة من قصار السور من آخر الجزء الثلاثين، بدايةً بسورة الطارق وانتهاءً بسورة الناس.

لقد اتفقت أسماء بعض السور القرآنية عند ابن خالويه مع أسمائها في المصحف الشريف، وقد بلغ عددها (٢٢) سورة وهي: الطارق، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، التين، العلق، القدر، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، الماعون، الكوثر، الكافرون، الفلق، الناس.

وهناك سور أخرى وردت أسماؤها عند ابن خالويه مختلفة عما في المصحف الشريف وهي (٨) سور مثل: أم القرآن (وهي الفاتحة)، سبح (وهي الأعلى)، ألم نشرح (وهي الشرح)، القَيِّمة (وهي البينة)، لإيلاف (وهي قريش)، الفتح (وهي النصر)، تبت (وهي المَسَد)، الصمد (وهي الإخلاص).

ومن هنا جاءت أسماء السور الثلاثين التي تناولها ابن خالويه كما يلي:

١ - أم القرآن، وهي (الفاتحة) في المصحف الشريف

٢ - سورة الطارق، وهي كذلك في المصحف الشريف.

٣ - سورة سبح، وهي (الأعلى) في المصحف الشريف.

٤ - سورة الغاشية، وهي كذلك في المصحف الشريف.

٥ - سورة الفجر، وهي كذلك في المصحف الشريف.

٦ - سورة البلد، وهي كذلك في المصحف الشريف.

٧ - سورة الشمس، وهي كذلك في المصحف الشريف.

٨ - سورة الليل، وهي كذلك في المصحف الشريف.

٩ - سورة الضحى، وهي كذلك في المصحف الشريف.

١٠- سورة ألم نشرح، وهي (الشرح) في المصحف الشريف.
١١- سورة التين، وهي كذلك في المصحف الشريف.
١٢- سورة العلق، وهي كذلك في المصحف الشريف.
١٣- سورة القدر، وهي كذلك في المصحف الشريف.
١٤- سورة القَيِّمَة، وهي (البينة) في المصحف الشريف.
١٥- سورة الزلزلة، وهي كذلك في المصحف الشريف.
١٦- سورة العاديات، وهي كذلك في المصحف الشريف.
١٧- سورة القارعة، وهي كذلك في المصحف الشريف.
١٨- سورة التكاثر، وهي كذلك في المصحف الشريف.
١٩- سورة العصر، وهي كذلك في المصحف الشريف.
٢٠- سورة الهمزة، وهي كذلك في المصحف الشريف.
٢١- سورة الفيل، وهي كذلك في المصحف الشريف.
٢٢- سورة لإيلاف، وهي (قريش) في المصحف الشريف.
٢٣- سورة الماعون، وهي كذلك في المصحف الشريف.
٢٤- سورة الكوثر، وهي كذلك في المصحف الشريف.
٢٥- سورة الكافرون، وهي كذلك في المصحف الشريف.
٢٦- سورة الفتح، وهي (النصر) في المصحف الشريف.
٢٧- سورة تبت، وهي (المسد) في المصحف الشريف.
٢٨- سورة الصمد، وهي (الإخلاص) في المصحف الشريف.
٢٩- سورة الفلق، وهي كذلك في المصحف الشريف.
٣٠- سورة الناس، وهي كذلك في المصحف الشريف.

تلك هي السور الثلاثون التي تناولها ابن خالويه بالإعراب، ويلاحظ أنها كلها من قصار السور، وكلها من آخر الجزء الثلاثين، فيما عدا سورة أم القرآن وهي الفاتحة، فهي من الجزء الأول، وهي أول سورة في المصحف الشريف.

وفيما يلي جدول يوضح السور الثلاثين، والمكي والمدني منها، وعدد آيات كل سورة على حدة.وقد تم ترتيب السور وفقاً لعدد آياتها من الأصغر إلي الأكبر :

السورة	المكي والمدني	عدد آياتها
العصر	مكية	٣
الكوثر	مكية	٣
الفتح (النصر)	مدنية	٣
لإيلاف (قريش)	مكية	٤
الصمد (الإخلاص)	مكية	٤
القدر	مكية	٥
الفيل	مكية	٥
تبت (المسد)	مكية	٥
الفلق	مكية	٥
الكافرون	مكية	٦
الناس	مكية	٦
أم القرآن (الفاتحة)	مكية	٧
الماعون	مكية	٧
ألم نشرح (الشرح)	مكية	٨
التين	مكية	٨
القيمة (البينة)	مدنية	٨
الزلزلة	مدنية	٨
التكاثر	مكية	٨

الهمزة	مكية	٩
الضحى العاديات القارعة	مكية مكية مكية	١١ ١١ ١١
الشمس	مكية	١٥
الطارق	مكية	١٧
سبح (الأعلى) العلق	مكية مكية	١٩ ١٩
البلد	مكية	٢٠
الليل	مكية	٢١
الغاشية	مكية	٢٦
الفجر	مكية	٣٠
عدد السور ٣٠ سورة	عدد السور المكية / المدنية ٢٧ ٣	إجمالي عدد الآيات ٣١٣

* عدد السور: (٣٠) سورة.

* عدد السور المكية (٢٧) سورة (أم القرآن - الطارق - سبح - الغاشية - الفجر - البلد - الشمس - الليل - الضحى - ألم نشرح - التين - العلق - القدر - العاديات - القارعة - التكاثر - العصر - الهمزة - الفيل - لإيلاف - الماعون - الكوثر - الكافرون - تبت - الصمد - الفلق - الناس).

* عدد السور المدنية: (٣) سور (القيمة – الزلزلة – الفتح).

* إجمالي عدد آيات السور الثلاثين كلها = (٣١٣) آية.

ثالثا: الظواهر اللغوية في إعراب ثلاثين سورة :

بدأ ابن خالويه كتابه بإعراب ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ ثم إعراب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. وشرع بعد ذلك في إعراب (أم القرآن) وهي الفاتحة، ثم جاءت السور التسع والعشرون من آخر الجزء الثلاثين بدءًا من سورة الطارق رقم (٨٦) في ترتيب المصحف الشريف، وحتى سورة الناس رقم (١١٤) في ترتيب المصحف الشريف.

إن عدد آيات كل سورة من هذه السور الثلاثين التي اختارها ابن خالويه يتراوح من ثلاث آيات إلى ثلاثين آية. وهناك سبع وعشرون سورة مكية، وثلاث سور مدنية. ويبدو أن ابن خالويه كان قد وقع اختياره على التسع والعشرين سورة الأخيرة من المصحف الشريف بغض النظر عن عدد آياتها، أو تقسيمها إلى مكي ومدني. ولمّا كانت سورة الفاتحة هي أول سور القرآن الكريم، فقد جعلها ابن خالويه كذلك في بداية كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن)، ومن ثم اكتملت بها السور الثلاثون التي اختارها ابن خالويه بالإعراب.

ويمكن أن نتناول الفكر النحوى عند ابن خالويه في كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) كما يلي :

* الوقوف عند الظواهر الصوتية :

كان ابن خالويه يقف عند بعض الظواهر الصوتية التي ترد في بعض السور، مثل :

* **الإدغام :**

ويتضح ذلك في أمثلة منها :

* إدغام اللام في الشين في كلمة (الشَّيْطان)، وقد علل بذلك تشديد الشين، يقول: (وتدغم اللام في أربعة عشر حرفًا، في: التاء والثاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء واللام والنون)[١٧]. ويقول ابن خالويه: (وإنما صارت اللام تُدْغَمُ في أربعة عشر حرفا وهي نصف حروف المعجم، لأنها أوسَع الحروف مخرجًا وفُوَيْق الضاحك والناب والرُباعية والثنية. فلما اتسعت في الفم وقَرُبت من الحروف أُدغمت فيها).

* إدغام اللام في الراء من كلمة (الرَّجيم)، فقد شُدِّدت الراء لإدغام اللام فيها[٢٠].

* إدغام الراء في اللام، وكان ابن خالويه لا يجيز إدغام الراء في اللام، نحو، (استَغفِر لَّهُمْ)، وسيبويه وغيره من البصريين لا يجيزونه كذلك، وذلك لأن الراء حرف فيه تكرير، فكأنه إذا أدغمه فقد أدغم حرفًا مشددًا، وإدغام المشدد فيما بعده خطأ بإجماع[٢١].

وذهب ابن خالويه إلى أن ما رواه اليزيد عن أبي عمرو: ﴿استَغفِر لَّهُم﴾، ﴿واصْطَبِر لِّعِبَادَتِهِ﴾، ونحو ذلك: فكان ابن مجاهد يُضَعِّفُه لردائته في العربية، ولأن الرواية الصحيحة عن أبي عمرو الإظهار لأنه رأس البصريين، فلم يكُ ليجتمع أهل البصرة على شيء وسيدهم على ضده[٢٢]. وذكر أن الفراء كان يجيز إدغام الرَّاء في اللام، وإدغام اللام في الراء[٢٣].

* **حذف التنوين:**

فقد ذكر ابن خالويه أن التنوين لا يجتمع مع الإضافة، وعلل ذلك بأن الإضافة زائدة والتنوين زائد، ولا يُجْمَعُ بين زائدين[٢٤]، ومن أمثلة ذلك:

- ﴿بِاللهِ﴾ في ﴿أَعُوذُ بِاللهِ﴾، يقول ابن خالويه: (... فإن قيل لِمَ لَمْ يُنَوَّن؟ فقل لدخول الألف واللام، لأن التنوين والإضافة والألف واللام من دلائل الأسماء، فكل واحد منها يعاقب صاحبيه)[٢٥].
- ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ في ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يقول ابن خالويه: (وعلامة الجر في (بسم) كسرة الميم، ولم تنوّنه لأنه مضاف، فإن قيل لك: لِمَ لَمْ تُنَوِّن المضاف؟، فقُلْ: لأن الإضافة زائدة والتنوين زاد، ولا يُجْمَعُ بين زائدين)[٢٦].

* **التحريك لالتقاء الساكنين:**

ذكر ابن خالويه أن النون في (مِن، وعَن) في نحو: (مِنَ الشَّيْطان، وعَنِ الشَّيْطان)[٢٧] قد حُرِّكَتْ لالتقاء الساكنين، (... غير أنهم اختاروا الفتح في (مِن) لانكسار الميم، واختاروا الكسر في (عَنْ) لانفتاح العين)[٢٨].

* **الظواهر الإملائية:**

كان ابن خالويه يقف عند بعض الظواهر الإملائية، ومن ذلك:

- حذف ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر، مثل: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾: الأصل مِنْ ما خُلِقَ، أي من أيّ شيءٍ خلق، فأُدْغِمَت النون في الميم، وحُذِفت الألف من (ما) في الاستفهام مع: مَنْ، وعَنْ، كقوله: ﴿عَمَّ

يَتَسَاءلُونَ﴾، ومع اللام كقوله ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾، ومع في كقوله ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾.

والأصل في ذلك كله: لِما، وعمّا، وفيمَا، ومِمّا، وكذلك يحذفون من: علامَ وحتّامَ.

- كتابة ﴿الله﴾ بلامين، يقول ابن خالويه: في ﴿الله﴾ ثلاثة لامات ... غير أنّ الخط بلامين كراهيةَ لاجتماع ثلاث صور، وذلك أن العرب لا تكاد تجمع بين صورتين حتى يدغموا، فكانوا للثلاثة أشد استثقالاً.

* **الأبنية والظواهر الصرفية:**

كان ابن خالويه يقف عند بعض الأبنية الصرفية مثل:

- أفْعُل: ذكر ابن خالويه أن ﴿أعُوذُ﴾ أَصْله: أعْوُذُ على مثال أفْعُلُ، فاستثقلوا الضمة على الواو فَنُقِلَتْ إلى العين فصارت ﴿أعُوذُ﴾.
- فَعْلان: ذكر ابن خالويه أن (الشَّيطَان) يكون فَعْلاَنَ من شَاطَ يَشِيط بقلب ابن آدم، وأشاطه أي أهلكه، ومَنْ شاط بقلبه أي مال به[٣٠].
- فَيْعَال ذكر ابن خالويه أن (الشّيطان) يكون فَيْعالاً من شَطَنَ، أي بَعُدَ، كأنه بَعُد عن الخير، وكل متمرد من الناس وغيره يقال له شيطان[٣١].

وكان ابن خالويه يبحث في أصول الكلمات، ومن ذلك مثلاً لفظ الجلالة ﴿الله﴾، فقد ذهب إلى أن الأصل (الإله)[٣٢]، ثم حُذِفت الهمزة اختصاراً وأدغم اللام في اللام، فالتشديد من أجل ذلك. يقول: (... فإن قيل لِمَ شُدِّدَت اللام؟ فقل للإدغام، وذلك أن الإدغام في الكلام على ضربين، لِقُرْبِ المخرجين وتجانس الحروف، فإن قيل لِمَ لَمْ يُنوَّن؟ فقل لدخول الألف

واللام؛ لأن التنوين والإضافة والألف واللام من دلائل الأسماء، فكل واحد منهما يعاقب صاحبيه)[٣٣].

ومما بحث فيه ابن خالويه جمع الأمّ فقد ذكر أنها تكون في البهائم: أمّات، وفي الناس أُمّهاتٌ[٣٤]. واستشهد على ذلك بقول الشاعر[٤]:

لقد آليْتُ أغْدِرُ في جَداعِ وإنْ مُنِّيتُ أُمّاتُ الرِّباعِ

بأن الغَدْرَ بالأقوامِ عارٌ وأنَّ المَرْءِ يَجْزأ بالكِراعِ

ونقل عن آخرين أنّ أُمّهات واحدتُها أُمَّهةٌ، وأنشدوا[٣٥]:

أمّهتي خِنْدِفُ والياسُ أبي حيْدَةُ خالي ولقيطٌ وعَدِي

وحاتِمُ الطائيُّ وَهّابُ المئِي

ونقل ابن خالويه عن الفراء أن العرب (... تقول هذه أُمّي، وهذه أُمٌّ وأُمّةٌ، فمن أثبت الهاء في الواحد جمعه على أُمَّهَاتٍ)[٣٦].

ووقف ابن خالويه عند جمع (اليوم)، يقول: إذا (جمعت اليوم قلت أيّام، والأصل: أيْوامٌ، قُلِبت الواو ياء وأُدغمت الياءُ في الياء)[٣٧].

هكذا كان ابن خالويه يتناول أصل بعض الكلمات ويوضح جمعها في ضوء ما تناوله من آيات قرآنية. وقد كان ابن خالويه يفسر كلمات بعض الآيات التي يتناولها، وقد وقف عند قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ﴾ الطارق (٧)، وذكر أنَّ الماء الدافق يخرج من بين صُلْب الرجل وتريبة المراة، والتَّريبة مُعَلَّقُ الحلْي على الصدر[٣٨]. ثم ذكر أن جمع التَّريبة: تَرائِب، واستشهد بقول الشاعر[٣٩]:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غَيرُ مُفاضةٍ تَرائِبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ

يعني المرأة.

وذكر أن تَرِيبٌ يُقال بغير هاء، وأنشد للمثقب العَبْدي(٤٠):

ومِنْ ذهَب يلــوحُ علــى تَرِيــبِ كلَوْنِ العاجِ ليس بِذي غُضُــون

ومما وقف عنده ابن خالويه لفظ ﴿الْعَالَمِينَ﴾، وذكر أن العالمين جمعُ واحده عالَمُ، والعالمُ جمْعٌ أيضا لا واحد له من لفظه، وواحده مــن غــير لفظه: رجل أو فرس أو امرأة، وذكر قول الشاعر(٤١):

فَخَندقٌ هامةُ هذا العالَمِ

ونقل عن آخرين قولهم(٤٢): العالم لا واحد له من لفظه، ولا من غير لفظه، لأنه جمع لأشياء مختلفة. ثم نقل عن الفراء أن (العَالَمُ يقــع علــى الناس والملائكة والجن)(٤٣).

وقف ابن خالويه عند جمع المَلِك فذكر أنه : أملاك وملوك، وجمــع المَالِك مُلاَّكٌ ومَالِكُونَ(٤٤).

وهكذا كان ابن خالويه يقف عند بعض الألفاظ فيبحث في أصولــها أن يذكر جمعها.

*** دلالات بعض الصيغ والألفاظ :**

كان ابن خالويه يذكر دلالات بعض الصيغ، مثل (فــاعل) بمعنــى فعيل، و(فعيل) بمعنى (مفعول)، كما يلي:

- **فاعل بمعنى فعيل:** والله تعالى قادر وقدير، ومثل عالم وعليم(٤٥).
- **فعيل بمعنى مفعول:** ذكر ابن خالويه أن الأصل في الشيطان الرجيــم (المرجوم)، فَصُرِف من مفعول إلى فعيل، لأن الياء أخف من الواو، كمــا يقال كفٌّ خضيب، والأصل مخضوبة، ولِحْيةٌ دهين، والأصــل مدهونــة، ورجل جريح وصريح، كل ذلك أصله الواو لأنه مفعول.

ومما وقف عنده ابن خالويه أيضا، وحاول أن يفسره ما يلي:

- **السرائر:** جمع سريرة[٤٦]. وإنما هُمِزت الياء في الجمع وليس في الواحد همز؛ لأن في الجمع قبل الياء ألفًا وهي ساكنة، فاجتمع ساكنان، فقلبوا الياء همزة، وكسروها لالتقاء الساكنين، ومثله قبيلة وقبائل.

- **من قُوَّةٍ**[٤٧]، وشُدِّدت الواو في قوة لأنهما واوان فإذا رددته إلى نفسك قلت: قَوِيتُ، فقلبت من الواو ياءً كراهية أن تجمع بين واوين لو قلت قَووْتُ، فبنوا الفعل على فعِلَ بكسر العين لتصير الواو ياء.

- **حذف الألف من ﴿بسم الله﴾:** ذكر ابن خالويه أن الألف في (بسم) محذوفة، والأصل (باسم)[٤٨]، يقول: (... فإن قيل: لِمَ أُسقطَت الألف من بسم والأصل باسم؟، فقُلْ: لأنه كثُرت على ألسنة العرب عند الأكل والشرب والقيام والقعود، فحذفت الألف اختصاراً من الخط لأنها ألف وصل ساقطة في اللفظ)[٤٩].

- **نستعين:** ... فعل معتل، والأصل فيه (نَسْتَعْوِنُ) على وزن نَسْتَفْعِلُ من العَوْن، فاستثقلوا الكسرة على الواو فنُقِلَتْ إلى العين، فانقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها؛ لأنهم نقلوا كسرة الواو إلى العين فصار (نستعين)[٥٠].

- **المستقيم:** مُسْتَفْعِلٌ، فاستثقلوا الكسر على الواو فنُقِلَت إلى القاف، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها[٥١].

- **الّذِينَ:** .. شُدِّدَت اللام لأنهما لامان، والأصل (لَذِ)، مثل (عَمِ)، ثم دخلت الألف واللام للتعريف، فالتشديد من أجل ذلك[٥٢].

وكان ابن خالويه يرى أن الأسماء مشتقة من الأفعال[٥٣]، ولهذا فإن نحو: بَسْمَل يُبَسْمِل بَسْمَلَة، قد صارت الباء فيه كبعض حروفه إذ كانت لا تفارقه وقد كَثُرت صُحْبَتُها، واستشهد على ذلك بقول الشاعر[٥٤]:

لقد بسْملتْ ليلى غداةَ لَقِيتُها فيا حَبَّذا ذاك الحبيبُ المُبَسْمِلُ

وكان ابن خالويه يرى أن اشتقاق لفظ الجلالة ﴿الله﴾ من تألَّه. وذكر أنه سمع أبا علي النحوي يقول: اسم الله تعالى مشتقٌ من تألُّهِ الخَلْق إليه، أي فقرهم وحاجتهم إليه)[٥٥].

*** المورفيم والملحقات :**

تظهر فكرة المورفيم واضحة عند ابن خالويه، من خلال كلامه عن علامة الجمع المذكر باعتبارها تفيد الجمع من ناحية وهي علامة إعراب من ناحية أخرى، كما يلي:

- **العالمينَ:** جر بالإضافة، علامة جره الياء التي قبل النون. وفي الياء ثلاثُ علامات: علامة الجر، وعلامة الجمع، وعلامة التذكير[٥٦].
- **الكافرين:** مفعول بهم، وعلامة النصب الياء التي قبل النون. وفي الياء ثلاث علامات: علامة النصب، وعلامة الجمع، وعلامة التذكير[٥٧].

فكلام ابن خالويه هنا يفيد إدراكه لوظيفة المورفيم، فالياء عنده مورفيم للإعراب وللتذكير والجمع من ناحية أخرى.

ومما وقف عنده ابن خالويه أيضا من الألفاظ ، ما يلي :

- **الإنسان:** فقد ذكر أنه واحد في معنى جماعة[٥٨] قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فاستثنى ﴿الذين آمنوا﴾ من الإنسان، ولو كان واحدا ما جاز الاستثناء منه.

وأما قوله تعالى : ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾، فقيل واحدها إِنْسِيٌّ وقيل إنسان. والعرب تقول للرجل إنسان وللمرأة إنسان، وربما أثبتوا الهاء تأكيدًا لرفع اللبس، فقالوا كَلَّم إنسانٌ إنسانةً، قال الشاعر(٥٩):

إنسانةٌ تَسْقِيكَ من إِنْسانِها ... خمرًا حلالاً مُقْلَتاها عِنَبُهُ

وذهب ابن خالويه إلى أن الأصل: الإنسيان، فحُذِفت الياء اختصارًا، وجمعه أناسين، مثل بسَاتِين، وتصغيره أُنَيْسِيان(٦٠).

- وقف ابن خالويه إلى عند همزة كلمة (ماء) وذكر أنها مبدلة من هاء، وأن الأصل في ماء: مَوَه، فقلبت من الواو ألفًا فصار ماء، ثم أبدلوا من الهاء همزة فصار ماء(٦١).

- وذكر ابن خالويه أن فاعل تكون بمعنى مفعول، كما في: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾: والماء الدافق فاعل في اللفظ مفعول في المعنى، ومعناه من ماء مدفوق أيْ مصبُوب...(٦٢).

ووقف ابن خالويه عند جمع الأعلى: الأعْلَوْنَ، يقول: ولو جمعت الأعْلَى في غير اسم الله، لقلت: الأعْلَوْنَ، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ﴾، وتقول: كلّم الأعلَى، وكلّم الأعليان الأعليين، وكلم الأعْلَوْنَ الأعْلَيْنَ، وكان الأصل الأعْلاَوَن فسقطت الألف لسكونها وسكون الواو(٦٣).

يتضح مما سبق أن ابن خالويه كان يقف عند بعض الظواهر اللغويةَ في أثناء إعرابه للسور الثلاثين التي اختارها.

رابعاً : السماع عند ابن خالويه:

كان ابن خالويه يأخذ بالسماع، يقول مثلا: وسمعتُ ابن الأنباري يقول: (الأصل في الناس النوس) ... والأصل ... النيس، وجائز أن يكون النَّسي من النِّسْيَان(٦٤).

ويقول: سمعت ابن مجاهد يقول: لا يُقْرأ بشيء من ذلك، إلاَّ بماعليه الناس في كل مصر (الحمدُ لِله) بضم الدال وكسر اللام.

وهذا معناه أن ابن خالويه كان يلتزم بالسماع في القراءات القرآنية ولا يجيز إلا ما سمع منها.

خامساً : العلل النحوية عند ابن خالويه:

اهتم ابن خالويه ببيان العلل النحوية، ويتضح ذلك فيما يلي:

- **الحمدُ**: رفع بالابتداء، علامة رفعه ضم آخره، فإن قيل: لِمَ الابتداء؟ فقل: لأن الابتداء أول الكلام، والرفع أول الإعراب، فأتْبع الأوَّلُ الأوَّلَ[٦٥].

- **نستعينُ**: فعل مضارع، وإنما ارتفع الفعل المضارع لوقوعه موقع الاسم[٦٦].

- **غَيْرُ المَغْضُوبِ**: جر بغير .. والمغضوب عليهم النصارى، فإن قال قائل: لِمَ لَمْ يَجْمَعُ فيقول غير المغضوبين؟ فالجواب في ذلك أن الفعل إذا لم يستتر فيه الضمير كان مُوحّدًا، فالتقدير غيرِ الذين غُضِبَ عليهم[٦٧].

- **الضالين**: فإن سأل سائل: لِمَ شُدِّدَت اللام في الضالين؟ فقُل هما لامانِ أُدْغِمَتْ الأولى في الثانية، ومُدّت الألف من الضالين، لالتقاء الساكنين، نحو: دابَّة، وشَابَّة[٦٨].

- **فَلْيَنْظُر**: ... لينظر، مجزوم بلام الأمر، والأصل: فَلِيَنْظُر، بكسر اللام، كما قال الله تعالى ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ وإنما أُسْكِنَت اللام لاتصالها بالياء تَخفِيفًا، وكذلك إذا تقدمتها الواو، جاز الإسكان والكسر، وكذلك ثُمَّ كقوله ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾، ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، كل ذلك صواب، وقد قُرِئَ به والكسر الأصل، والسكون عارض[٦٩].

وهكذا كان ابن خالويه يبحث في العلل النحوي ويحاول أن يفسروها ومن ذلك أيضاً ما جاء فيه قوله :

فأما جلستُ بين الحائطين: فظرف من المكان، ولا بد أن يقع على شيئين، فمحال أن تقول: جلست بين الرجل، وإنما الصواب بين الرجلين أو بين الرجال. فأما قوله ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، فإنما وقع (بين) على أحد؛ لأن أحدا في معنى جميع الناس[٧٠].

- **فمالهُ**: ... فإنْ سأل سائل: لم فُتِحَت اللام في (لَهُ)؟ فقل: إذا وليه مكنيٌّ فُتِحت، وإذا وليه ظاهر كُسِرت اللام، كقولك: لِزَيْدٍ ولِعَمْرٍو[٧١].

- **﴿يخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾** .. فإن قيل لِمَ لَمْ يَقُلْ يخرُج من بين الصلب والتريبة، فكيف جمع أحدهما ووحَّد الآخر؟ فالجواب في ذلك أنّ صدر المرأة هو تريبتها، فيقال: للمرأة ترائب، يُعنى بها التَّريبة وما حواليها وأحاط بها، وكذلك العرب تقول: رأيتُ خَلاَخيل المرأة وثُدِيَّها. وإنما لها ثَدْيَان وخَلْخالان.

وفيه جواب آخر وهو أن يكو أراد تعالى: يخرج من بين الأصلاب والترائب، فاكتفى بالواحد عن الجماعة، كما قال تعالى: ﴿أولَمْ يَرَ الذينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوات والأرضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ولم يقل والأرضين[٥٧].

- **﴿إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾** ... الهاء نصب بإنَّ ولا علامة فيه لأنه مكَني، والمكني لا يُعْرَب؛ لأن المكني يضارع المبهم، إذ كان كل واحد منهما يقع على أشياء مختلفة، كقولك: دخلتها، تريد: الدار، واشتريتها، تريد: الجارية، فأشبهت الحروف فزال الإعراب عنها[٧٣].

- ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: يَوْمَ نُصِبَ على الظرف، فإن قيل: لِمَ لَمْ تُنَوِّنْه ويوم مُنْصَرِف؟ فقل: أسماء الزمان تُضاف إلى الأفعال، كقولك: جئتُك يَوْمَ خرج الأميرُ، ويَوْمَ يَخْرُجُ، ولا يجوز هذا زيدُ يخرجُ بغير تنوين، وإنما يكون ذلك في أسماء الزمان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، و﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾.

وهكذا كان ابن خالويه يهتم بالبحث في العلل النحوية ويحاول أن يفسرها.

سادساً : المصطلحات النحوية:

كان ابن خالويه يميل إلى استخدام المصطلحات الكوفية، مثل:

- **نسق**: استخدم ابن خالويه هذا المصطلح الكوفي للدلالة على العطف، ففي قوله تعالى: ...﴿ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، يقول: الضالين نسق على المغضوب عليهم، وهم اليهود والنصارى)[٧٤]. ويقول في موضوع آخر في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾: (فَسَوَّى: نسق بالفاء على خلق)[٧٥].

* **حرف النسق**: استخدام ابن خالويه هذا المصطلح الكوفي للدلالة على حرف العطف، يقول: (... وإياك، الواو حرف نسق ينسق آخر الكلام على أوله، ويشركه في إعرابه إسمًا على اسم، وفعلا على فعل، وجملة على جملة)[٧٦].

* **المكْنِيّ والكناية**: استخدم ابن خالويه هذين المصطلحين للدلالة على الضمير، يقول: (... عَلَيْهِمْ: على حرف جر، وتكتب بالياء لأن ألفها تصير مع المكني ياءً، نحو: عليك، وإليك، ولديك)[٧٧]. ويقول في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ : إنّ حرف نصب، والهاء نصب بإنّ، ولا علامة فيه

لأنه مكني، والمكني لا يُعْرَب، لأن المكني يضارع المبهم، ... والهاء كناية عن الله...)[٧٨].

* **الجَحْد**: استخدم ابن خالويه هذا المصطلح للدلالة على النفي، يقول في قوله تعالى: ...﴿ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾: (لا) تأكيد للجحد)[٧٩]، ويقول في موضع آخر (ما) جحد بمنزلة (ليس) ترفع الاسم وتنصب الخبر إذا لم يكن في خبرها الباء)[٨٠].

* **اسم ما لم يُسَمَّ فاعِلُه**: عبر به ابن خالويه عن النائب عن الفاعل، يقول في قوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ .. مثلُها: اسم ما لم يسم فاعل)[٨٢].

هكذا كان ابن خالويه يميل إلى استخدام مصطلحات الكوفيين،وقد لوحظ أنه كان قد انفرد باستخدام مصطلحات خاصة به،وفيما يلي بيان ذلك:-

المصطلحات التي انفرد بها ابن خالويه:

كان ابن خالويه يميل إلى استخدام مصطلحات خاصة، ومن ذلك مثلا:

* **موقوف**: عبّر ابن خالويه بهذا المصطلح عن الفعل الأمر المبني على السكون، يقول في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا﴾: اهْدِ موقوف، لأنه دعاء، ولفظه ولفظ الأمر سواء..)[٨٣].

ويقول في قوله تعالى ﴿فَمَهِّلْ﴾: موقوف لأنه أمر[٨٤].

ويقول في قوله تعالى ﴿سَبِّحِ﴾: موقوف لأنه أمر عند البصريين، وعند الكوفيين جزم بلام مضمرة، وعلامة جزمه سكون الحاء[٨٤].

* **ألف الوصل:** عبر به ابن خالويه عن الألف التي يتوصل بها للنطق بالساكن. يقول ابن خالويه في قوله تعالى (اهدِنا .. والألف فيه ألف وصل، لأنه من هدى يهْدِي هداية)[٨٥].

* **ألف القطع:** وقد عبر به ابن خالويه عن همزة القطع التي تثبت في أول الكلام، يقول في قوله تعالى ﴿أنْعَمْتَ﴾ ... والألف في أول (أنعمت) ألف قطع[٨٦].

ويقول في قوله تعالى: ﴿وَمَا أدْرَاكَ﴾: أدراك فعل ماض، والألف ألف قطع[٨٧].

* **اسم ناقص:** عبر به ابن خالويه عن الاسم الموصول، يقول في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ ... الذين، جُرَّ بإضافة الصراط إليه، ولا علامة للجر فيه، لأنه اسم ناقص)[٨٨].

ويقول في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الذي خلق﴾ ... الذي صفة، ولا علامة فيه لأنه اسم ناقص يحتاج إلى صلة وعائد[٨٩].

- **تاء النفس:** استخدم ابن خالويه هذا المصطلح للدلالة على تاء المتكلم المضمومة، يقول: (.. وكل تاء إذا خاطبت مذكراً مفتوحة، وللمؤنث مكسورة، وتاء النفس مضمومة، للفرق بينهن ، وكلهن في موضع رفع)[٩٠].

- **فعل مستقبل:** عبر به ابن خالويه عن الفعل المضارع المتصل به السين أو سوف، يقول في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: السين علَم للاستقبال، وكذلك سوف، ونُقْرِئكَ، فعل مستقبل، علامة رفعه ضم الهمزة..)[٩١].

وهكذا انفرد ابن خالويه باستخدام مصطلحات نحوية خاصة به.

سابعاً: موقف ابن خالويه من اللجهات العربية واستخدام العامة :

كان ابن خالويه ينقل عن العرب بعض اللهجات العربية، ويتضح ذلك فيما يلي:

- ذكر ابن خالويه أن من العرب من يقول في إبراهيم: (إبراهام)، ومنهم من يقول (إبْرَهم) بغير ألف.

وذكر ابن خالويه أن الباء إذا سقطت من (بسم الله) صار في (الاسم) أربع لغات: اسْمٌ، وسِمٌ، وأُسْمٌ، وسُمٌ. واستشهد على ذلك بقول الشاعر(٩٢):

أرسل فيها بازلاً لا نعدمه ... باسم الذي في كل سورة سُمِهُ

قد وردت على طريق تعلمهْ

وقوله الآخر(٩٣):

وَعامُنا أعجبنا مُقَدَّمُهْ ... يُدْعَى أبا السَّمْحِ وقِرضَابٌ سُمُهْ

يقول ابن خالويه: (.. فمن قال: اسمٌ وسِمٌ أخذه من سَمى يَسْمَى، مثل: عَلَى يَعْلَى، ومن قال: اسمٌ وسُمٌ، أخذه من سما يَسْمُو وكلاهما معناه العُلُو والارتفاع)(٩٤).

- نقل ابن خالويه عن أبي عبيدة قوله: رَحِيم ورحمن لغتان، فرَحِيم فعيلٌ من الرحمة، ورحمن فَعْلان من الرحمة(٩٥).

ومذهب ابن خالويه أن هذه الأسماء كلها صفات لله تبارك وتعالى وثناءٌ عليه، وهي الأسماء الحُسْنى، وقد خصّ لها كتابًا مفردًا بَيَّنَ فيه اشتقاق كل اسم منها ومعناه، ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا(٩٦).

- مالك يوم الدين، ذكر ابن خالويه أن في مَلِكِ لُغَاتٌ(٩٧) أحسنُها مَلِكٌ ومَالِكٌ، وقد روينا جميعًا عن النبي ﷺ ..

واللغة الثالثة : مَلِيك، ولم يقرأ به أحد لأنه يخالف المصحف ولا إمام له.

واللغة الرابعة : مِلْكٌ مُسَكَّنَة اللام تخفيفًا، كما يقال في فَخِذٍ فَخْذٌ.

– وذكر ابن خالويه أنّ في الصراط أربع لغات(٩٨): السِّراط بالسين وهو الأصل، وبالصاد لمجئ الطاء بعدها، وبالزاي الخالصة، وبإشمام الزاي – كلٌ ذلك قد قُرئَ به.

– ومما ذكره ابن خالويه من لهجات العرب قوله: ... ومن العرب من يقول: جاءني الّذُون ومررتُ بالَّذِينَ فيُعْرِبُ(٩٩). أنشدني ابن مُجاهِدٍ:

وبنو نُوَيْجِيَةَ الَّذُونَ هُمُ ... مُعْطٌ مُخَدَّمَةٌ من الخِزّانِ

– وذكر أن من العرب من يقول جاءني اللاعون، ومررتُ باللائين(١٠٠)، وأنشد الفراء:

هُمُ اللاَّعُون فَكُّوا الغُلَّ عنِّي ... بِمَرْوِ الشَّاهِجَانِ وهُمْ جَنَاحِي

– وذكر ابن خالويه أنّ من العرب مَنْ يقول(١٠١): جلستُ إلاكَ يعني إليك، وعلاك دِرْهَم، يريدون: عليك، وعدّ من ذلك قول الشاعر(١٠٢):

طارُوا عَلاَ هُنَّ فَطِرْ عَلاَهـا ... واشْدُد بمَثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاها

– وذكر ابن خالويه أن آمين، فيه لغتان: المدُّ والقصر، قال الشاعر في القصر(١٠٣):

تَباعَدَ مِنِّي فُطحُلٌ إذْ دَعوتُه ... أمينَ فَزادَ اللهُ ما بيننا بُعْدَا

وقال آخر في مدِّه[١٠٤]:

صلى الإله على لُـوطٍ وشِـيعَتِه   أبـا عُبَيـدة قُـلْ بـالله آمِينَـا

وقال آخر في المدِّ[١٠٥]:

يَا رَبِّ لا تَسْـلُبَنِّي حُبَّـها أبَـدًا   ويَرْحَمُ اللهُ عبْـدًا قـال آمِينـا

والأصل في (أمين) القصر، وإنما مُدّ ليرتفع الصوت بالدعاء.

- وذكر ابن خالويه أنّ من العرب من يقول في إنسان إيسان بالياء ويجمعه أياسين. وذكر ابن خالويه أنّ سيبويه قال: من العرب من يجمع إنسانًا أناسية، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾، فقيل واحدها إِنْسِيّ، وقيل إنسان[١٠٧].

هكذا كان ابن خالويه يهتم بذكر لغات العرب ولهجاتها، كما كان يشير إلى استخدام العامة كما يلي :

* **استخدام العامة:**

كان ابن خالويه يشير في بعض الأحيان إلى أن هذا الاستخدام أو ذاك يدخل في إطار استخدام العامة، يقول مثلاً: ولا تشدد الميم في (آمين)، فإنه خطأ، والعامة ربما فعلوا ذلك[١٠٨]. وأما قول العامة نعوذ بالله من طَوَارِقِ اليل، وجوارح النهار فَغَلَطٌ، لأنّ العرب تقول: طرقه إذا أتاه ليلاً، وجَرَحه إذا أتاه نهاراً[١٠٩].

ثامناً : موقف ابن خالويه من القراءات القرآنية:

كان ابن خالويه يذكر بعض القراءات القرآنية وينسبها إلى أصحابها، كما يلي:

- ذكر ابن خالويه أن ابن عامر قرأ (إبراهام)، يقول: (ومن العرب من يقول إبراهام، وكذلك قرأ ابن عامر)[١١٠].

- نقل ابن خالويه ما رُوي عن الحسن البصري أنه قرأ[١١١]: ﴿وَقُلْ رَبِّ عائِذا بِكَ مِنْ همزَاتِ الشَّياطينِ وعائِذا بِكَ ربِّ أنْ يَحْضُرُونَ﴾ على أن (عائذا) معناه أعوذ بالله من ذلك.

- ذكر ابن خالويه أن مجاهدًا قرأ: ﴿بِاسْمِ اللهِ مُجْرِيهَا ومُرْسِيهَا﴾ فجعلهما صفتين لله تعالى فموضعهما جر[١١٢]، ونقل عن الفراء قوله (يجوز أن يجعلهما في قراءة مُجاهدٍ نصبًا على الحال، يريد المُجرِيها، والمُرْسِيها، فلما خُزِلَت الألف واللام نصبهما على الحال والقطع)[١١٣].

وكان ابن خالويه يعرب ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا ومُرْسَاهَا﴾ فمُجْراها ومُرْسَاها رفع بالابتداء، وبسم الله خبره، ومعناه التقديم والتأخير، والتقدير: إجراؤُها وإرساؤُها بسم الله. فعلى هذا التمام عند مُرْسَاها. ويجوز أن يُجْعَل بسم الله كلامًا تامًا، فيكون مُجْرَاها ومُرساها في موضع نصب[١١٤].

- ذكر ابن خالويه أوجه القراءة في (الحمدُ لله) وهي كما يلي[١١٥]:

قرأ الحسن ورؤبة (الحمدِ للهِ) بكسر الدال، أتبعا الكسرَ الكسرَ، وذلك أن الدال مضمومة وبعدها لام الإضافة مكسورة، فكرهوا أن يخرجوا من ضم إلى كسر فأتبعوا الكسر الكسر.

وقرأ إبراهيم بن أبي عَبْلَة ﴿الحَمْدُ لُلهِ﴾ بضم اللام، أتبع الضمَّ الضمَّ، كما أتبع أولئك الكسر الكسر.

وذكر ابن خالويه أنه رُوِي عن الحسن ﴿الْحَمْدَ للهِ﴾ بفتح الدال، وذهب ابن خالويه إلى أن هذا جائز في النحو، يقول: (ويجوز في النحو: الحمدَ لله، بفتح الدال، وقد رُوِيَتْ عن الحسن أيضا، تجعله مصدراً لِحَمِدْتُ أَحْمَدُ حَمْدًا فأنا حامِدٌ، ودخلت الألف واللام في المصدر تخصيصا، كما تقول: النَّجَا النَّجا، أي انْجُ انج[١١٦].

ويَرى ابن خالويه أن هذه الوجوه الأربعة في (الحمد)، وإنْ كانت سائغة في العربية إلا أنه سمع ابن مجاهد يقول: لا يُقرَأ بشيء من ذلك إلا بما عليه الناس في كل مصر: (الحمدُ لله) بضم الدال وكسر اللام[١١٧].

- وذكر ابن خالويه[١١٨] أن عيسى بن عمر قرأ: ﴿فَصَبْرًا جَمِيلاً﴾، أي فاصبروا صبرا، والذي في المصحف الشريف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[١١٩].

- ذكر ابن خالويه في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١٢٠]، قراءات، مثل[١٢١]: قرأ أبو هريرة ﴿مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على النداء المضاف، أي يَا مَالِكَ يَوْمِ الدين، وقرأ أبو حَيْوة ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وقرأ أنسُ بن مالك ﴿مَلَكَ يَوْمِ الدِّينِ﴾، جعله فعلا ماضيا.

ويرى ابن خالويه أنه يجوز في النحو: مالِكٌ يَوْمَ الدِّين، بالرفع على معنى هو مالِكٌ، ثم ذكر أنه (لا يُقْرَأ به، لأن القراءة سُنَّةٌ ولا تُحْمَلُ على قياس العربية)[١٢٢].

ونقل ابن خالويه في قوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[١٢٣] ما يلي[١٢٤]:

- قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فبذلك فلتفرحوا).

والاختيار عند جميع النحويين حذف اللام، إذا أمرت حاضراً، وإثباتها إذا أمرت غائبا، وربما اضطر شاعر فحذف من الغائب، قال الشاعر[١٢٥]:

مُحمدٌ تفْـدِ نفْسَـكَ كُـلُّ نفْـسٍ   إذا ما خِفْـتُ مِـنْ أمـرٍ وَبَـالاَ

أراد: ليفدِ، فحذف.

- غير المغضوب، ويجوز في (غير المغضوب) النصب على الحال من الهاء والميم في (عليهم)، ويجوز النصب على الاستثناء. وقد قرأ بذلك ابن كثير في رواية الخليل بن أحمد[١٢٦].

- قرأ أيوب السِّخْتِياني (ولا الضألين) بالهمزة، فقيل لأيوب لِمَ هَمَـزْتَ؟ فقال: إن المدة التي مددتموها أنتم لتحجزوا بها بين الساكنين هي هذه الهمزة التي همزْت[١٢٧].

- ذكر ابن خالويه قراءة الحسن البصري، قرأ ﴿ولاَ أدْرَأكُمْ بِهِ﴾[١٢٨] بالهمزة، فقال النحويون: غَلِط الحسنُ، كما أن العرب قد تغلط في بعض ما لا يُهْمَزُ فَيهْمِزونه، يقولون: حَلأتُ السَّوِيقَ وإنما هو حَلَّيْتُ، يشبهونه بحلأْتُ الإبل، إذا زجرتها عن الماء.

هكذا كان ابن خالويه يذكر بعض القراءات القرآنية وكان ينسب كل قراءة إلى صاحبها.

وكان ابن خالويه يرى أن القراءة سُنَّة يأخذها آخر عن أول، ولا يجوز أن تحمل على قياس العربية، يقول: (... القراءة سُنة ولا تُحمل على قياس العربية)[١٢٩].

ويقول في موضع آخر (والقراءة سُنَّة يأخذها آخر عن أول ولا تحمل على قياس العربية)[١٣٠].

ولهذا كان يرفض القياس النحوي ما لم يوافق القراءة، ويمثل لذلك كما يلي: في قوله تعالى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[١٣١]: ولو قلت سَبِّحْ باسم ربك، يقول: لكان صوابًا، إلا أنّ القراءة سنّة[١٣٢].

ويقول فلو قرأ قارئ ﴿فَلِيَنْظُرِ الإنْسَانُ﴾ بكسر اللام لكان سائغًا في العربية، غير أنه لا يُقرأ به إذ لم يتقدم له إمام...)[١٣٣].

ويقول: ويجوز في النحو: ﴿مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بالرفع على معنى هو مَالِكٌ، ولا يُقرأ به، لأن القراءة سنة، ولا تحمل على قياس العربية)[١٣٤].

وهذا معناه أن ابن خالويه كان لا يجيز في القياس النحوي ما لا ترد به القراءة، فالقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ولا تحمل على قياس العربية.

تاسعاً : السياق ودلالة بعض الكلمات :

كان ابن خالويه يذكر دلالة بعض الكلمات في ضوء السياق القرآني الذي وردت فيه ويتضح ذلك فيما يلي :

- ذكر ابن خالويه أن (... معنى أعوذ بالله: أعْتَصِمُ، وأمتنع، بالله من الشيطان الرجيم)[١٣٥]، واستشهد على ذلك بقول الشاعر[١٣٦]:

أنْفِي لك اللهمَّ عَانٍ راغم مَهْمَا تُجَشِّمُنِي فإنِّيَ جاشِمُ

عُذتُ بما عاذَ به إبراهِمُ

- ذكر ابن خالويه أن الرجيم، فعيل بمعنى مفعول، أي مرجوم، والمرجوم في اللغة: الملعون المطرود، فلعنة الله معناه طرده الله وأبعده، واستشهد على ذلك بقول الشماخ[١٣٧]:

وماء قد وردتُ لِوَصْلِ أرْوَى عليه الطيرُ كالوَرَقِ اللَّجِينُ

ضَعَرْتُ به القَطَا ونَفَيْتُ عنه مَقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

ثم ذكر للرجيم معاني أخرى مثل: القتل، والشتم، والرجم بالحجارة[١٣٨].

- ذكر ابن خالويه أن معنى _(الحمدُ لله): الشكرُ لله، وبينهما فصل، وذلك أن الشكر لا يكون إلا مكافأة، كأنّ رجلاً أحسن إليك، فتقول: شكرتُ له فِعْلَه، ولا تقول حمِدْتُ له.

والحمدُ: الثناء على الرجل بشجاعة أو سخاء، فالشكر يُوضعُ موضعَ الحمدِ، والحمدُ لا يُوضعُ موْضِعَ الشكر ويقال أحمدتُ الرجلَ إذا أصبته محمودا[١٣٩].

- ذكر ابن خالويه عدة معانٍ لكلمة (الدين) في قوله تعالى ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهي[١٤٠]: الدِّينُ: الحسابُ والجزاء ..، الدين الطاعة، كقوله ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي في طاعته ... والدِّين المِلَّةُ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ والدين العبادة، قال الشاعر:

تقول إذا درأتُ لها وضيني — أهذا دينه أبدًا وديني

أكُلَّ الدَّهْرِ حِلٌّ وارتحالٌ — أما تَبْقِي علىَّ ولا تَقِيني

- الصراط: في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يقول ابن خالويه: والصِّراطُ: الطريقُ الواضِحُ والمِنْهاجُ، وهو هنا عبارة عن دين الإسلام إذ كان أجل الأديان وأوضح السُّبُلِ إلى طريق الجنة وإلى عبادة الله.

وهكذا كان ابن خالويه يذكر دلالات بعض الكلمات في ضوء السياق القرآني الذي وردت فيه.

يتضح مما سبق أن ابن خالويه كان يوضح معاني بعض الكلمات.

* * * * * * * *

الخاتمـــة

حاولت هذه الدراسة المتواضعة أن تكشف عن الفكر النحوي عند ابن خالوية (٣٧٠هـ) في إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، وذلك من خلال وقوف ابن خالويه عند بعض الظواهر اللغوية التي تناولها في إعرابه للسور الثلاثين التي اختارها، ومن خلال الأصول النحوية التي اعتمد عليها، مثل : السماع والقياس والتعليل، ومن خلال المصطلحات النحوية التي اختارها، فهو أكثر ميلاً إلى استخدام مصطلحات الكوفيين، مع انفراده ببعض المصطلحات النحوية، ومن خلال موقفه من القراءات القرآنية، فقد كان ينسب القراءات إلى أصحابها ولا يجيز القياس النحوي في القراءات، فالقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ولا تُحْمَل على قياس العربية.

الهوامش

١ انظر: الفهرست ٩٢، إنباه الرواة ٣٢٤/١، إرشاد الأريب ٤/٤، وفيات الأعيان ١٥٧/١، بغية الوعاة ٢٣١، وانظر أيضا: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٣٠٢/٢، وما كتبه سالم الكرنكوي في إعراب ثلاثين سورة من ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨.

٢ - إعراب ثلاثين سورة /٣

٣ - نفسه.

٤ - نفسه/١٤

٥ - إعراب ثلاثين سورة ١٤، وانظر ص ١٥.

٦ - نفسه ٣١، وقد نُشِر كتاب الألفات بتحيق د. على حسين البواب - بالرياض، ١٩٨٢م.

٧ - نفسه ٣٢.

٨ - إعراب ثلاثين سورة ٤٠.

٩ - نفسه ٤٤.

١٠- نفسه ٥٢.

١١- نفسه ٦٩.

١٢- نفسه ٨٤.

١٣- نفسه ٨٩.

١٤- انظر: إعراب ثلاثين سورة / ٣

١٥- نفسه /٩

١٦- نفسه/ ١٦، وهي سورة الفاتحة في المصحف الشريف.

١٧- إعراب ثلاثين سورة / ٦

١٨- نفسه / ٧.

١٩- انظر السابق/ ٥، ٦.

٢٠- نفسه / ٨

٢١- انظر: إعراب ثلاثين سورة / ١٢.

٢٢- نفسه / ١٣.

٢٣- نفسه / ١٣.

٢٤- انظر: إعراب ثلاثين سورة / ٦

٢٥- نفسه / ٦.

٢٦- نفسه / ٧.

٢٧- إعراب ثلاثين سورة/ ٧.

٢٨- نفسه / ٧

٢٩- انظر: إعراب ثلاثين سورة ٤٤.

٣٠- انظر: إعراب ثلاثين سورة ص ٣.

٣١- انظر السابق/ ٧

٣٢- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٥.

٣٣- انظر السابق/ ٦.

٣٤- انظر السابق/ ١٧.

٣٥- انظر السابق/ ١٧.

٣٦- نفسه/١٨.

٣٧- إعراب ثلاثين سورة / ٢٤.

٣٨- إعراب ثلاثين سورة / ٤٧.

٣٩- انظر السابق.

٤٠- انظر السابق ٤٧، ٤٨.

٤١- انظر السابق / ٢٢.

٤٢- انظر السابق/ ٢٢.

٤٣- نفسه.

٤٤- نفسه / ٢٤.

٤٥- انظر إعراب ثلاثين سورة / ٩.

٤٦- نفسه / ٩، ١٠.

٤٧- نفسه / ٢٧.

٤٨- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ١١.

٤٩- نفسه / ١١.

٥٠- السابق/ ١٢.

٥١- انظر السابق ٢٩.

٥٢- نفسه، ٣١.

٥٣- إعراب ثلاثين سورة / ١١.

٥٤- نفسه.

٥٥- انظر السابق/ ١١، ١٢.

٥٦- انظر السابق/ ٢١.

٥٧- إعراب ثلاثين سورة / ٥٣.

٥٨- نفسه / ٤٣.

٥٩- انظر: إعراب ثلاثين سورة / ٤٣.

٦٠- انظر السابق.

٦١- انظر السابق/ ٤٥.

٦٢- نفسه.

٦٣- نفسه / ٥٤.

٦٤- انظر : إعراب ثلاثين سورة ٢٣٨.

٦٥- انظر : إعراب ثلاثين سورة/ ١٨.

٦٦- انظر : إعراب ثلاثين سورة/ ٢٧.

٦٧- نفسه/ ٣٣.

٦٨- نفسه/ ٣٤.

٦٩- إعراب ثلاثين سورة / ٤.

٧٠- نف سه / ٤٦.

٧١- إعراب ثلاثين سورة / ٥٠.

٧٢- إعراب ثلاثين سورة/ ٤٨.

٧٤- انظر : إعراب ثلاثين سورة / ٣٤.

٧٥- انظر السابق/ ٥٥.

٧٦- نفسه / ٢٧.

٧٧- نف سه / ٤٤.

٧٨- نفسه/ ٤٩.

٧٩- نفسه / ٣٣.

٨٠- نفسه / ٥٢.

٨١- إعراب ثلاثين سورة/ ٤٤.

٨٢- إعراب ثلاثين سورة/٧٧ ، وانظر / ٨٢.

٨٣- نفسه / ٢٧.

٨٤- إعراب ثلاثين سورة / ٥٣.

٨٥- نفسه / ٢٧.

٨٦- نفسه/٣١.

٨٧- نفسه / ٤٠.

٨٨- نفسه / ٣٠.

٨٩- نفسه / ٥٥.

٩٠- إعراب ثلاثين سورة/ ٣١.

٩٢- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٤.

٩٢- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ١٠.

٩٣- نفسه.

٩٤- نفسه.

٩٥- إعراب ثلاثين سورة / ١٣.

٩٦- انظر السابق/ ١٤.

٩٧- نفسه، ٢٢، ٢٣.

٩٨- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٢٨، ٢٩.

٩٩- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٣٠.

١٠٠- انظر السابق/ ٣١.

١٠١- انظر السابق/ ٣١.

١٠٢- نفسه / ٣١.

١٠٣- نفسه / ٣٥.

١٠٤- نفسه.

١٠٥- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ١٠٥.

١٠٦- انظر السابق/ ٥٣.

١٠٧- انظر السابق/ ٤٣.

١٠٨- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٣٥.

١٠٩- نفسه / ٩.

١١٠- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٤.

١١١- السابق/ ٥.

١١٢- نفسه / ١٤.

١١٣- نفسه.

١١٤- إعراب ثلاثين سورة/ ١٤.

١١٥- انظر السابق/ ١٨، ١٩.

١١٦- انظر: إعراب ثلاثين سورة، ١٩.

١١٧- انظر السابق/ ١٩.

١١٨- انظر السابق/ ١٩.

١١٩- سورة يوسف (١٨).

١٢٠- سورة الفاتحة (٤).

١٢١- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٢٢ - ٢٤.

١٢٢- نفسه/ ٢٤.

١٢٣- سورة يونس (٥٨).

١٢٤- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٢٧.

١٢٥- انظر السابق/ ٤٣.

١٢٦- انظر: إعراب ثلاثين سورة/ ٣٣، ٣٤.

١٢٧- نفسه / ٣٤.

١٢٨- سورة يونس (١٩)، (ولا أدراكم) بدون همز.

١٢٩- إعراب ثلاثين سورة / ٢٤.

١٣٠- نفسه / ٤٢.

١٣١- سورة الأعلى (١).

١٣٢- إعراب ثلاثين سورة / ٥٤.

١٣٣- نفسه ٤٢، والآية من سورة الطارق (٥).

١٣٤- نفسه ٢٤، والآية من سورة الفاتحة (٤).

١٣٥- انظر: إعراب ثلاثين سورة / ٤.

١٣٦- نفسه.

١٣٧- انظر السابق/ ٨.

١٣٨- انظر: السابق/ ٨، ٩.

١٣٩- إعراب ثلاثين سورة / ١٩، ٢٠.

١٤٠- نفسه/ ٢٤.

المصادر والمراجع

١ - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - النهضة العربية ١٩٦١ م .

- فى اللهجات العربية - الأنجلو ٦٥ .

٢ - أحمد علم الدين الجندى - اللهجات العربية فى التراث ، القاهرة ١٩٦٥م .

٣ - أحمد مختار عمر - دراسة الصوت اللغوى - القاهرة ١٩٧٦ م .

- علم الدلالة - الكويت ١٩٨٢ م .

٤ - برجشتراسر - التطور النحوى للغة العربية ، تعليق رمضان عبد التواب ، الخانجى ، ١٩٨٢ م .

٥ - أبو البركات بن الأنبارى - الإنصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٨٢ م .

- البيان فى غريب إعراب القرآن - تحقيق طه عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٩ م .

٦ - أبو بكر الزبيدى - طبقات النحويين واللغويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف ١٩٧٣ م .

- لحن العامة - تحقيق عبد العزيز مطر - دار المعارف ١٩٦٧ .

٧ - تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ١٩٧٩ م .

٨ - ثعلب - الفصيح - تحقيق عاطف مدكور - دار المعارف - ١٩٨٣ م .

- مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف

٩ - ابن الجزرى - النشر فى القراءات العشر ، القاهرة ، د.ت.

١٠- جلال الدين السيوطى - المزهر فى علوم اللغة - مطبعة السعادة ، ١٣٢٥هـ .

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، الحلبى ١٩٦٤ م .

١١- ابن جنى - الخصائص - تحقيق محمد على النجار - بيروت ، د.ت.

- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الشؤون الإسلامية ١٩٦٩ م .

- المذكر والمؤنث ، تحقيق طارق نجم عبد الله ، جدة ، ١٩٨٥ م .

١٢- ابن خالويه - مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع - نشره برجشتراسر - القاهرة د. ت.

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن - القاهرة د. ت.

١٣- ابن الدهان - الهجاء والخط ، تحقيق فايز فارس - بيروت ٨٧ .

١٤- الزجاجى - الجمل فى النحو - تحقيق على توفيق أحمد ، بيروت ١٩٨٥م .

١٥- ابن السراج - الاشتقاق - تحقيق محمد صالح التكريتى - بغداد ١٩٧٣م.

- الأصول - تحقيق عبد الحسين الفتلى - بيروت ١٩٨٥م.

- الخط - تحقيق عبد الحسين الفتلى - مجلة المورد - المجلد الخامس - العدد الثالث سنة ١٩٧٦م ، من ص ١٠٣ : ١٣٤ .

١٦- ابن السكيت - الإبدال - تحقيق محمد شرف - مجمع اللغة العربية .

١٧- سيبويه - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٧ م .

١٨- ابن السيد البطليوسى - الاقتضاب شرح أدب الكتاب ، تحقيق - مصطفى السقا وآخرين - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ م .

١٩- شوقى ضيف - المدارس النحوية ، دار المعارف ١٩٦٨ م .

٢٠- أبو الطيب اللغوى - مراتب النحويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٧٤ م .

٢١- عبد العزيز الأهوانى - الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة - مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث سنة ١٩٥٧م ، ص ١٢٧ : ١٥٧ ، ص ٢٨٥ : ٣٢١ .

٢٢- عبد العزيز مطر - لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة - القاهرة ١٩٦٧ م .

٢٣ - أبو على الفارسى - الحجة فى علل القراءات السبع - تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣ م .

٢٤- الفراء - معانى القرآن - تحقيق أحمد يوسف وآخرين - الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م .

- المقصور والممدود - تحقيق عبد العزيز الميمنى - دار المعارف ١٩٦٧ م .

٢٥- عبد الكريم العوفى - ابن هشام اللخمى وآثاره مع العناية بكتابه شرح الفصوح - مجلة اللسان العربى العدد ٣٨ سنة ١٩٩٤ م ، ص ١٠٢ : ١١٢ .

٢٦- الكسائى - ما تلحن فيه العوام - تحقيق رمضان عبد التواب - الخانجى ٨٢ .
٢٧- كمال بشر - علم اللغة العام (الأصوات العربية) القاهرة ١٩٧٨ م .
٢٨- المبرد - المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق نصيحة ، الشئون الإسلامية ١٩٦٣ م .
- الكامل فى اللغة والأدب - بيروت د. ت. .
٢٩- محمد سالم محسن - مهذب القراءات العشر وتوجيهها من طريق النشر - السعودية ٨٦ .
٣٠- محمد فؤاد عبد الباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ١٩٨٦ م .
٣١- محمود حجازى - علم اللغة العربية - القاهرة د.ت. .
- مدخل إلى علم اللغة - القاهرة ، ١٩٨٢ .
٣٢- محمود السعران - علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ، القاهرة ١٩٦٢ .
٣٣- ابن مكى الصقلى - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق عبد العزيز مطر - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ .
٣٤- ابن هشام الأنصارى - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق مازن المبارك وآخرين - بيروت ١٩٧٩م .
٣٥- ابن هشام اللخمى - المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان - تحقيق خوسيه بيريث لاثارو - مدريد ١٩٩٢ م .
٣٦- ابن يعيش - شرح المفصل - القاهرة ، د.ت. .